لبيك اللهم لبيك

بقلم

السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي المكي الحسني
خادم العلم الشريف بالبلد الحرام
عافاه الله ورعاه
- آمين -

وبآخره أدعية يوم عرفة لبعض أئمة السلف





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد فهذه مباحث تدور حول الحج جمعناها في هذه الرسالة نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم. آمين والحمد لله رب العالمين.



بشـــائر الخـــير

لقد أطلت علينا بشائر الخير بقدوم موسم الخير ، فما أعظمها وأفضلها وأشرفها من طلعة بديعة فى هلال شهر ذى القعدة الحرام . هذا الشهر المبارك هو أحد أشهر الحج التى قال الله سبحانه وتعالى فيها . « **الحج أشهر معلومات** » والمعنى ان عمل الحج فى أشهر معلومة ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى لما ذكر الحج والعمرة فى قوله ، « **واتمو الحج والعمرة لله** » بين اختلافهما فى الوقت فقال « **الحج أشهر معلومات** » فجميع السنة وقت للاحرام بالعمرة ، وأما الحج فيقع فى السنة مرة واحدة ، ولا يكون فى غير هذه الاشهر التى قال الله عنها انها معلومات ، ولم يسمها فى كتابه ، لأنها كانت معلومة عندهم ، ولفظ « **الأشهر** » قد يقع على شهرين وبعض الثالث لان بعض الشهر ينزل منزلة كله .

وقد اختلفت اقوال السلف فى الأشهر المعلومات فقال ابن مسعود وابن عمر ، وعطاء ، والربيع ، ومجاهد والزهرى : أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة كله .

وقال ابن عباس ، والسدى ، والنخعى ، والشعبى : هى شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة .

وفائدة الفرق : تعلق الدم ، فمن قال : ان ذا الحجة كله من أشهر الحج لَمْ يَرَ دَماً فيما يقع من الاعمال بعد يوم النحر ، لانها من أشهر الحج ، وعلى القول الأخير ينقضى الحج بيوم النحر ، ويلزم الدم فيما عمل بعد ذلك لتأخيره عن وقته .

فهذه الأشهر المعلومات هى أشهر الحج ، وهى التى يناسب ايقاع الحج فيها دون ايقاعه فى غيرها ، فقد اختلف العلماء فى الاهلال بالحج فى غير أشهر الحج ، فروى عن ابن عباس : من سنة الحج ان يحرم به فى أشهر الحج .

وقال عطاء ومجاهد وطاوس والاوزاعى : من أحرم بالحج قبل أشهر الحج لم يجزه ذلك عن حجه ويكون عمرة ، كمن دخل فى صلاة قبل وقتها ، فانه لا تجزيه ، وتكون نافلة ، وبه قال الشافعى رحمه الله .

وروى عن مالك رحمه الله جواز الاحرام بالحج فى جميع السنة كلها .

وشهر ذى القعدة قال بعض العلماء : انه الثلاثون يوما الذى واعد الله فيه موسى عليه السلام ، قال ليث عن مجاهد فى قوله تعالى : [**وواعدنا موسى ثلاثين ليلة**] قال : ذو القعدة [**وأتممناها بعشر**] قال : عشر ذى الحجة [**فتم ميقات ربه أربعين ليلة**] ، **ليستعد فيها للقاء والمناجاة التى أشار الله اليها بقوله** : [**ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارنى انظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا**] والتى من الله سبحانه وتعالى عليه بها وأكرمه بالاصطفاء والاجتباء والاختيار فقال : [**يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى**]

واراد الله سبحانه وتعالى بعد أن انتهت مرحلة تخليص بنى اسرائيل من حياة الذل والهوان والنكال والتعذيب من فرعون وجنوده أن يضع لهم طريق السيادة وسبل الريادة بالقيام بمهمة الخلافة فى الارض بدين الله ، فأنزل على موسى التوراة فى هذه المناجاة لاعدادهم لما هم مقبلون عليه من الأمر العظيم وتربية نفوسهم التى اشرأبت الى الوثنية والشرك ، فقال : « **وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين** »

ومن أجل هذه الرسالة العظيمة كانت مواعدة الله لعبده ونبيه موسى عليه السلام ليلقاها ويتلقى منه ، وكانت هذه المواعدة إعدادا لموسى لنفسه كى يتهيأ فى هذه الليالى للموقف الهائل العظيم ويستعد لتلقيه .

لقد كانت فترة الاعداد ثلاثين ليلة أضيفت اليها عشر فبلغت عدتها أربعين ليلة يروض موسى فيها نفسه على اللقاء الموعود ، وينعزل عن شواغل الارض ليستغرق فى استحضار وتشخيص روحانية الموقف ويعتكف فيها عن الخلق ليستغرق فيها فى

الخالق الجليل . ويزيد صفاء روحه ويشع صفاء نفسه ، ويعلوّ سمو نفسه وعزيمته لتتقوى على مواجهة الموقف المرتقب ، وحمل الرسالة الموعودة .

وقد ذكر العلماء ان سبب جعل هذه المواعدة ثلاثين أولا، ثم زيادة العشر ليتم الميقات أربعين ليلة هو أن الله سبحانه وتعالى أمره ان يصوم الشهر وينفرد فيه بالعبادة ، فلما صامه أنكر تغير رائحة فمه [**وهو الخلوف الذى قال عنه ﷺ : لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**] فلما أحس بهذا التغير أنكره وتعجب منه ، فاستاك ليزول عنه ، فقالت الملائكة : انا كنا نستنشق من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك . فزيد عليه عشر ليال من ذى الحجة . وقيل : ان الله تعالى أوحى اليه لما استاك يا موسى لا أكلمك حتى يعود فوك الى ما كان عليه قبل اما علمت ان رائحة الصائم أحب الي من ريح المسك . . وأمره بصيام عشرة ايام [**اه تفسير القرطبى**]

وكان كلام الله لموسى عليه السلام غداة النحرحين فدى اسماعيل من الذبح ، وأكمل لمحمد ﷺ الحج .

وهو الشهر الذى كانت فيه عمر النبى ﷺ كلها سوى عمرته التى قرنها بحجته مع انه أحرم بها فى ذى القعدة وفعلها فى ذى الحجة مع حجته ، وكانت عمره ﷺ أربعا : عمرة الحديبية ولم يتمها بل تحلل منها ورجع ، وعمرة القضاء من قابل ، وعمرة الجعرانة عام الفتح ، لما قسم غنائم حنين ، وقيل : انها كانت آخر شوال ، والمشهور أنها كانت فى ذى القعدة وعليه الجمهور وعمرته فى حجة الوداع ، كما دلت عليه النصوص الصحيحة ، وعليه جمهور العلماء أيضا .

هذا وقد روى عن طائفة من السلف منهم : ابن عمر ، وعائشة ، وعطاء تفضيل عمرة ذى القعدة وشوال على غيرهما ، لأن النبى ﷺ اعتمر فى ذى القعدة وفى أشهر الحج حيث يجب عليه الهدى اذا حج من عامه ، لأن الهدى زيادة نسك فيجتمع نسك العمرة مع نسك الهدى .

الترغيب فى الحج والعمرة وفضلهما

قال الله تعالى : [**وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق** »

وعن أبى هريرة رضى الله عنه سئل رسول الله ﷺ أى العمل أفضل ؟ قال : [**إيمان بالله ورسوله**] قيل ثم ماذا قال : [**الجهاد فى سبيل الله**] قيل ثم ماذا قال [**حج مبرور**] رواه الشيخان فى صحيحيهما .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة** » رواه إمام دار الهجرة فى موطئه والشيخان وابن ماجه والاصبهانى وزاد : وما سبح الحاج فى تسبيحه ولا هلل فى تهليله ولاكبر فى تكبيره إلا بشر بها تبشيرة .

معنى قوله [**والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**] أى لا يقتصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه بل لابد أن يدخله الجنة .

وفى الباب عن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**] رواه الشيخان . وعنه مرفوعا [**بر الحج إطعام الطعام وطيب الكلام**] وعن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : [**تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة** » رواه الترمذى وقال حسن صحيح ورواه غيره أيضا وفى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما [**تابعوا بين الحج والعمرة فان متابعة مابينهما تزيد فى العمر والرزق وتنفى الذنوب من بنى آدم كما ينفى الكير خبث الحديد**] رواه الدارقطنى والطبرانى فى معجمه الكبير . ومعنى هذه المتابعة : إذا حججتم فاعتمروا واذا اعتمرتم فحجّوا .

وعن عبد الرحمن بن شماسة بكسر الشين قال : حضرنا عمرا بن العاص رضى الله عنه وهو فى سياقة الموت فبكى طويلا وقال : فلما جعل الله لى الاسلام أتيت النبى ﷺ فقلت : يا رسول الله ابسط يمينك لأبايعك فبسط يده فقبضت يدى فقال مَالك يا عمرو قال أردت أن أشترط قال تشترط ماذا قال أن يغفر لى قال : أما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله رواه ابن خزيمة هكذا مختصرا وانظره فى صحيح مسلم بأكثر من هذا مطولا .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنت جالسا مع النبى ﷺ فى مسجد منى فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسلما ثم قالا : يا رسول الله جئناك نسألك فقال : إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألانى عنه فعلت وان شئتما أن أمسك وتسألانى فعلت . فقالا : أخبرنا يا رسول الله فقال : الثقفى للانصارى سل فقال : أخبرنى يا رسول الله قال : جئتنى تسألنى عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام ومالك فيه وعن ركعتيك بعد الطواف ومالك فيهما وعن طوافك بين الصفا والمروة ومالك فيه وعن وقوفك عشية عرفة ومالك فيه وعن حلاقك ومالك فيه وعن طوافك مع الافاضة فقال : والذى بعثك بالحق لعن هذا جئت أسألك قال : فانك اذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفا ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة ومحا عنك به خطيئة وأما ركعتاك بعد الطواف فكعتق رقبة من بنى إسماعيل عليه السلام . وأما طوافك بالصفا والمروة فكعتق سبعين رقبة . وأما وقوفك عشية عرفة ، فان الله يهبط إلى سماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة يقول عبادى جاؤونى شعثا غبرا من كل فج عميق يرجون جنتى فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل أو كقطر المطر أو كزبد البحر لغفرتها أفيضوا عبادى مغفورا لكم ولمن شفعتم له وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات وأما نحرك فمدخور لك عند ربك . وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ويمحى عنك بها خطيئة . وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فانك تطوف ولا ذنب لك يأتى ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول : اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك قال الحافظ المنذرى رواه الطبرانى فى الكبيروالبزار واللفظ له وقال قد روى هذا الحديث من وجوه ولا نعلم له أحسن من هذا الطريق قال المملى رحمه الله تعالى وهى طريق لا بأس بها رواتها كلهم موثوقون ورواه ابن حبان فى صحيحه .

فضائل الحـــاج وشـرفه

ومن الشرف الذى ادخره الله تعالى لهذه الامة ، تلك الفضائل العظمى والمناقب الكبرى التى يختص بها الحاج من أفراد هذه الأمة وقد جمعت من تلك المناقب جملة صالحة سنذكر أهمها مع الدليل .

الأول : ان الحاج حجه يهدم ما قبله عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : لما جعل الله الاسلام فى قلبى أتيت رسول الله ﷺ فقلت : ابسط يدك فلأبايعك قال : فبسط فقبضت يدى فقال : مالك ياعمرو ؟ قال : قلت : أشترط قال تشترط ماذا ؟ قلت ان يغفر لى قال : أما علمت أن الاسلام يهدم ما قبله وان الهجرة تهدم ما قبلها وأن الحج يهدم ما قبله . رواه مسلم .

الثانى : أن الحاج مجاهد ، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : جهاد الكبير والصغير والمرأة الحج والعمرة . أخرجه النسائى . وعن عثمان بن سليمان عن جدته أم أبيه قالت : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إنى أريد الجهاد فى سبيل الله فقال الا أدلك على جهاد لا شوكة فيه ؟ فقال : بلى . فقال : حج البيت . خرجه سعيد بن منصور . وعن عمر أنه قال : إذا وضعتم السروج فشدوا الرحال للحج والعمرة فانها أحد الجهادين . خرجه أبو ذر الهروى .

الثالث : أن الحاج من وفد الله ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : وفد الله ثلاثة : الغازى والحاج والمعتمر . خرجه النسائى وخرجه ابن حبان فى التقاسيم والانواع بتقديم بعض اللفظ وزاد فى بعض طرقه [**دعاهم فأجابوا**] رواه حماد بن سلمة من حديث ابن عمر وذكر هذه الزيادة وزاد [**فسألوه فأعطاهم**] وذكره ابن الحاج في منسكه .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : الحجاج والعمار وفد الله إن سألوا أعطوا وإن دعوا أجيبوا وإن أنفقوا أخلف عليهم والذى نفس أبى القاسم بيده :

ما أهل مهل ولاكبر مكبر على شرف من الأشراف إلا هلل ما بين يديه وكبر بتكبيره حتى ينقطع مبلغ التراب خرجه تمام الرازى فى فوائده وخرجه ابن الجوزى فى كتاب مثير الغرام الساكن من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال فى آخره : حتى يبلغ منقطع التراب .

الرابع : أن الحاج مجاب الدعوة .

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ [**خمس دعوات لاترد : دعوة الحاج حتى يصدر ودعوة الغازى حتى يرجع ودعوة المظلوم حتى ينصر ودعوة المريض حتى يبرأ ودعوة الأخ لأخيه بالغيب أسرع هؤلاء إجابة دعوة الأخ لأخيه بالغيب**] حديث صحيح من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس ولذلك كان من السنة أن يطلب من الحاج الدعاء وهذه السنة المطلوبة فعلها ﷺ مع عمر فانه لما استأذن فى العمرة فأذن له ، فقال له : لاتنسنا من دعائك أو أشركنا فى دعائك رواه أبو ذر الهروى .

الخامس : ان الحاج نفقته فى سبيل الله ، عن بريدة قال : قال رسول الله ﷺ : [**النفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله ، الدرهم بسبعمائة ضعف**] خرجه ابن أبى شيبة وأحمد فى مسنديهما .

السادس : أن الحاج درهمه بأربعين ألف ألف ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : [**إذا خرج الحاج من بيته كان فى حرز الله فان مات قبل أن يقضى نسكه وقع أجره على الله وان بقى حتى يقضى نسكه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانفاق الدرهم الواحد فى ذلك الوجه يعدل أربعين ألف ألف فيما سواه . ذكره فى القرى .**

السابع : أن الحاج نفقته مخلوفة ، ثبت فى الحديث : [**الحجاج والعمار وفد الله ان سألوا أعطوا وان دعوا أجيبوا وان انفقوا أخلف عليهم**] خرجه تمام الرازى .

وفى رواية : [**ان الله تعالى يقول لملائكته : واخلفوا لهم ما انفقوا**]

الثامن : ان الحاج معان عن أبى أمامة وواثلة بن الأسقع قالا : قال رسول الله ﷺ : [**أربعة حق على الله عز وجل عونهم الغازى والمتزوج والمكاتب والحاج**] .

التاسع : ان الحاج شافع عن أبى موسى الاشعرى قال : [**الحاج يشفع فى أربعمائة من أهل بيته**] خرجه عبد الرزاق فى مسنده وفى رواية المنذرى : [**من جاء حاجا يريد وجه الله غفر له وشفع فيمن دعا له**] .

العاشر : أن الحاج مغفور له عن جابر رضى الله عنه مرفوعا : [**ما من محرم يضحى لله يلبى حتى تغيب الشمس إلا غابت بذنوبه فعاد كما ولدته أمه**] رواه ابن ماجه .

وفى الحديث عن جابر [**اذا كان يوم عرفة فان الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول : انظروا إلى عبادى شعثا غبرا اشهدوا أنى غفرت لهم ذنوبهم . فتقول الملائكة : يارب فلان يرهق — يعنى يأتى المحارم — قال يقول الله عز وجل : قد غفرت لهم**] أخرجه فى شرح السنة (البغوى)

وهذه المغفرة العامة حتى للتبعات ، فقد روى العباس بن مرداس : ان النبى ﷺ دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة فأجيب : انى غفرت لهم ماخلا الظالم فانى آخذ للمظلوم منه قال : أى رب إن شئت أعطيت المظلوم من الخير وغفرت للظالم فلم يجب فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل قال : فضحك رسول الله ﷺ أو قال تبسم فقال له أبو بكر وعمر : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ان هذه لساعة ما كنت تضحك فيها فما الذى أضحكك ؟ أضحك الله سنك قال : ان عدو الله إبليس لما علم ان الله عز وجل قد استجاب دعائى وغفر لأمتى أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور فأضحكنى ما رأيت من جَزَعه — رواه ابن ماجه .

الحادى عشر : ان الحاج يغفر لمن يستغفر له ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [**اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج**] رواه البيهقى وصححه الحاكم .

وعن مجاهد قال : قال عمر رضى الله عنه يغفر للحجاج ولمن استغفر له الحاج بقية ذى الحجة والمحرم وصفر وعشر من ربيع الأول . رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه وذكر هذا الحضراوى فى العقد الثمين ولذلك كان ابن عمر يقول : اذا لقيت الحاج فسلم عليه وصافحه ومره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته — رواه أحمد فى مسنده فكانوا يحبون أن يدخلوا فى هذه الخصوصية .

الثانى عشر : أن الحاج يباهى الله به الملائكة ، عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا : [ان الله يباهى بأهل عرفات ملائكة السماء] رواه ابن حبان وأحمد .

الثالث عشر : ان الحاج من أهل الجنة [**الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة وبر الحج إطعام الطعام وإفشاء السلام**] رواه احمد والمعنى انه لا يقتصر فيه على تكفير بعض الذنوب بل لابد أن يبلغ به الجنة ولا غرابة بعد هذه الخصائص والمزايا التى امتاز بها الحاج فى أن يحرص المسلم كل الحرص وتشتد رغبته ويعظم طلبه ويجتهد فى حضور هذه المشاهد وإدراك هذه الخصائص ولو كان من أهل الاعذار الذين قد قضوا فرضهم واكثروا من التطوع بهذا النسك الشريف قال بعضهم : رأيت فى الطواف كهلا وقد أجهدته العبادة وبيده عصا وهو يطوف معتمدا عليها فقال لى : فى كم تقطعون هذا الطريق ؟ قلت : فى شهرين فقال فهل تحجون كل عام ؟ فسكتّ فسألته وكم بينكم وبين هذا البيت ؟ قال : مسيرة خمس سنين ، فقلت : والله هذا هو الفضل المبين والمحبة الصادقة فضحك وأنشأ يقول :

زر من هويت وإن شطت بك الـــدار
وحـــال من دونـــه حجب وأستـــار
لا يمنعـــــنك بعـــــد عن زيارتـــــه
إن المحب لمن يهواه زوار

وعن شقيق البلخى رحمه الله تعالى قال : رأيت فى طريق مكة مقعدا يزحف على الأرض فقلت له : من أين أقبلت ؟ قال : من سمرقند قلت : وكم لك فى الطريق فذكر أعواما تزيد على العشرة فرفعت طرفى انظر اليه متعجبا فقال : ياشقيق مالك

تنظر إليّ متعجبا ؟ فقلت : أتعجب من ضعف مهجتك وبعد سفرك فقال : ياشقيق : أما بعد سفرى فالشوق يقويه وأما ضعف مهجتى فمولاها يحملها ، يا شقيق أتعجب من عبد يحمله المولى اللطيف وأنشأ يقول :

أزوركم والهوى صعب مسالكه   والشوق يحمل والآمال تسعده
ليس المحب الذى يخشى مهالكه   كلا ولاشدة الأسفار تبعده



المنـــافع المشـــهودة

قال الله تعالى : [وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم]

ليس القصد من اجتماع الناس فى موسم الحج مجرد أن يطوف المؤمنون بالبيت ، وأن يقفوا بعرفات فقط ، بل هذا من جملة المقاصد ، وقد أفصحت الآية الكريمة عن جملة من المقاصد العظمى التى يجمعها اسم المنافع ، وذلك فى قوله تعالى : [**ليشهدوا منافع لهم**]

فالمنافع التى جعل الحج سبيلا لشهودها والحصول عليها وهى أول ماذكر فى حكمة الحج ــ عامة مطلقة ــ لم تقيد بنوع دون نوْع ، ولا ناحية دون ناحية ، وهى بعمومها واطلاقها تشمل كل ما ينفع الفرد والجماعة ويصلح شأنها .

فطهارة النفس والتقرب إلى الله منفعة والتشاور فى رسم خطط العلم والثقافة منفعة وفى جمع الكلمة على تركيز الدعوة والعمل على إظهار الاسلام بسماحته وأحكامه الرشيدة منفعة واعداد العدة لنسج خيوط الشخصية الاسلامية ثوبا واحدا منفعة ، وأى منفعة ، وامتلاء القلوب بمبدأ المحافظة على تلك الشخصية من التحلل والذوبان منفعة .

وهكذا تتعدد المنافع وتتنوع على حسب مقتضيات الأحوال التى تفرضها الأزمنة ومواقف الناس من الناس . ألا وان ابرز ما تصدق عليه كلمة منافع فيما بين المسلمين أن تتّحد كلمتهم ، وشعورهم فيما يجب أن يتخذوه بحكم دينهم وايمانهم أساسا لحياتهم وهو الاعتصام بحبل الله [**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**] .

والإعتصام بحبل الله يقضى أولا بتنحية الشهوات والأهواء التى تثيرها بينهم العصبيات القبلية والجنسية والمذهبية ، تلكم العصبيات التى دفعت وتدفع بهم إلى جمر التفرق عن سبيل الله الواضحة وتجعلهم فلولا يستعين ببعضها العدوّ المشترك على باقيهم ويقضى على الجميع .

والاعتصام بحبل الله يقضى ثانيا بالنظر السريع فى تنقية العقائد والاعمال بيننا مما يشوبها من صور الشرك والابتداع ، الأمر الذى هيأ لخصوم الاسلام أن يقولوا ان الاسلام ليس دينا واحدا وانما هو أديان متعددة تختلف باختلاف الأقاليم والمذاهب « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا » .

فالاسلام وحدة فى العقيدة والعمل تعرف عناصرها من كتابه المبين الواضح ، وما هذه المظاهر المختلفة التى نراها فى الجماعات الاسلامية الا أثر من آثار الانحراف البشرى بما توحيه العصبيات الكريهة ، وما ينبغى أن تكون حالة المرضى الذين انحرف المرض بطبيعتهم مصدرا سليما لمعرفة تلك الطبائع .

وإذا فعلينا أن نعالج أنفسنا من هذه العلة حتى يعود الينا النقاء والشفاء وعندئذ تكون أحوالنا وشؤوننا مصدرا حقا لقدسية الإسلام وصلاحه ، كما هو واضح فى كتابه :

[إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم]

والاعتصام بحبل الله يقضى ثالثا بالعمل الجاد السريع فى ابراز أهداف القرآن من المرشدين والمصلحين والمدرسين القائمين بالدعوة إلى الله . وذلك بتفسير القرآن تفسيرا سهلا واضحا خاليا من الاسرائيليات والخلافات المذهبية ، وكل ماحشر فى التفسير مما يشغل الناس عن معرفة هدايته وإرشاده التى تظهر بها حقيقة الاسلام ودعوته على وجهها الصحيح لتختفى الأقلام المأجورة على الدعايات السيئة ضد الاسلام وجماله .

والاعتصام بحبل الله يقضى رابعا بملاحظة الدعاة والمرشدين والاطمئنان التام على نضجهم الفكرى ومعرفتهم الصحيحة بأساليب العرض الملائمة وإلمامهم بمواقع البلاد التى يوجهون إليها ونفسيات أهلها وعقائدهم وتقاليدهم وسائر شؤونهم ، فاذا راعى الداعى المرشد هذا كله تبوأ بين الناس مكانة مرموقة عالية .

والاعتصام بحبل الله يقضى خامسا بالنظر السريع الجاد فى تنسيق شؤون الاقتصاد والمعاملات المالية فى المجتمعات الاسلامية والأسس الاسلامية الصحيحة

الواجب الرجوع اليها حتى يزول شبح تلك الجريمة الكبرى التى هى محاربة لله ولرسوله ، ومخالفة ظاهرة ، وخروج صريح وقبيح على أحكام الاسلام الا وهى جريمة الربا .

والاعتصام بحبل الله يقضى أخيراً بالنظر السريع فى توحيد الجهود للعمل على ما يحفظ الكيان الاسلامى ، ويصون هذه المبادىء العظمى من عبث العابثين ، وتخريب المخرّبين وشر المعتدين الظالمين وافساد المفسدين .

ان تشاورنا فى اعداد العدة لإبراز المنافع العظمى التى يقتضيها الاعتصام بحبل الله لأجدى بكثير علينا وعلى ديننا من اعداد العدة لمعرفة قوانين الغرب وفلسفته .

فنحن لا نجنى من وراء ذلك كله قبل بناء حياتنا على الأصالة المتينة فى الفرد المسلم سوى ضياع الروح والثقة بأنفُسنا .



التجـــارة الرابحـــة

من تاجر الله فقد ربحت تجارته ، ومن هاجر الى الله قبلت هجرته ووجبت اجارته ، ومن استجار بكرمه اضاء له وجه السعادة وانار ، ومن حل بحرمه حرمه على النار ، هذه عباد الله أشهر الحج الموسومة بالثج والعج أهلت ــ بالبركات بعد موسم الخير والبركة فبدأت بعيد الفطر ، وختمت بعيد النحر واشتملت على العشر التى هى غرة الدهر يوم الناس فيها البيت العتيق **« رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »** فيا معرضا عن سبيل النجاة ، متى تنصف وتعزم وتقبل على من اقبل عليك ؟ ومتى تسمح فتمسح أركان البيت ، ومتى تكسب بالصفا صفاء وبالركن اليمانى أمانا ؟ متى تشاهد زمزم والحطيم ، متى تدعو فى مقام ابراهيم ، متى تعمر بالعمرة ما تخرب من عمرك بالمعاصى ؟ متى تطفىء جمرات لهيب الاشواق ؟ متى تنزل بالخيف مع النازلين وتصلى فى حجر اسماعيل ، متى تقف بعرفة مع الواقفين ؟ ولا تُسوِّف ولاتماطل شحا وبخلا وغيا ، اتماطل بالفرض رياً غنيا ، اما تخاف مع التسويف ان يباغتك الموت فتموت يهوديا أو نصرانيا .

لقد دعاكم الله الى بيته الحرام فى بلده الحرام ، ووعدكم به فضلا عظيما وإكراما كبيرا من قبول الأعمال ومحو الآثام والخطايا وتوفير الأجر بأتم توفير وتعويض الإنفاق بأكمل تعويض فلا تسوّف من عام الى عام ولا تتعلل بعلائق الدنيا ولا تشتغل بحطامها الفانى عن الخير الباقى فاغتنم فسحة الليالى والايام واعزم على شد الرحال الى معقد الآمال ومحط الأثام .

ان مؤذن الحج ينادى بينكم بالرحيل ويستحث منكم المستطيع . فهذا أوان انضمام الرفيق الى رفيقه وهذا وقت تزاحم الوفود على طرق الخير وسبله تراهم **« رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »**

فلله در أقوام حداهم الشوق الى المقام فسارت بهم مراكب حبهم الى هذه المشاعر المقدسة ، وقد تزودوا من حلال الزاد اتعبوا اجسامهم وتدرعوا درع التقى

وتجنبوا اسباب الآثام والزلل . وياقرة اعينهم اذا عاينوا أشعة الأنوار تسطع من البيت الحرام ، وياطيب مقامهم في مهبط الوحي ومولد النبي ﷺ وهم يترددون بين الحجر والمقام ويا شفاء قلوبهم اذا شربوا من الماء المبارك الذى هو « **شفاء سقم وطعام طعم** » ويا امانهم اذا لجأوا بالملتزم والمستجار فيستر الله عيوبهم ويغسل أوزارهم ويجيب دعاءهم وينالون أوطارهم . وهنيئا لهم اذا قدموا على الملك الجليل وقد اهتزت الأرض بأصوات التلبية والتكبير والتهليل والتحميد ويا شرفهم العظيم بتلبية دعوة ربهم الى منبع الاسلام وركن الاسلام الى معهد تقف الامم بحرمه وتحيا بمشاهدته القلوب الميتة وتفد اليه الخلائق والأمم وفيهم الاصاغر والاكابر وقد اقبلوا صاغرين ووضعوا عن رؤسهم التيجان مفتقرين .

فسبحان الله ما اعظم جوده علينا واكثر تقصيرنا فى حقه فلنستعد لعبادته ولنقم بشكره ثبتنا الله على الهدى .



تاريخ مشروعية الحج

أسس إبراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام الكعبة لعبادة الله وحده فى زمن عمت فيه الوثنية اكثر بلاد الدنيا ثم أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يدعو الناس إلى حج هذا البيت الذى أشرقت منه انوار الهداية الربانية بدين التوحيد الخالص قائلا : **(وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كلّ فج عميق)** فهرع الناس إليه يأخذون منه قواعد الديانة ويتخلصون من أوزار الوثنية وأوضار الشرك إلى عقيدة التوحيد الخالصة : ملة إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين .

وقد انتشر دين إبراهيم عليه السلام فى جزيرة العرب ، وكانت قبائلهم تحج البيت وتعظم حرماته على ما رسمه لهم أبوهم الخليل عليه السلام من اعمال النسك ولبثوا على ذلك أحقابا إلى أن نسوا تلك المعالم وهجروا سنة أبيهم إبراهيم بتقادم الزمن ، وبما عمهم من جهل ، وبقلة ظهور المذكرين والمجددين من الانبياء والمعلمين وباختلاطهم بمن حولهم من الامم وتلقيهم عنهم فنونا من العبادات الوثنية وضروبا من النحل الغريبة التى نقلوها إلى جزيرتهم بعد نسيانهم ديانتهم ، حتى بلغ من جهلهم أن نصبوا الاصنام التى جلبوها من البلاد الخارجية حول الكعبة وفى جوفها ، وجاء الإسلام وهم على هذا الحال من الفوضى الدينية فى العقائد ومع ذلك كانت لهم بقية من ذكريات دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام تطيف برؤوس المتحنفين والمتألهين ، وخصوصا ما اتصل منها بشئون الحج ، فانه كان أوضح مظاهر ذلك الدين القديم وإن كان مختلفا بما لابسه من مذاهب وبدع وخرافات ولماقوى الإسلام ودخل فيه اكثر

العرب وحج النبى ﷺ حجة الوداع فى السنة العاشرة من الهجرة وحج معه مائة ألف وأكثر من اصحابه الكرام يقتدون به ويأخذون مناسكهم عنه قولا وفعلا فجرد شعائر الحج وسننه وآدابه وردها إلى صورتها الأولى على عهد إبراهيم عليهما السلام وجردها عما دخلها من البدع والفساد واقتدى المسلمون بفعل النبى ﷺ فى ذلك العام اقتداء فى غاية من الدقة ولم يتركوا صغيرة ولا كبيرة مما يعرض للحاج منذ خروجه من بيته إلى أن يعود اليه الا سألوه عنها وحفظوا كل لفظة نطق بها مع الحرص البالغ الذى لا مثيل له ويتنافس فى ذلك شبابهم وشيوخهم ورجالهم ونساؤهم وسادتهم وعبيدهم حتى احصوا جميع أقواله وافعاله ﷺ احصاء لم ينقل فى تاريخ أي أمة من الأمم مع زعيم من زعمائها أو حكيم من حكمائها تنفيذاً منهم وعملا **بقوله تعالى** : (**لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر**) .



المعانى الروحية والخلقية فى مدرسة الحج

العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج ، وان اختلفت أوقاتها وصورها ومقاديرها ذات هدف واحد وتلتقى عند غاية واحدة من تحقيق معنى العبودية لله ، بالاخلاص فى طاعته والتوجه اليه وحده والاستعانة به وحده ، والتخلص من ظلام البشرية المادية جمعهم على كلمة سواء من الرقى الروحى المناسب للخلافة عن الله تعالى .

وقد يبدو لبعض أرباب العقول المحدودة ان الحج عبادة رمزية غير معقولة المعنى ولا ظاهرة الحكمة ، وهى فى الحقيقة لها أسرار وحكم ، ولكن العقل لا يدرك ذلك كله بتمامه ، أو لا يرى فى الظاهر حكمته ، وتكون الحكمة هى فى اخفاء الحكمة وابهامها كما سيأتى فى معانى الحج .

فهو نوع من السلوك ولون من الوان التدريب العملى للوصول إلى المثل الأعلى فى الاخلاق والعقيدة والإندماج فى حياة روحية خالصة تمتلىء فيها القلوب بحب الله والاخبات له ، وتنطلق الحناجر هاتفة بذكره فى نشيد علوي خالص : **لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .**

ولا غرابة فى ان تمتاز مدرسة الحج من بين العبادات وتنفرد بأثرها البارز فى نفس المسلم عقيدة واخلاقا وروحانية ، لأن هذه المدرسة انفردت عن العبادات الاخرى بخصائص ومزايا لم تجتمع لغيرها ويتجلى ذلك فى كون الحج عبادة تنظيم من الإنسان : قلبه وبدنه وماله ، وتجب مرة فى العمر على المستطيع القادر عليه من المسلمين فى زمن معلوم وامكنة معلومة ، بنية خالصة مع التجرد من الثياب المخيطة ومن الزينة والترفه ، وفى كونه تمام أركان الإسلام الخمسة ومباينة عبادة العمر وختام الأمر وكمال الدين وتمام الإسلام فيه أنزل قول الله تعالى : [**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا**] ، وفيه جاء عنه ﷺ : [**من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا**] .

فجعل عدم هذه العبادة عدما وفقدا للكمال ، وساوى تاركها باليهود والنصارى فى الضلال .

التـوبة :

يذكر العلماء فى جميع كتب المناسك واحكامها وآدابها أن من يريد الحج عليه ان يبدأ قبل كل شئ بالتوبة من جميع المعاصى بشرط الندم والاقلاع حالا والعزم على عدم العود ورد المظالم إلى أهلها .

وهذه أول تربية يستفيدها المسلم من مدرسة الحج لان التوبة أول منزلة من منازل السالكين ، وأول مقام من مقامات الطالبين [**فاذا انتبه القلب عن رقدة الغفلة ورؤية ماهو عليه من سوء الحال وقبيح الفعال ، وصل بهذا التوفيق إلى درجة يستمع فيها لمالم يخطر بباله من زواجر الحق سبحانه بسمع قلبه ، وحينئذ ترد على قلبه ارادة التوبة والاقلاع عن قبيح المعاملات فيمده الحق سبحانه بتصحيح العزيمة ، والاخذ فى جميل الرجعى ، والتأهب لاسباب التوبة**] .

فاذا ترك المعاصى وحل عن قلبه عقدة الاصرار ، وعزم ان لا يعود إلى مثله ، فعند ذلك يخلص إلى قلبه صادق الندم ، فيتأسف على ما عمله ويأخذ فى التجسر على ماضيعه من أحواله فتتم توبته وتصدق مجاهدته فيمحو بصب عبراته آثار عثرته ويداوى بحسن توبته جروح حوبته .

السياحة والسفر :

ويستفيد المسلم ايضا فى مدرسة الحج نوعا آخر من انواع الرياضات الروحية والمجاهدات النفسية المعروفة ألا وهو السياحة والسفر ، وقد انفرد الرهبانيون فى الملل السالفة عن الخلق بالسفر والتنقل لطلب الانس بالله عز وجل ، فتركوا لله عزّ وجل اللذات الحاضرة وألزموا انفسهم المجاهدات الشاقة طمعا فى الآخرة ، وأثنى الله عز وجل عليهم فى كتابه فقال : [**ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون**] . لكن قد ابدلنا الله تعالى بتلك السياحة الحج ، لانه لما اندرس ما كان عليه السابقون ، وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجر التجرد

لعبادة الله عز وجل وفتروا عنه ، بعث الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ لاحياء طريق الاخرة وتشييد سنة المرسلين فى سلوكها فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة فى دينه ، فقال ﷺ : [**أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف**] . **فقد روى** ابوداود من حديث أبي امامة ان رجلا قال : يارسول الله ائذن لي فى السياحة ، فقال : [**ان سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله ، والحج جهاد فى سبيل الله**] .

تنمية عامل الشوق فى نفس المسلم :

ومدرسة الحج تربى وتنمى فى شخص المسلم الشوق والحب للمشاعر المقدسة والآثار الإسلامية الخالدة ، وهذا الحب ينبنى على التقدير العظيم والاحترام الكبير لها ، وذلك التقدير والاحترام مطلوب من كل مسلم بدليل قول الله تعالى : [**ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب**] . **فجعل تعظيمها تعظيما** له ، والتفريط فى جنبها تفريطا فى جنبه ، وقال : [**ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه**] .

وفى الحج يتصل المسلم اتصالا مباشرا بهذه المشاعر والمآثر الحسية والمعنوية عن مشاهدة ، يتم هذا الاتصال مع شعوره بأن البيت بيت الله عز وجل وانه وضع على مثال حضرة الملوك ، فقاصده قاصد إلى الله عز وجل وزائر له ومع شعوره أيضا بأن هذه الشعائر تجلت عليها رحمة الله وحفتها عنايته بحيث اذا رؤيت ذكر الله وارتبط بها وقائع وحوادث وافعال تذكر بأيام الله وآلائه ودينه وتوحيده وحسن بلاء أنبيائه ، ومع شعوره أيضا أن هذه المشاعر التى سيراها هى مواضع لم يزل الصالحون يعظمونها ويحلون فيها ويعمرونها بذكر الله ، وأن الهمم اذا اجتمعت بهذه الكيفية لا يتخلف عنها نزول الرحمة والمغفرة ، فاذا تم هذا الاتصال بهذا الشعور استفاد المسلم أمرين عظيمين :

اولاً : اشباع رغبته الفطرية الملحة فى القرب والدنو وقضاء حنينه الكامن فى نفسه وارواء غلته وتسلية حنانه وعاطفته وتخفيف حرارة شوقه ووهج نفسه امام شىء محسوس يراه بعينه .

الثانى : تنمية هذا الشوق وتربية هذا الحنين وتقوية جذور المحبة وتغذية

العاطفة لهذه المشاعر ، ويشعر بهذا كل مسلم ويزداد تصور هذه المعانى عند قرب مجىء الوقت الذى يرتبط بمشاهدة هذه المشاعر وهو الحج ، فاذا ما تذكرها انبعث فيه الحنان وازداد الشوق والحماسة ورق قلبه ودمعت عينه وتوجه لله مبتهلا فى دعائه يسأله ان يكون ممن يحضر هذا المشهد .

اثبات عجز العقل بالاذعان للاحكام الإلهية

ويستفيد المسلم فى مدرسة الحج نوعا آخر من أنواع الرياضات الروحية الا وهو تعليم العقل تمام التسليم والاذعان للاحكام الربانية باثبات عجزه وعدم مقدرته على تفسير أمور كثيرة يفعلها ولا يعلم سرها الحقيقى ولا يعقل حكمة ظاهرة ولا معنى واضحا لها فاذا تنقل فى اعمال الحج يرى اعمالا ظاهرها أنها لا تأنس بها النفوس ولا تهتدى إلى معانيها العقول ، كرمى الجمار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار ، وفى هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبوديّة بخلاف الزكاة مثلا فان لها وجها مفهوما معقولا وللعاقل اليه ميل ، والصوم فان فيه كسرا للشهوة التى هى آلة عدو الله وتفرغا للعبادة بالكف عن الشواغل وبخلاف الركوع والسجود فى الصلاة فان فيه تواضعا لله عز وجل بأفعال هى هيئة التواضع ، وللنفوس فيها أنس بتعظيم الله عز وجل .

اما تردُّدات السعى ورمى الجمار وكشف البدن للحَرّ والقرّ والمبيت بمزدلفة تحت السماء والوقوف بعرفات تحت الشمس ، وأمثال هذه الأعمال فلاحظ للنفوس ولا أنس فيها ، ولا اهتداء للعقل إلى معانيها ، فلا يكون فى الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تعرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه [**فان كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا فيكون ذلك الميل معينا لامتثال الامر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد**] ولذلك قال ﷺ فى الحج [**لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا**] . [**رواه البزار والدارقطنى**] .

ولم يقل ذلك فى صلاة ولا غيرها ، فيكون المسلم بعمله هذا المخالف لهوى

طبعه تحت زمام الشرع وعلى سنن الانقياد [وكل مالا يهتدى إلى معانيه أبلغ انواع التعبدات فى تزكية النفوس والاخلاق وتحقيق العبودية] وهذه العبودية فى الحقيقة هى الحكمة الدقيقة والسر العجيب ، ولذلك يردد الحاج بمجرد احرامه وعند كل مناسبة كلمة هى بمنزلة نشيد الجند فى ساحة الحرب ، فتشع منهم روح الحماسة والاقدام ، استمع إلى المحرم وأنصت اليه بقلبك وهو يقول : لبيك اللهم لبيك ، والغرض من ترديد هذه التلبية ماترمى اليه من الاشعار بأن المطلوب من الإنسان ان يعيش كما أمره الله مخلوقا مطيعا وديعا واقفا عند الحدود التى شرعها الله له ، فالحج بمناسكه وأركانه واعماله تمرين وتمثيل للطاعة المطلقة وسعى وراء الامر ، وتلبية وإجابة للطلب ، فالحاج يتقلب بين مكة ومنى وعرفات ومزدلفة يقيم ويرحل ويخيم ويقلع انما هو طوع اشارة ورهين أمر متجرد عن كيف ؟ ولماذا ؟ ولأى شئ ؟

التفكر والتدبر والانتقال بالظاهر فى عالم الشهادة إلى الخفى من عالم الغيب والخفى من المعانى السامية :

ويستفيد المسلم فى مدرسة الحج علما مهما هو : التفكر والتدبر والنظر والاعتبار فى كل ما يشاهده من مواقف ، وفى كل ما يعمله من افعال . وبهذا النظر ينتقل من الظاهر المشاهد إلى الخفى من عالم الغيب والخفى من المعانى السامية .

والفكر هو مفتاح الانوار ومبدأ الاستبصار ، وقد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر فى كتابه العزيز ، فى مواضع لا تحصى ، وأثنى على المتفكرين فقال : [الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا] . وأمر النبى ﷺ بالاكثار من ذكر الموت واحوال القبر والبعث والحشر فقال : [اكثروا من ذكر هاذم اللذات] « حديث حسن صحيح » .

واذا فكر المسلم فى افعاله ومشاهده بهذا المعنى السامى استفاد خيرا كثيرا وفضلا عظيما وتعلم علما ينفعه فى دنياه وأخراه .

التجرد من المخيط :

ففى تجرده من المخيط ولبسه للاحرام ، الازار والرداء عارى الرأس ، اعلى درجات الخضوع والتذلل لله تعالى . وكأنه يقول فى هذه الحالة : يارب إنى لا املك لنفسي من الامر شيئا ، وان كل ما فى هذا الوجود لا أملك منه فتيلا ، وانك أنت المالك لكل كائن وما يكون ، وها انا واقف بين يديك كيوم ولدتنى امى ، ليس عليّ من عرض الدنيا الا ما أستر به العورة . ويربطه ذلك بتذكر حالته عند الموت وهو ملفوف فى ثياب الكفن لا محالة مخالفا عادته فى الزى والهيئة ، فلا يلقى الله الا فى زى مخالف لزى الدنيا ، وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيه مخيط ، وهذا المظهر يروض النفس على المشقة واحتمال المكاره ويرقق القلوب ويطهر النفوس ويزكيها من عناصر الكبر والغطرسة والطغيان والجبروت ، وتعالى الناس بعضهم على بعض ، وعدوان بعضهم على بعض بسبب ما أوتوا من قوة أو مال أو جاه ، فالإنسان مكرم بتكريم الله ولا فضل لاحد على احد الا بالعلم النافع والتقوى الخالصة والعمل الصالح ، كالبذل والجهاد فى سبيل الله لاعلاء كلمة الله .

ممنوعات الاحرام ، ومعنى السلام والامان

واذا دخل الحاج فى نطاق الاحرام ، فانه يحرم عليه اشياء منها : قص الشعر ، وتقليم الظفر ، وقطع الشجر ، والصيد . وهو بهذا الالتزام يتذكر ارتباط الإسلام بالأمان فى كل شيء الامان والسلام الذى جاء به هذا الدين وربى عليه أبناءه بشتى أنواع طرق التربية والتهذيب .

وها هو اليوم يتدرب على هذا الخلق ، انه يتدرب على الامان وعدم التعدى انه يعطى امانا للشجر ، ويعطى امانا للصيد ، فلو قطع أو اصطاد وجب عليه الجزاء ، انه يعطى امانا حتى لنفسه فلا يتعدى على شعره ولا على اظفاره . فهو امان وسلام حتى لهذه الاجزاء من الجسم .

ممنوعات الاحرام ومعنى التسليم والتفويض :

ومن ممنوعات الاحرام ما يشير إلى معنى آخر من المعانى الجليلة التى يسعى اليها وإلى التحقيق بها كل مؤمن صادق — أن المحرم لا يجوز له ان يعطى نفسه رغبتها فى اقرب شئ اليها وألصقه بها . انه لا يجوز له ان يستمتع بأهله ، وهو يملك ذلك ، ولا يجوز له أن يعطى نفسه ما تشتهيه غالبا وتميل اليه من طيب وتجمل بالثياب وترفـه وغير ذلك .

وهو بهذا يتدرب على معنى تسليم وجهه ونفسه لله . انه يضع رغبته وشهوته وحاجته تحت تصرف امر السيد الكبير ، والملك الحق الذى لا اله غيره ولا شريك له .

الطـواف بالبيت :

وفى طوافه بالبيت يرتفع إلى مقام يرى انه متشبه فيه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين به ، فيطوف القلب بحضرة الربوبية .

الاستلام :

وعند استلام الحجر يتذكر انه مبايع لله عز وجل على طاعته فيصمم العزم على الوفاء ببيعته ويعلم أن من غدر فى المبايعه استحق المقت ، فقد جاء فى الحديث : [**من فاوض الحجر الاسود فانما يفاوض يد الرحمن**] « **ابن ماجه** » .

تقبيل الحجر الأسود :

وفى تقبيله للحجر يتذكر عهد الجاهلية يوم أن كانوا يعبدون الأصنام ، يسجدون لها ، ويتقربون اليها ، ويطوفون بها ويتمسحون ويتبركون بها ويقدمون اليها قرابينهم وصدقاتهم وذبائحهم .

ثم جاء الإسلام فهذب تلك النفوس وطهر القلوب ووجه العقول وعلمها قيمة هذه الاحجار وانها حقيرة وضيعة بالنسبة لهم . فهم يتكلمون ويسمعون ويبصرون . وهذه الاحجار لا تتكلم — فلا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر — وجعل

تقبيلهم لها شركا ، فأقبلوا على الله مؤمنين موحدين وأصبح الإيمان والتوحيد يخالط قلوبهم ويستوعب همتهم ونشاطهم واليوم يقبل الحاج بأمر المشرع الأعظم سيدنا محمدﷺ الذى جعل تقبيله عبادة . فهو اليوم يقبل الحجر عبادة لله سبحانه وتعالى ، وامتثالا لامر رسول الله ﷺ بعد أن كان يقبله المشرك عبادة للحجر واشراكا بالله وكفرا برسول الله ﷺ ، فانظر إلى هذه المفارقة العجيبة والذكرى الدقيقة .

وقد أشار ﷺ إلى شئ من حكمة استلامه بقوله : [**الحجر الأسود يمين الله عز وجل فى الأرض يصافح به خلقه**] ، وأعلن عمر بن الخطاب عن مدى الفرق بين استلام المسلم اليوم واستلام الكافر بالامس للحجر فقال : انى اعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولو لا انى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك .

الاضطبـاع :

واذا أراد الطواف فانه يستحب له أن يضطبع وهو : أن يجعل الرجل وسط ردائه تحت منكبه الايمن عند ابطه ويطرح طرفيه على منكبه الايسر ويكون منكبه الايمن مكشوفا .

والاضطباع مأخوذ من الضبع بإسكان الباء وهو العضد وقيل وسط العضد وقيل ما بين الابط ونصف العضد .

والحكمة فى اصل مشروعيته كالرمل اظهار الجلادة والقوة للمشركين عند ماقالوا سيأتيكم اصحاب محمد وقد أوهنتهم حمى يثرب . فاراد ﷺ من المسلمين ان يظهروا من قوتهم ما يغيظ المشركين ويخيب ظنهم ويرد اشاعتهم فلذلك امر المسلمين بالاضطباع والرمل وقال : **رحم الله امرأ اراهم من قوته** .

وبالنسبة الينا اظهار التأسى والاتباع والجد فى العبادة .

السـعى :

والسعى يذكره بأن حالة العبد مع مولاه أن لا ينقطع عن بابه وان يدمن قرعه ويتردد على ساحته جائيا وذاهبا مرة بعد آخرى إظهارا للخلوص فى الخدمة ، واثباتا للافتقار وشدة الحاجة لنظره وعطفه وبره وملاحظته وإحسانه .

ثم يرجع فيتذكر حادثة السيدة هاجر زوج الخليل عليه السلام مع وليدها اسماعيل فى هذا الوادى الرهيب وقد تركهما ابراهيم عليه السلام فأدركهما العطش واشتد بها وبوليدها الامر فذهبت تتفقد ذات اليمين وذات الشمال ما تدفع به الظمأ ، صعدت ربوة الصفا لعلها ترى عينا أو أثرَ الماء فلم تجد ، نزلت للبحث فى مكان آخر ، وسارت فى السعى حتى رأت نفسها فى منخفض اخفى ولدها فهرولت وأسرعت فى السير حتى صعدت إلى المروة لتتفقد الماء وليكون ابنها على مشهد منها وصارت تضرب بين الصفا والمروة عدة مرات كانت فيها مدفوعة بقوة اللهفة مأخوذة بعاطفة الشفقة بالطفل الصغير ، حتى ادركتها عناية الله ونبع لها ماء زمزم بجوار الوليد السعيد .

فيربط بين هذه الحادثة وبين المعنى الأول ويرى ان النتائج لا تنال الا بعد المقدمات وان معاناة المشقة فى العمل تكسب العبد الأجر وان الصادق فى عمله لا يقطعه عنه مايعترضه من صعاب وان العبرة من العمل هى بالاستمرار والدوام فاحب العمل إلى الله أدومه وان قل .

الوقـوف بعرفة :

وفى الوقوف بعرفة نداء قوى للحاج إلى الاقبال على موائد الخير ودعوة مؤثرة له إلى اكتساب الغفران والرحمة وحث عظيم له على ادراك اسباب الفوز والفلاح والنجاح ، وينال ذلك بأمرين .

الأول : بمشاركة ارباب العزائم والهمم وتقليد اهل المعرفة لان رؤية المجدين المجتهدين فى اعمالهم تبعث فى نفوس غيرهم الهمة وتولد فى قلوبهم الحرارة والشوق لتقليدهم والتشبه بهم ، والتشبه بالكرام فلاح .

الثانى : بحضور تلك الجمعية المباركة الحضور [**مجرد الحضور فقط**] فيدخل معهم فيما يحفهم من البركات ويفاض عليهم من الامدادات لان جليس الصالحين لا يشقى .

وان اجتماع المسلمين فى زمن واحد ومكان واحد راغبين فى رحمة الله ، داعين

متضرعين اليه ، له تأثير عظيم فى نزول البركات وانتشار الروحانية ، ولذلك كان الشيطان يومئذ أدحر واحقر ما يكون خصوصا وان هذا المكان كان الانبياء يؤمونه ويعبدون الله فيه وتوارث ذلك من بعدهم .

فاذا اجتمعت الهمم فى ذلك الموقف الشريف والمقام الكريم وتجردت القلوب للضراعة والابتهال ، وارتفعت الأيدى وشخصت الأبصار نحو السماء ، وامتدت الاعناق بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظن أن الرب سبحانه وتعالى يخيب أملا ، ويضيع سعيا ويدخر رحمة ، ولذلك قيل : ان من اعظم الذنوب ان يحضر رجل عرفات ويظن ان الله تعالى لم يغفر له .

ثم اذا رأى فى هذا الموقف ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الجماعات لأئمتهم ومرشديهم وسيرهم بسيرهم واقتفاءهم لهم ، يتذكر بهذا مشهدا من مشاهد يوم القيامة الا وهو الحشر ، عندما يساق الناس بعد البعث والنشور حفاة عراة غرّلا إلى أرض بيضاء [**قاعا صفصفا ، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا**] فيزدحم الخلائق يدفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام فى يوم تقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر فى أمورهم فتنقطع الاعناق وتحترق الاجواف ويبلغ بهم من الجهد مالاطاقة لهم به .

رمي الجمـــرات :

وفى رمى الجمار يتذكر قصة ابراهيم عليه السلام امام الملة الحنيفية ، وهذه الذكرى من اهم مقاصد الحج الرئيسية لان فيها تجديد الصلة بامام الملة الحنيفية ومؤسسها ابراهيم عليه السلام والتشبع بروحه والمحافظة على ارثه ، قال الله تعالى : [**ملة أبيكم ابراهيم**] فمن الواجب المحافظة على ما استفاض عن امامها كخصال الفطرة ومناسك الحج .

وأوضح الملامح واشد المواطن اتصالا بهذه الذكرى هى رمى الجمرات ، ذلك ان هذه الاماكن هى التى ظهر فيها الشيطان لابراهيم عليه السلام يوسوس له ويحاوره ويحاول معه ليصرفه عن إمتثال أمر الله وطاعته حيث امره الله بذبح ولده اسماعيل فبذل لابراهيم كل جهد وفتح له كل باب لمعاودة النظر فى ذلك الامر الالهى بقصد

التأويل بمالأ يحقق طاعة الله ، لكن ابراهيم عليه السلام الذى اختاره الله أبا لانبيائه وجعله امة فى الصبر والحلم والثبات قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ، قد اتجه بكل قوته وايمانه وعزمه إلى تنفيذ ما أمره الله به ، ولعن الشيطان وزجره ورماه بحصيات رجع بها اللعين خاسئا مدحورا .

وليس هذا عند رمي الجمار فحسب ، بل ان كثيرا من اعمال الحج ومناسكه تسيطر عليها روح هذه الدروس الابراهيمية وتبعث فى النفس تذكرها وتذكر ما اختص به فى هذه المواقف من الصفحات الجليلة والمعانى السامية التى يأتى فى أولها التوحيد والتوكل على الله والتفانى فى سبيله وايثار طاعته ومرضاته والتمرد على العادات والمعايير الزائفة والمثل المصطنعة وتجديد الإيمان القوى والحب العميق والتضحية الفائقة والايثار الرفيع .

منهج الاخلاق فى مدرسة الحج :

ويستفيد المسلم فى مدرسة الحج خصالا كثيرة من الاخلاق الحسنة والآداب الإنسانية الراقية يتعلمها ويتدرب عليها . وذلك لانه يعلم أنه لن يغفر ذنبه ولن يستر عيبه ولن تنمحى خطاياه ولن يقبل عمله ولن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، ولن يكون من أهل الجنة حتى يكون حجه مبرورا ، ولا يكون مبرورا الا اذا حج فلم يرفث ولم يفسق ، ومعلوم ان العاقل لا يرضى ان يتكبد مشاق السفر والتعب والرحلة والانفاق ثم يرجع بخفي حنين فقيرا خاليا من هذه المكاسب والمغانم .

فاذا علم ان هذه المكاسب والمغانم لا تنال الا بالاخلاق المرضية والآداب الشرعية ، فانه يلزم نفسه بها ويدربها ويمرنها عليها ويخرج بعد ذلك وقد راض نفسه وتوّجها بتاج الأخلاق وزينها وحلاها بذلك ، فيتجنب السباب والمشاتمة والسخرية وفحش التعبير واللعن والطعن وامثال هذه الأمور التى ليست هى من صفات المؤمنين ، والتى هى سبب البغضاء ووسيلة الفتن والبلاء وبها يقع التشاحن والتنافر والتباغض ويراعى اخوة الإسلام التى تطلب من المسلم العطف والرحمة والمساعدة والمواساة لاخوانه المسلمين ، والتى تطلب منه التسامح الذي هو ايمن الصفات الحميدة أثرا وأجزلها فائدة وأعودها بالخير ، يؤلف القلوب ويقرب النفوس ، والذى

هو ثمرة جليلة لمجموع طائفة من الاخلاق الكريمة ، منها : الحلم والصبر والعفو عند المقدرة والتواضع والسخاء .

وهكذا يعيش المسلم فى الحج فى هذه المدرسة التى يتلقى فيها انواعا مختلفة من الدروس العلمية والعملية ، وضروبا متنوعة من أنواع الرياضات الروحية والأخلاقية .

وبذلك نظم الإسلام الأرض وعمارتها واسعادها ورفاهيتها ، ورسم لها مثلا عليا وحدد لها طريقا سويا ، ووضع لذلك المنهج القويم والسبيل المستقيم ولم يقف فى بيانه عند الكلام والنظر ، بل ربطه بوسائل العمل فكان الحج من هذه الوسائل العملية ، يقول الله سبحانه وتعالى : [**ليشهدوا منافع لهم**] فشرع الحج لجميع هذه الفوائد والمنافع التى نعلم منها الكثير ونجهل منها الكثير ، وربما كان ما نجهله اكثر مما نعرفه ، ولذلك اطلق المنافع ونكرها وأبهمها ودل هذا التعبير البليغ على كثرتها وتنوعها وتجددها فى كل زمان ، وأنها اكثر من أن يأتى عليها الاحصاء والاستقصاء وان هذه المنافع منها ما يتعلق بالمال ، ومنها ما يتعلق بالبدن ، ومنها ما يتعلق بالروح ، ومنها ما يتعلق بالاخلاق ، ولا يشهد هذه المنافع جملة أو تفصيلا الا من عمل فى حجه عملا مطابقا لسنة رسول الله ﷺ ، أو سنة خلفائه الراشدين .

وبعد ، فهذه درة من عقد ، وغيض من فيض ، وقطرة من بحر اسرار هذه الشريعة المطهرة ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .



من أسرار الحج

فى رحلة الحج دروس ومواقف هى تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر ، وتنبيه للمريد الصادق وتعريف وإشارة للفطن ، فمن وفقه الله تعالى للوقوف عليها فتح له بابها وعرفه أسبابها ، فينكشف له من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه .

وأكبر درس ينبغى أن لا يفوتنا فهمه وإدراكه هو الدرس الذى يتضمن الحكمة العامة التى تحيط بهذه الرحلة وما فيها من مشاهد ومشاعر من أول الحج إلى آخره .

وهذا الدرس يتلخص فى أنه ينبغى أن نعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها ، والتجرد لله سبحانه فى جميع الحركات والسكنات ولأجل هذا انفرد الرهبانيون فى الملل السالفة عن الخلق ، وانحازوا إلى قمم الجبال وأكثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالحق فتركوا لله عز وجل اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعاً فى الآخرة وأثنى الله عز وجل عليهم فى كتابه فقال : [**ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون**]، فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل وفتروا عنه بعث الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين فى سلوكها فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة فى دينه فقال ﷺ : « أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف »رواه أبو داود ، يعنى الحج .

وسئل ﷺ عن السائحين فقال : « هم الصائمون » رواه البيهقى فى الشعب .

فأنعم الله عز وجل على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم فتشرف البيت العتيق بالاضافة إلى نفسه تعالى ونصبه مقصداً لعباده وجعل ما حواليه حرماً لبيته

تفخيماً لأمره ، وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق شعثاً غبراً متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعاً لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ، ليكون ذلك أبلغ فى رقهم وعبوديتهم وأتم فى إذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها أعمالاً لا تأنس بها النفوس ولا تهتدى لمعانيها العقول كرمى الجمار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الأعمال يظهر كال الرّق والعبودية بخلاف الزكاة مثلاً فان فيها احساناً ورفقاً والعقل يميل إلى ذلك ويستحسنه ويرى منفعته على كل حال .

وبخلاف الصوم ، فإن فيه كسراً للشهوات التى هى آلة عدو الله وتفرغاً للعبادة بالكف عن الشواغل ، وبخلاف الصلاة فإن فيها تواضعاً لله عز وجل بأفعال هى هيئة التواضع ، كالركوع والسجود ، والنفس تأنس بتعظيم الله عز وجل .

أما ترددات السعي ورمى الجمار وتحديد مواعيد الوقوف وأمثال هذه الأعمال فلاحظ للنفوس فيها ولا أنس للطبع بها ولا اهتداء للعقل إلى معانيها فلا يكون فى الاقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الإمتثال للأمر من حيث أنه أمر واجب الاتباع فقط ، وفيه عزل للعقل عن تعرفه وصرف الطبع والنفس عن محل أنسه ، فإنه كل ما أدرك معناه العقل مال الطبع إليه ميلاً .

ولذلك يقول ﷺ فى الحج على الخصوص : « لبيك بحجة حقاً تعبداً ورقاً » رواه البزار والدارقطنى .

ولم يقل ذلك فى صلاة ولا غيرها ، ومن هنا يظهر أن تكليف العباد بأعمال على خلاف ما هو طباعهم مما لا يظهر لهم معناه هو أبلغ أنواع التعبدات فى تزكية النفوس وصرفها على مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق وهذا من الدقائق التى يستشكلها كثير ممن غرق فى بحار الذهول والغفلة عن أسرار التعبدات الالهية .

آداب السفر إلى حج بيت الله الحرام

الحج رحلة دينية وسياحة تعبدية ، فإذا أردت أيها الأخ السفر من بلادك لأداء مناسك الحج ، فعليك ملاحظة الآداب النبوية فى السفر ومراعاتها لتكون رحلتك كلها على الصفة الشرعية الواردة فيكون ذلك أدعى للقبول وأرجى لبلوغ المأمول .

وابدأ أولاً بالاستشارة فيستشير مريد السفر فيه إخوانه الصالحين الناصحين ، فإن بدا له صلاحه صلى صلاة الاستخارة المعلومة فى السنة النبوية بدعائها المأثور ، فإن انشرح صدره إليه أوصى وأشهد على وصيته واستسمح من كان يعامله مما قد يكون له من حق عليه ، مذهول عنه ، واسترضى والديه وشيوخه ، وجدد معالم التوبة الدينيَة فى نفسه ، واستعلم عن أحكام ما يقصد اليه من سفره حجاً كان أو تجارة ، واستصحب مع علمه كتاباً أيضاً لما قد يعرض له من حوادث .

وإذا أراد الخروج صلى ركعتين استحباباً ، ففى الحديث الشريف : ما خلف عبد على أهل أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفراً ، رواه الطبرانى .

ثم يقرأ آية الكرسى وسورة لايلاف قريش والاخلاص ثم يدعو بإخلاص قائلاً :

اللهم بك أستعين وعليك أتوكل اللهم ذلل لى صعوبة أمرى وسهل علي مشقة سفرى وارزقنى من الخير أكثر مما أطلب واصرف عنى من السوء كل شيء .

رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ، اللهم إنى استحفظك وأستودعك نفسي ودينى وأهلى وأقاربى وكل ما أنعمت علىّ وعليهم به من آخرة ودنيا ، فاحفظنا جميعاً من كل سوء يا كريم ، ويختم دعاءه ، ثم إذا نهض يقول ما رواه أنس — رضى الله عنه — مرفوعاً : (**اللهم إليك توجهت وبك اعتصمت اللهم اكفنى ما اهمنى وما لا اهتم له ، اللهم زوّدنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهنى للخير أينما توجهت**) . ثم إذا خرج من بيته قال : (**بسم الله توكلت على الله ، اللهم إنى أعوذ بك أن أضِلّ أو أُضلّ أو أذِلّ أو أُذلّ أو أظلم أو أُظلم أو أجهل أو يجهل علي**) .

وتوديع المسافر يكون باللفظ المأثور عن النبى ﷺ :

(استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ، زوّدك الله التقوى وغفر ذنبك ويسر لك الخير حيثما كنت) .

فإن ركب عربته أو أى واسطة للنقل قال : **(سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون)** ، ومعنى **(مقرنين)** ، مطيقين ، إذ لولا تسخير الله لنا هذه الدواب وهذه الوسائط النقلية وتذليله لها ما استطعنا ركوبها .

روى مسلم فى صحيحه : عن ابن عمر — رضى الله عنهما — أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً للسفر مجد الله وسبح وكبر ثلاثاً ثم قال : **(سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانّا إلى ربنا لمنقلبون . اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى ، اللهم هوّن علينا سفرنا هذا واطوعنا بعده . اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل . اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى الأهل والمال والولد)** وإذا رجع قال هذا الدعاء أيضاً وزاد : **(آيبون تائبون — عابدون لربنا حامدون) .**

والوعثاء التعب والشدة والمشقة ، والمأثور فى طلوع الثنايا التكبير وفى هبوط الوديان التسبيح ففى صحيح البخارى : عن جابر — رضى الله عنه قال : **(كنا إذا صعدنا كبرنا وإذا نزلنا سبحنا) .**

وفى الصحيحين : كان النبى ﷺ فى الحج أو العمرة كلما أوفى على ثنية أو فلاة كبر ثلاثاً ثم قال : **(لا إله إلا الله وحده لا شريك له ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده) .**

وإذا رأى بلدته قال مع هذا : اللهم اجعل لنا بها قراراً حسناً ثم يبدأ بالمسجد فيصلى فيه ركعتين فيرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه فإذا دخل عليهم قال بعد السلام والتحية ما قاله ﷺ : **(توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر حوبا — أى إثما) .**

ويستحب له فى سفره أن يستكثر من الزاد والنفقة ليواسى منه المحتاجين وينفق

على المساكين ويسعى أن يكون طيب النفس بما ينفقه ليكون أقرب إلى القبول ويستحب له ترك الخصومة والجدل فيما يشتريه لأسباب حجه .

وينبغى أيضاً أن يطلب رفيقاً موافقاً راغباً فى الخير كارهاً للشر إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه ، وإن تيسر مع هذا كونه من العلماء فليتمسك به فإنه يعينه على مبارّ الحج ومكارم الأخلاق ، ويستحب أن تكون يده فارغة من مال التجارة ذاهباً وراجعاً ، فإن ذلك يشغل القلب .

ويستحب أن يتجنب الشبع المفرط والزينة والترفه والتبسط فى ألوان الأطعمة فإن الحاج أشعث أغبر .

ويستحب الاكثار من الدعاء فى جميع سفره لنفسه ولوالديه وأحبابه وولاة المسلمين وسائر المسلمين لأن دعوة المسافر مستجابة .



يسـألونك عـن الأهـلة [المواقيت]

قال الله سبحانه وتعالى : [**يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون**] .

سأل الصحابة رضوان الله عليهم النبى ﷺ عن الأهلة ، لم تبدو دقيقة ثم تزيد حتى تمتلىء نوراً ، ثم تعود كما بدأت ولا تكون على حالة واحدة كالشمس ؟ ؟ ويحتمل أن يكون السؤال عن الغاية والحكمة ، والأهلة جمع هلال من استهل الصبى إذا بكى وصاح حين يولد ، ومنه : أهل القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية ، سمى هلالاً لأن الناس يرفعون أصواتهم بالاخبار عنه .

فأرشده الله سبحانه وتعالى أن يقول لهم : هى مواقيت للناس يعلمون بها أوقات زرعهم ومتاجرهم وعدة نسائهم وصيامهم وافطارهم ووقت الحج ، فلو كان الهلال مدوراً كالشمس أو ملازماً حالة واحدة لم يكد يتيسر التوقيت به ، وهذا الجواب على الاحتمال الأول وهو سؤالهم عن حقيقتها يسمى بالأسلوب الحكيم ، وهو إجابة السائل بغير ما يطلب تنبيهاً له على أن الأولى أن يسأل عنه .

وعلى الاحتمال الثانى وهو سؤالهم عن حكمتها لا عن حقيقتها يكون الجواب مطابقاً للسؤال .

ولما كان من فوائد هذه الأهلة معرفة أوقات الحج بين لهم أمراً يتعلق بالحج كانوا يفعلونه عند احرامهم واهلالهم إذا دخل وقت الحج .

وهو : انهم كانوا إذا أحرموا فى الجاهلية أتوا البيت من ظهره ، فأنزل الله سبحانه وتعالى : [**وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى**] كما رواه البخارى . وكذا رواه أبو داود الطيالسى بلفظ:

« كان الأنصار إذا قدموا من سفرهم لم يدخل الرجل من قبل بابه فنزلت هذه الآية :[وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها]» .

قال الامام القرطبى فى تفسيره : وفى هذه الآية ان ما لم يشرعه الله قربة ولا ندب اليه لا يصير قربة بان يتقرب له به متقرب ا هـ .

قال بعض العلماء : وإذا أشكل ما هو بر وقربة بما ليس برا وقربة ينظر فى ذلك العمل فان كان له نظير فى الفرائض والسنن فيجوز أن يكون براً وقربة ، قال : وبذلك جاءت الاثار عن النبى ﷺ ، وذكر حديث ابن عباس رضى الله عنهما بينما رسول الله ﷺ يخطب إذ هو برجل قائم فى الشمس فسأل عنه فقالوا : هو أبو اسرائيل ، نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم ، فقال النبى ﷺ : [**مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه**] فأبطل النبى ﷺ ما كان غير قربة مما لا أصل له فى الشريعة ، وصحح ما كان قربة مما له نظير فى الفرائض والسنن .

وهكذا جعل الله سبحانه وتعالى هذه الأهلة علامة للناس يعرفون بها زمن الحج وهو الميقات الزماني الذي قدره الشارع للعبادة ، وهى الأشهر المعلومات .

فلا يجوز الإحرام بالحج إلا فيها ، وهي شوال وذو القعدة وعشرة أيام من ذي الحجة ، وعند أبي حنيفة وأحمد : إدخال يوم النحر ، وقال الإمام مالك : شوال وذو القعدة وذو الحجة ، وعند الشافعية : شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة فإن أحرم بالحج من غير أشهره كره ، وانعقد عند الثلاثة وعند الشافعية الأصح أنه ينعقد عمرة لا حجاً .

ودليل الميقات الزماني قوله تعالى [**الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج**] البقرة : ١٩٧ .

وأما الميقات المكاني فقد فصلته السنة المطهرة المشرفة في حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ [**وقت لأهل المدينة ذا الحليفة ، ولأهل الشام الجحفة ، ولأهل نجد قرن المنازل ، ولأهل اليمن يلملم ، هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة ، ومن كان دون ذلك فمن حيث انشأ حتى أهل مكة من مكة**] أخرجه الشيخان وغيرهما .

أما ذو الحليفة وهى تعرف اليوم أيضاً بـ[آبار علي] فقرية عامرة بها المسجد المأثور الذي صلى فيه النبي ﷺ في طريقه إلى الحج وأحرم منه ، على يسار المتوجه لمكة ، تبعد عن المدينة المنورة بنحو ثلاثة أميال ، تقطعها السيارة من المدينة في ربع ساعة بالسير المتوسط .

ويمتاز هذا الميقات على سائر المواقيت بأنه نال شرف احرام سيد الوجود عليه الصلاة والسلام من عنده ، وهو أبعد المواقيت من مكة المشرفة ، إذ هو عن مكة على نحو عشر مراحل بالإبل المثقلة بالحمل ، وبالسيارة على نحو ست ساعات بالسير المعتدل ، ومزية أخرى هي : أن من أحرم منه أحرم من حرم إلى حرم .

أما الجحفة فهي ميقات أهل الشام ومصر والمغرب ، ومن سلك طريقهم وسميت بذلك لأن السيل أجحفها في بعض الأزمنة ، وهى تبعد عن مكة بنحو خمس مراحل على الجمال ، وبنحو ثلاث ساعات في السيارات ، ورابغ من أعمال الجحفة ومتصلة بها .

وأما قرن المنازل فهو ميقات أهل نجد ويسمى قرن الثعالب ، وأما يلملم فهو ميقات أهل اليمن إذا مروا بطريق تهامة ، فإن مروا بطريق الجبال فميقاتهم ميقات نجد الحجاز .

فهذه المواقيت لأهلها ولمن يمر عليها من غير أهلها ، فلو مر الشامي على ذي الحليفة لزمه الاحرام منها إذا أراد النسك ، وليس له مجاوزتها إلى الجحفة التي هي ميقاته فإن أخر أساء ولزمه دم ، وبهذا قال الشافعي وأحمد وفي رواية عنه .

أما عند مالك فإن له مجاوزة ذي الحليفة حلالًا ، لأن ميقاته أمامه وكذا عند أبي حنيفة وإن كان الأفضل لمن ذكر الاحرام من ذي الحليفة .

ولايجب الإحرام من عين هذه المواقيت بل يجوز من محاذاتها ولمن يمر بها من غيرهم قاصداً للنسك ومن جاوز الميقات غير قاصد للنسك ثم قصده أحرم من المكان الذي قصد منه للنسك .

ويدل قوله ﷺ : « **لمن أراد الحج والعمرة** » على جواز دخول مكة بغير احرام لمن لا يريد حجاً ولا عمرة ، فهذا يعنى الذى لا يريد الحج ولا العمرة ، ومر بالميقات لا يلزمه الاحرام ، ولو كان يقصد مكة لحاجة مثلاً ، فله أن يتجاوزه غير محرم ، وهذا مذهب الشافعية .

وقال الجمهور ، وهم المالكية و الحنابلة و الحنفية بغير هذا ، وهو : أن من أراد دخول مكة ومر على أحد هذه المواقيت أخرم منه ، ولا يجوز أن يدخلها بغير احرام ، لقوله ﷺ : « **لا يجاوز الميقات إلا باحرام** » .

قال الكمال فى فتح القدير : رواه ابن ابى شيبة فى مصنفه . وما فى مسلم والنسائى أنه ﷺ دخل يوم الفتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير احرام كان مختصا بتلك الساعة للحديث « **مكة حرام لم تحل لأحد قبلى ولا لأحد بعدى** » الحديث .

وهذا يفيد ان قصد مكة كقصد النسك وقاصد النسك يجب عليه الاحرام .

الحج الركن الخامس للإسلام

الحج أحد قواعد الاسلام الخمسة المعلومة من الدين بالضرورة ، المجمع على فرضيتها .

وقد اختلف فى تعيين سنة فرضيته . فقال جماعة : فرض سنة خمس من الهجرة ، وبهذا قال كثير من أهل العلم ، لأنه نزل فيها قوله تعالى : « **وأتمو الحج والعمرة لله** » بناء على أن المراد : وأتوا بالحج تاما .

قال الشهاب القسطلانى فى المواهب اللدنية : ويؤيده قراءة علقمة ومسروق وإبراهيم النخعى بلفظ « **وأقيموا** » رواه ابن جرير الطبرى بأسانيد صحيحة عنهم . وقيل : المراد بالاتمام الاكمال بعد الشروع ، وهذا يقتضى تقدم فرضه قبل ذلك وقد وقع فى قصة ضمام ذكر الامر بالحج ، وكان قدومه على ماذكره الواقدى سنة خمس . وهذا يدل — ان ثبت — على تقدمه على سنة خمس أو وقوعه فيها قبل قدوم ضمام .

وقالت طائفة من أهل العلم « انه فرض فى السنة التاسعة من الهجرة » حكاه النووى فى الروضة ، والماوردى فى الاحكام السلطانية ، وصححه القاضى عياض والقرطبى ، وصوبه ابن القيم فقال : ان الحج فرض سنة تسع وإن آية فرضه وهى قوله تعالى : « **ولله على الناس حج البيت** » نزلت عام الوفود أو آخر سنة تسع ، وأنه عليه الصلاة والسلام لم يؤخر الحج بعد فرضه عاما واحدا ، وهذا هو اللائق بهديه وحاله ﷺ ، اهـ .

وكذا مما يحتج به لهذا القول أن صدر سورة آل عمران نزل عام تبوك سنة تسع وفيها ناظر أهل الكتاب ، ودعاهم إلى التوحيد ، وفيه نزلت آية ، « **يأيها الذين امنوا إنما المشركون نجس** » والمناداة بها كانت سنة تسع ، وبعده حج الصديق رضى الله عنه يؤذن بذلك فى موسم الحج ، واردفه بعلى رضى الله عنه ، وحج رسول الله ﷺ بعد الهجزة حجة واحدة فقط سنة عشر .

والحج شرعا عبادة يلزمها طواف وسعى ووقوف بعرفة ليلة عاشر ذى الحجة على وجه مخصوص ، وهو فرض فى العمر مرة ، وواجب على المسلمين وجوبا كفائيا كل عام لاقامة موسم الدين ، فلذا ينبغى لمن أراد الحج بعد أداء الفريضة أن ينوى إقامة الموسم لينال ثواب فرض الكفاية ، قال الله تعالى : « **إن اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا** » بين الله تعالى :

أولا : أنّ فى هذه الاية المذكورة شرف البيت والحرم .

ثم دعا كافة الناس إلى الحج « **أحد أركان الاسلام** » بالايات والاحاديث والاجماع ، ثم اكد ذلك فى نهاية الاية بتسمية من تركه كافرا ، « **ومن كفر فان الله غنى عن العالمين** » .

أما الاستطاعة يعنى فى قوله تعالى : « **من استطاع إليه سبيلا** » فهى ف الاصل طواعية الفعل وتأتيه ، والمراد به الارادة المقتضية للقدرة ، والقدرة اما بالبدن أو بالمال أو بهما ، وإلى الاول ذهب الامام مالك ، فيجب الحج عنده على من قدر على المشى والكسب فى الطريق ، والى الثانى ذهب الامام الشافعى ، ولذا أوجب الاستنابة على الزمن إذا وجد أجرة من ينوب عنه ، والى الثالث ذهب الامام أبو حنيفة ، اه .

روى الامام الترمذى فى جامعه عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا** » وذلك أن الله تعالى يقول : « **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا** » وليس المراد بملك الراحلة خصوص شرائها ، بل هو أعم من ذلك ، كالقدرة على استئجارها أو استئجار ما يوصله الى الحج من نحو طائرة أو سيارة أو باخرة .

وقال الامام أبو عبد الله القرطبى (فى الجامع لاحكام القرآن) : وذكروا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : لقد هممت أن أبعث رجالا إلى الامصار

فينظروا إلى من كان له مال ولم يحج فيضربوا عليه الجزية فذلك قوله تعالى : « **ومن كفر فان الله غنى عن العالمين** » .

وعن الحسن البصرى رضى الله عنه قال : ان من ترك الحج وهو قادر عليه فهو كافر .

وهذا كله خرج مخرج التغليظ والزجر لتارك النسك الواجب وتخويفه ، فيحمله ذلك على القيام بأدائه ، أو هو محمول على من انكر أصل مشروعية الحج ، أو على من استحل تركه مع استطاعته ، ولهذا قال علماء المالكية ومن يرى رأيهم : تضمنت الاية أن من مات ولم يحج وهو قادر ، فالوعيد يتوجه عليه ، ولا يجوز ان يحج عنه غيره لان حج الغير لو أسقط عنه الفرض لسقط عنه الوعيد .

وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى : لو مات جار لى وله ميسرة ولم يحج لم أصلّ عليه .

وقد جاءت الاحاديث الصحيحة والآثار الجمة العديدة فى وعيد من تأخر عن فريضة الحج وهو مستطيع الاداء ولم يحج مرة فى عمره .

تفصيل مهم في مسألة المعضوب :

وأما المعضوب العاجز عن الحج بنفسه لهرم أو مرض لايرجى برؤه فإن وجد أجرة من يحج عنه لزمه الحج ، فإن لم يفعل استقر الحج في ذمته عند الثلاثة .

وقال الإمام مالك رحمه الله : المعضوب لا يجب عليه الحج وأما الأعمى إذا وجد من يقوده ويهديه الطريق يجب عليه الحج ولا يجوز له الاستنابة عند الأئمة الثلاثة .

وقال الإمام أبوحنيفة رحمه الله : يلزم الحج في ماله وله أن يستنيب من يحج عنه . والله أعلم .

ودليل وجوب مشروعيته عن الغير : حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاءت إمرأة من خثعم عام حجة الوداع ، قالت : يارسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوى على الراحلة ، فهل يقضي عنه أن أحج عنه ؟ قال : نعم . متفق عليه .

فان كنت أيها المكلف من ذوى الغنى واليسار ، وأنت ممن يسطع فى قلبه نور الايمان وتشتعل بين جوانحه نار الشوق حنينا الى الربوع المقدسة وبلاد الله وبيته الحرام ، وتحب أن تشاهد البطاح الحرمية والمشاهد المباركة المكية والمدنية التى تشرفت بالانوار الساطعة المحمدية ، فما عليك إلا أن تعزم وتبادر للقيام بأداء هذه الفريضة الدينية ، وتبدى من عزائمك القوية ونشاطك الباهر ما يبرهن أنك من عباد الله الصادقين الذين استجابوا لله ورسوله ، واخلصوا ، وإياك ثم إياك من التعلل والتسويف ، وابداء الأعذار الباردة ، فان للتأخر آفات وآفات :

إذا هبت رياحك فاغتنمها　　　فعقبى كل عاصفة سكون

أمدنا وإياك بتوفيقه .

هذا وقد امتلأت الدنيا بالمخترعات الحديثة للراحة والنقل والاركاب ، وكثرت فى انحاء البلاد المقدسة السيارات ، وأضحت أقطار الدنيا مرتبطا بعضها ببعض بفضل الله تعالى ومتصلة ببلد الله الحرام ، وبلد نبيه عليه الصلاة والسلام ، ومهد الطريق وقرب البعيد ، وانطوت المسافات ، وأصبح الحج أياما معدودات . أما الطمأنينة والامن على النفس والمال فى هذه البلاد ، فكل ذلك حدث عنه ولا حرج ، فقد صار الامن فى كل الايام ، وخصوصا فى أيام الموسم وازدحام البلاد بحجاج بيت الله الحرام مضرب الامثال فلله الحمد والشكر على ما أنعم وتفضل أوزعنا الله لشكر نعمه ، فأقبل وبادر وشمر وسافر . ولاتنسنا يأخى من دعائك ، واخز الشيطان الخاسر باقامة الشعائر فى هذه المشاعر ، ولا تنسنا من دعائك فى خلواتك وجلواتك وصادق توجهاتك .



أنــواع الاحـــرام

وللإحرام ثلاث كيفيات اتفقوا على جواز الحج بها وهي :

١ - **الإفــراد** : وهو أن تقول : نويت الحج ، وأحرمت به لله تعالى وتتجنب محظورات الإحرام ، وتلبى ، وتذكر الله حتى تصل إلى مكة المشرفة وتطوف طواف القدوم ، وتسعى للحج وهو الأفضل ، ولا سعي عليك غيره ، وتظل بإحرامك حتى تقف في عرفة وتنزل إلى المزدلفة .

وتأتى بالمبيت الواجب ، وهو جزء من الليل بقدر حط الرحال ، ثم تنزل إلى منى ، وترمي جمرة العقبة ، وتحلق أو تقصر وتطوف طواف الإفاضة وتنتهى من أعمال الحج كلها ثم تأتى بالعمرة من سنتك هذه ، سواء تقدمت العمرة على الحج أو تأخرت ، ولكن تأخرها عن الحج أفضل ، هذه صفة الإفراد الفاضلة ، فإن أخرت العمرة عن سنة الج ، كان التمتع والقران أفضل .

٢ - **التمـتـع** : وهو أن تقول : نويت العمرة وأحرمت بها لله تعالى ، ثم تذهب إلى مكة كما تقدم ، وتطوف طواف العمرة وتسعى بين الصفا والمروة وتحلق أو تقصر ، وقد حللت من العمرة ، وفي اليوم الثامن من ذي الحجة تحرم بالحج وتأتي بأعماله كاملة ، ويجب عليك في هذه الحالة دم وهو شاة مجزئة في الأضحية .

٣ - **القــران** : وهو أن تقول : نويت الحج والعمرة ، وأحرمت بهما لله تعالى ، أو تحرم بالعمرة ، وقبل أن تشرع في أي عمل من أعمالها تدخل عليها الحج ، وتعمل مثل المفرد ، ويجب عليك دم القران وهو مثل دم التمتع .

ولايجوز عند الشافعية إدخال العمرة على الحج ، ويجوز عكسه بالإتفاق ، ومال إلى جوازهما ابن تيمية في الإختيارات الفقهية .

الإشــراط فـي الإحــرام .

وهو أن يقول : عند إحرامه إن حبسنى حابس فمحلي حيث حبستني ، فعند الأحناف إذا اشترط التحلل من العمرة أو الحج لمرض أو عدوّ حلّ ووجب

عليه الدم لأن الإشتراط عندهم لايفيد التحلل من المرض فإن اشترط معه الهدي وجب ، وإن لم يشترط فلا يجب .

أما الإحصار بسبب العدو ، إذا تحلل به فيجب الهدي ، سواء اشترط التحلل به أم لا .

وعند الحنابلة يستحب الإشتراط ويفيد الأمرين :

(١) إن منعه عدو أو عاقه مرض أو غيرهما جاز له التحلل .

(٢) أنه إذا تحلل بذلك لايجب عليه شيء لا هدي ولا صوم ، سواء كان المانع عدواً أو مرضاً أو غيرهما .

والأصل في ذلك الحديث ، عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : دخل النبي ﷺ على ضباعة بنت الزبير فقالت : يارسول الله إني أريد الحج وأنا شاكية ، فقال النبي ﷺ : حجي واشترطي إن محلي حيث حبستني . متفق عليه .

شـروط وجـوب الحـج :

شروط وجوب الحج المتفق عليها عند الأئمة الأربعة هي : الإسلام ، والحرية ، والتكليف ، والإستطاعة ، وفيها كلام عندهم .

أركان الحـــج :

اعلم أن فرائض الحج أى الأركان التي لايجبرها الدم ، النية للاحرام ووقوف عرفة وطواف الإفاضة والسعى بين الصفا والمروة وزاد الشافعية الحلق والترتيب في معظم الأركان ، وقال الإمام أبو حنيفة يجبر السعى بالدم لأنه واجب ليس بركن .

واجـبات الحـج :

١ - الإحـرام من الميقات : تقدم أن الاحرام ركن ، أما الواجب فهو : أن يكون إحرامه من الميقات المعين له فإن أخر الاحرام عن الميقات وجب عليه الدم ولكل جهة ميقات معين .

٢ - الوجود بمزدلفة [المشعـر الحـرام] : وهو مكان واقع بين عرفات ومنى وذلك ليلة العيد ولو بعض الليل ، والواجب نصف الليل الأول .

٣ – رمي الجمار : (آ) ويبدأ بجمرة العقبة وتكون وحدها يوم النحر ويدخل وقتها بانتصاف ليلة النحر بعد الوقوف بعرفة .

(ب) أن يرمى الجمرات الثلاث أيام التشريق على الترتيب ، الصغرى فالوسطى فالعقبة – لمدة يومين إن تعجل وثلاثة إن تأخر – ويبدأ وقت الرمي أيام التشريق بعد الزوال ويجوز الرمي إلى الليل وحتى أثناء الليل ولو تأخر رمي جمرات اليوم الأول إلى اليوم الثاني بسبب مرض أو ضرورة صحّ ولا دم عليه .

(جـ) أن يحقق معنى الرمي ، فلو وضع الحجر في المرمى دون قذف لم يعترف بذلك.

(د) أن يتحقق إصابة المرمى أي إصابة السارية أو وقوعة في الحوض ولو لم يصب السارية .

(ز) أن يكون الرمي بسبع حصيات بمقدار الحمّصة الكبيرة يرمى بكل حصاة مرة ولا يجوز جمعها ويكبر مع كل حصاة ويدعو بعد الجمرة الأولى والثانية .

٤ – المبيت بمنى وشروطه : أن يوجد أكثر الليل من ليالي التشريق بمنى ولايضر غيابه عن منى في أول الليل أو في آخره .

٥ – كيفية التحلل من الإحرام : يجب على الحاجّ عند تحلله من إحرامه (حجّاً أو عمرة) أن يحلق شعره أو يقصره ، والحلق أفضل للرجال أمّا النساء فلهن التقصير فقط ويستحب له أن يغتسل ويلبس شيئاً ويضع الطيب بعد تحلله من الإحرام .

أحـــكام الإحـــرام

إذا أراد الانسان الاحرام فإنه يطلب منه فعل أشياء وترك أخرى ، يطلب منه قص الشارب ونتف الابط ، وقلم الأظفار ، وحلق العانة ، وغسل كل البدن ، وتطييبه ، ولبس إزار ورداء ، وكونهما أبيضين وجديدين ، ولبس نعلين ، وصلاة ركعتين بنية الاحرام ، ويقرأ فى الأولى بعد الفاتحة « **قل يا أيها الكافرون** » ، وفى الثانية « **قل هو الله أحد** » وصلاتهما فى المسجد إن كان فى الميقات مسجد ، والاحرام من الميقات مع ابتداء سيره نحو مكة ، وهو مستقبل القبلة ، متلفظ به بقوله : « **نويت الحج وأحرمت به لله تعالى** » وقوله بعد ذلك سراً ، مع السعى فى الطريق « **لبيك اللهم بحجة لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك** » هذا إن أراد الاحرام بالحج وإن أراد الاحرام بالعمرة فيقول : بعمرة أو القران فيقول : بحجة وعمرة ويجهر بها ويصلى على النبى ﷺ بعدها ، ويطلب منه ملازمة التلبية بعد كل صلاة فرضا ، ونفلاً، وأول النهار ، والليل ، وآخره ، وعند الزوال ، والسحر وطلوع الشمس ، والقمر ، ودخول المنزل ، والخروج منه ، والقيام والقعود ، وازدحام الناس ، ولغطهم ، وحطهم ، ورحيلهم والصعود ، والهبوط .

ويترك الرجل ستر الرأس ، ولبس كل ما أحاط بالبدن أو بعضه ، والمرأة ستر الوجه ، ولبس القفازين ، ويترك الرجل والمرأة الطيب فى البدن ، والثياب ، والأكل ، والفراش ، ودهن شعر الرأس ، واللحية ، والحاجب ، والشارب ، والعنفقة ، وشعر الخدين واخراج شعور البدن ، وقلم ظفره ، والجماع ومقدماته ، واستدعاء خروج المنى ، وعقد النكاح ، واصطياد كل صيد برى وحشى مأكول والزينة فى لباسه ، ومركوبه ، ورحله ، وحضور عقد النكاح والترفه فى مأكوله ومشروبه ، والكلام المحرم ، والفاحش والمتعلق بالجماع والنساء والخصام والكحل ، ودهن سائر البدن غير الشعور المارة واخراج قمل الشعور المارة ، والملاهى ، والتجارة وكل ما يشغل القلب والحك بالظفر للشعر والحجامة والفصد وخضب شعر رأسه ولحيته بنحو الحناء وغسلها بنحو سدر .

ويحرم على المحرم أن يعقد الرداء أو يزرره أو يخلله بخلال أو يربطه بخيط فى طرفه ثم يربطه فى طرفه الآخر فإن فعل فعليه الفدية عند الأئمة الثلاثة .

ويجوز أن يشد على الازار هميانا ومنطقة وهو المعروف بـ (الحزام) .

ويجوز أن يعقد الازار ويشد عليه خيطاً بنحو تكة .

ويؤخذ من عبارات الفقهاء الشافعية جواز لبس الساعة اليدوية فى الاحرام .

ويحرم لبس كل نعل ستر أعلى القدمين كالجزمة والصرمة والخف وجاز كنعل الحجاز أن يلبس فى الاحرام عند الجميع ومثلها بعض النعال التى تجلب من الخارج كالنعل اليابانية .

ويحرم على المرأة أيضاً لبس القفازين ، وهو شراب اليد كالرجل ولها ستر رأسها بل هو المتأكد عليها ولبس المخيط وجميع ما كانت تلبسه قبل إحرامها كالقميص والسراويل والخف والخز والحرير عند الجميع .

ويحرم على الرجل المحرم تغطية الرأس لغير عذر بما يعد ساتراً كعمامة وطربوش وخرقة وعصابة عند الجميع .

ولا بأس بالاستظلال بالشمسية والخيمة والجلوس فيها ولو وضع على رأسه حملا أوقفة أو حشيشاً لحاجة جاز إن لم يقصد به الستر وإلا حَرُم ووجبت الفدية عند الثلاثة ولو وضع يده على رأسه وإن طال أو انغمس فى ماء فلا حرمة ولا فدية عند الجميع .

ويجوز لمن أراد الاحرام أن يتجرد من ثيابه وأن يلبس ثياب الاحرام قبل الميقات ثم إذا وصل إلى الميقات أو حاذاه نوى الاحرام ولو نوى الاحرام قبل الميقات فإنه ينعقد ويلزمه .

المحرم إذا خرج منه دم ، أو جرح شيء من أطرافه أو انقلع ظفره أو سنه فلا شيء عليه . وكذا لو اغتسل بالماء وغير ملابس الاحرام بأخرى أو بلون غير أبيض ليس عليه شيء والمرأة ليس لثيابها لون مخصوص بل تحرم فى الثياب البيضاء والملونة وعلى ما تريد .

تنبيـــه :

ينبغى أن يعلم أنه لا تلازم بين كون الشىء جائزاً ووجوب الفدية . فقد يجوز المحظور بالاحرام لعذر ، والعذر إنما ينفى الاثم ويبقى وجوب الفدية لحق المساكين ، ومن هنا يتبين خطأ بعض الجهلة فإنهم يتعمدون لبس (الفلينة) فى حالة الاحرام بلا عذر ، وإذا نبهوا إلى أن ذلك ممنوع يجيب أحدهم بأنه مستعد باخراج الفدية ومثل هذا ينبغى أن يعلم ويفهم ، ولا شىء فى تساقط شىء من الشعر بإمرار يَدٍ عليه عند الوضوء أو الغسل أو تساقط بنفسه . وله أن يدخل أصبعه لمخاطة ينزعها ولا شىء عليه .

ويجوز للمحرم حلق رأس الحلال أو حلق رأس محرم قضى نسكه وأراد التحلل .

ويحرم على المحرم لدى جمهور الائمة أن يعقد نكاحاً لنفسه أو لغيره وكل نكاح كان الولى أو وكيله محرماً أو الزوج أو الزوجة فهو باطل لا ينعقد عند الائمة الثلاثة خلافاً للسادة الحنفية .



من سنن الحج

عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه زيد ان النبى ﷺ تجرد لاهلاله واغتسل » رواه البيهقى فى السنن .

هذا الغسل هو أحد الاغتسالات المطلوبة فى الحج وآكدها ، والغسل الثانى لدخول مكة والغسل الثالث لوقوف عرفة بعد الزوال ، وزاد بعضهم الغسل للرمى .

وهذا الغسل الاول سنة من سنن الاحرام القبلية المؤكدة وصفته كسائر الاغتسالات المشروعة ، فيتنظف فيه كما يريد ، ويزيل الوسخ ، وما شاء من الشعر ، لأنه لم يحرم ولم يدخل فى حرمات الاحرام .

وهذا الغسل الأول تفعله النفساء والحائض ، بخلاف الغسل الثانى الذى يسن لدخول مكة فلا تفعله الحائض والنفساء لانه للطواف بالبيت وهى لا يجوز لها الطواف حتى تطهر ومشروعية هذا الغسل للحائض والنفساء مستفادة مما رواه الامام مالك فى موطئه عن اسماء بنت عميس رضى الله عنها أنها ولدت محمد بن ابى بكر بالبيداء وهو طرف ذى الحليفة فذكر ذلك ابو بكر لرسول الله ﷺ فقال مرها فلتغتسل ثم لتهل ، اى تحرم وتلبى وايضا لماروى ابو داود بسنده الى ابن عباس ان النبى ﷺ وسلم قال : [**النفساء والحائض إذا أتتا على الوقت تغتسلان وتحرمان وتقضيان** » اى تؤديان المناسك كلها غير الطواف بالبيت ولاشك ان فى اغتسال الحائض والنفساء حكمة جليلة وهى تشبههما بأهل الفضل والكمال وذلك علم جليل عند أربابه الذين يستحبون لاهل التقصير ان يتشبهوا بأهل الفضل ، ويقتدوا بأفعالهم طمعا فى ادراك مراتبهم ورجاء مشاركتهم فى نيل المثوبة ، ومعلوم ان اغتسال الحائض والنفساء قبل اوان الطهر لا يطهرهما ولا يخرجهما عن حكم الحدث وانما هو لفضيلة المكان والوقت ، ومن هذا الباب أمر النبى ﷺ ان يمسكوا بقية نهار عاشوراء عن الطعام وكذلك القادم فى بعض نهار الصوم يمسك بقية نهاره فى مذهب الفقهاء .

والعادم الماء والتراب والمصلوب على الخشبة والمحبوس فى الحبس والمكان القذر يصلون على حسب الطاقة عند بعضهم ولا يجزئهم وعليهم الاعادة عند الامكان .

وفى امره ﷺ الحائض بالاغتسال دليل على ان الطاهر اولى بذلك وفيه دليل على أن المحدث اذا أحرم اجزأه احرامه وفيه بيان ان الطواف لا يجوز إلا طاهرا ، وعند التتبع لدواوين السنة النبوية تجد الأمثلة على استحباب التشبه بأهل الفضل والكمال كثيرة ، فمنها ما رواه أرباب الصحيح وغيرهم عن أم عطية رضى الله عنها قالت : أمرنا ﷺ أن نخرج فى الفطر والأضحى العواتق والحيض وذوات الخدور فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين ، قلت : يا رسول الله احدانا لا يكون لها جلباب ، قال : « لتلبسها اختها من جلبابها » .

وفى رواية قالت : كنا نؤمر ان نخرج يوم العيد حتى تخرج البكر من خدرها وحتى تخرج الحيض فيكبرن بتكبيرهم ويدعين بدعائهم رجاء بركة اليوم وطهرته .

ومن سنن الاحرام أيضا صلاة ركعتين للاحرام فقد كان عبد الله بن عمر اذا اراد الخروج إلى مكة يصلى ركعتين ثم يركب راحلته ثم يحرم ويقول : هكذا رأيت رسول الله ﷺ فعل . قال البيهقى فى سننه : رواه البخارى .

وروى ابن عباس وجابر رضى الله عنهم ان النبى ﷺ صلى بذى الحليفة ركعتين ثم أحرم .

قال النووى : حديث جابر صحيح رواه مسلم وحديث ابن عباس رواه ابو داود .

ولا يصح ان يتساهل الانسان فى صلاة الركعتين قبل الاحرام بقدر الامكان لان الصلاة خير موضوع تفتتح به هذه العبادة ، كما ثبت فى الحديث : الصلاة خير موضوع فمن شاء استقل ومن شاء استكثر » رواه أحمد والبزار وابن حبان . ويقرأ فى الركعة الاولى بعد الفاتحة سورة [الكافرون] وفى الثانية سورة [**الاخلاص**] لاشتمالهما على اخلاص التوحيد لله والتوجه الى الله عز وجل المتأكد على المحرم مراعاته ، وان كان الوقت فريضة فصلاها أغنته عن الركعتين .

ومن سنن الاحرام ان يكون الازار والرداء ابيضين لقوله ﷺ : [**البسوا من ثيابكم البياض فانها خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم**] .

ماجاء في التلبية وصفتها

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن تلبية رسول الله ﷺ : **لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك.**

قال شيخنا حسن المشاط رحمه الله : (التلبية) مصدر لبى أى قال : لبيك ، وفي مشروعية التلبية تنبيه على إكرام الله تعالى لعباده بأن وفودهم على بيته إنما كان باستدعاء منه سبحانه وتعالى فهو إذا لا بد أن يكرمهم ويتفضل عليهم ، ولفظ لبيك مثنى عند الجمهور للتكثير والمبالغة ومعناها إجابة بعد إجابة ولزوماً لطاعتك ومثله حنانيك أي تحننا بعد تحنن (لبيك اللهم لبيك) أى ياالله أجبناك فيما دعوتنا ومعنى هذا إجابة دعوة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين أذن في الناس بالحج .

فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما لما فرغ إبراهيم عليه لسلام من بناء البيت الحرام قيل له : أذن في الناس بالحج ، قال : يارب ! وما يبلغ صوتي ، قال : أذن وعليَّ البلاغ ، قال : فنادى إبراهيم : أيها الناس ! كتب الله عليكم الحج إلى البيت العتيق ، فسمعه من بين السماء والأرض ، أفلا ترون الناس يجيبون من أقصى الأرض يلبون .

ومن طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وفيه : فأجابوا بالتلبية في أصلاب الرجال وأرحام النساء وأول من أجابه أهل اليمن فليس حاج يحج من يومئذ إلى أن تقوم الساعة إلا من كان أجاب إبراهيم يومئذ .

فضل التلبية ورفع الصوت بها :

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [مامن مسلم يلبّى إلا لبى مَن عن يمينه وشماله من حجر وشجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ههنا وههنا] . رواه الترمذي وابن ماجه .

وعن السائب بن خلاد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [**أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي ومن معي أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية أو بالإهلال . يريد أحدهما**] رواه الإمام مالك في موطئه.

وعن زيد بن خالد الجهنى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [**جاءني جبريل فقال : يامحمد مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها من شعار الحج**] رواه ابنا خزيمة وحبان في صحيحيهما وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وفي هذا الحديث استحباب رفع الصوت بالتلبية .

روى البخاري في صحيحه عن انس رضي الله عنه قال : صلَّى رسولُ الله ﷺ بالمدينة الظهر أربعاً والعصر بذي الحليفة ركعتين وسمعتهم يصرخون بها جميعاً .

قال الشيخ عبدالرحمن المباركفوري في تحفة الأحوذي روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن بكر بن عبدالله المزني قال : كنت مع ابن عمر فلبى حتى أسمع مابين الجبلين .

وأخرج أيضا بإسناد صحيح من طريق المطلب بن عبدالله قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أصواتهم بالتلبية حتى تبح أصواتهم . كذا في فتح الباري .

قال ابن الهمام في فتح القدير : رفع الصوت بالتلبية سنة فإن تركه كان مسيئا ولا شيء عليه ، ولا يبالغ فيه فيجهد نفسه كى لا يتضرر ، ثم قال : ولا يخفى أنه لامنافة بين قولنا لا يجهد نفسه بشدة رفع الصوت وبين الأدلة الدالة على استحباب رفع الصوت بشدة إذ لا تلازم بين ذلك وبين الإجهاد إذ قد يكون الرجل جهورى الصوت عالياً يحصل الرفع العالى منه مع عدم تعبه . اهـ .

قال يحيى بن يحيى الراوي عن مالك عقب حديث الباب : إنه سمع أهل العلم يقولون ليس على المرأة رفع الصوت بالتلبية أي لأنه يخشى من صوتها الفتنة لتسمع المرأة نفسها .

قال مالك : لا يرفع المحرم صوته بإهلال في مساجد الجماعات أي لئلا يخلط عليهم إذ رفع الصوت على المصلى ولو بقراءة القرآن إذا كان يشوش على المصلى لايجوز ليسمع نفسه ومن يليه إلا في المسجد الحرام ومسجد منى فإنه يرفع صوته فيهما

أى بالتلبية لأن المسجد الحرام جعل للحاج وغيره وكذا مسجد منى .

قال مالك : سمعت بعض أهل العلم يستحب التلبية دبر كل صلاة وعلى كل شرف أى مكان مرتفع من الأرض وكذا يندب لقيام وقعود ونزول وركوب وصعود وهبوط وملاقاة رفاق وسماع ملب ، وإذا رأى مايعجبه قال : لبيك إن العيش عيش الآخرة .

فـائـــدة :

رغّب العلماء في الصلاة والسلام على معلم الأمة الخير صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد الفراغ من التلبية لما رواه القاسم بن محمد أنه قال : يستحب للرجل إذا فرغ من تلبيته أن يصلى على النبي ﷺ كما يطلب منه الدعاء وأن يسأل الله رضوانه والجنة لما جاء عن خزيمة بن ثابت أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من التلبية سأل الله عزوجل رضوانه والجنة واستعاذ برحمته من النار .

واستحب بعضهم أن يزيد : اللهم أعنى على أداء فرض الحج وتقبله مني واجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك واجعلني مِن وَفْدِك الذين رضيت عنهم ، اللهم قد أحرم لك شعري وبشري ودمي ومخى وعظامي ، ولا تنس أن تدعو لوالديك ولأحبابك ومن أوصاك من المسلمين ، ثم اختم ذلك بالصلاة والسلام على خير معلم وداع إلى الحق عليه الصلاة والسلام لعل الكريم الذي لا تتخطاه الآمال أن يتقبل مابين الصلاتين بمنه وكرمه .

وليحذر الملبى في حال تلبيته من أمور يفعلها بعض الغافلين من الضحك واللعب ، وليكن حال التلبية مقبلاً على ماهو بصدده بسكينة ووقار ، ويشعر نفسه أنه يجيب الباري سبحانه وتعالى فإذا أقبل على الله تعالى بقلبه أقبل الله عليه وإن أعرض أعرض الله عنه ، نبه عليه الإمام خليل وهو تنبيه وجيه يجب على الحاج التيقظ له والإرشاد إليه والزجر لمن أخل به .

وقد كان بعض السلف إذا أراد الإحرام وعزم على النطق بألفاظ التلبية يتغير لونه ويقشعر جلده وتعلوه المهابة والجلال يخشى أن يقول : لبيك فيقال له : لا لبيك ولا سعديك فتجده يرددها بكل خوف لمشاهدته جلال الله وعظمته والإعتراف بالتقصير والجلال والخشية في العبد على قدر القرب والمعرفة من الرب وفقنا الله لمراشده آمين

ماتقول إذا رأيت بيت الله الحرام
وما ينبغي أن تستحضره عند رؤيته من الخشوع والتذلل

عن ابن جريج أن النبي ﷺ كان إذا رأى البيت رفع يديه وقال : [**اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة وزد من شرّفه وكرّمه ممّن حجه واعتمره تشريفاً وتكريماً وتعظيماً وبرًّا**] رواه الإمام الشافعي رضي الله عنه في مسنده .

قال شيخنا حسن المشاط رحمه الله في مناسكه [إسعاف أهل الإسلام] :
قال الإمام الشافعي في الأم عقب حديث ابن جريج : أخبرنا سعيد بن سالم عن ابن جريج قال : حدثت عن مقسم مولى عبدالله بن الحارث عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : [**ترفع الأيدى في الصلاة ، وإذا رأى البيت وعلى الصفا والمروة وعشية عرفة وبجمع وعند الجمرتين وعلى الميت**] .

قال الإمام الشافعي : فأستحب للرجل إذا رأى البيت أن يقول : ماحكيت وما قال من حسن أجزأه إن شاء الله تعالى .

قال شيخنا رحمه الله تعالى في [بدائع المنن في ترتيب مسند الإمام الشافعي والسنن] (قلت) : وذهب إلى استحباب رفع اليدين عند رؤية البيت جمهور العلماء حكاه ابن المنذر عن ابن عمر وابن عباس وابن المبارك وأحمد وإسحاق ، قال : وبه أقول ، قال الإمام النووى وهو مذهبنا .

(قلت) : وذهب أبوحنيفة ومالك إلى عدم الرفع.

وفى البــاب عند الإمام البيهقي مرفوعاً عن مكحول قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة فرأى البيت رفع يديه وكبر [**وقال : اللهم أنت السلام ومنك السلام فحيّنا ربّنا بالسلام**] .

وزاد : [**اللهم زد هذا البيت تشريفاً**] كما في الحديث المتقدم .

(قلت) وذكر شيخنا رحمه الله تعالى في الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد من زوائد الباب أثراً آخر عن سعيد بن المسيب قال : سمعت من عمر رضى الله تعالى عنه كلمة مابقى أحد من الناس سمعها غيري ، سمعته يقول : إذا رأى البيت :

اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام . رواه البيهقي .

فينبغى لمن دخل مكة أن يقول عند لقاء البيت هذا الذكر مستحضراً عظمة هذا البيت وجلال المقام .

وحكى أن امرأة جعلت تقول : أين بيت ربِّي حتى أرى لها فألصقت جبينها بالبيت وما رفعت إلا ميتة .

وعن الشبلي رضي الله تعالى عنه أنه غشى عليه عند رؤية البيت ثم أفاق فأنشد

هـذه دارهـم وأنـت محـب :: مابقـاء الدمـوع في الآمـاق

والتشريف هو الترفيع والإعلاء ، والتعظيم : التبجيل ، والتكريم : التفضيل .

قال العلامة محمد بن علان الصديقي المكي في فتوحاته : وكأن حكمة تقديم التعظيم على التكريم في البيت وعكسه في قاصده أن المقصود بالذات في البيت إظهار عظمته في النفوس حتى يخضع زائره لشرفه ويقوم بحقوقه ثم كرامته بإكرام زائريه بإعطائهم ماطلبوه وانجازهم ما أملوه ، وفي زائره وجود كرامته عند الله تعالى بإسباغ رضاه عليه وعفوه عما جناه واقترفه ، ثم عظمته بين أبناء جنسه بظهور تقواه وهدايته أيضاً ، ويرشد إلى هذا ختم دعاء البيت بالمهابة الناشئة من تلك العظمة إذهي التوقير والإجلال وختم دعاء الزائر بالبر الناشيء عن ذلك التكريم إذ هو الإتباع في الإحسان فتأمله أشار إليه بعض المتأخرين .

هـذا وقد جاء أنه يستجاب الدعاء في أربعة مواطن : عند التقاء الصفوف في الجهاد ، وعند نزول الغيث ، وعند إقامة الصلاة ، وعند رؤية الكعبة .

وفي أثر ابن المسيب تكرر ذكر السلام ثلاثا فالأول في قوله : أنت السلام إسم من أسماء الله تعالى البالغ عددها مائة إلا واحداً ، والثاني في قوله : ومنك السلام أي السلامة من كل مكروه ونقص منك لا من غيرك ، والثالث في قوله : فحينا ربنا بالسلام أي الأمن مما جنيناه والعفو عما اقترفناه ، ومثل هذه الأذكار في مثل هذه الأماكن المستجابة من قصاد بيت الله العظيم مما يرغب فيه ويغتنم فعليك بالمحافظة على ذلك فإنها من التوفيق بمكان وفقنا الله وإياك وجعلنا ممّن يريده للخير .

الطـواف والسـعى

الطـواف :

قال الفقيه ابن رشد في بدايته : أجمع العلماء أن الطواف ثلاثة أنواع : طواف القدوم على مكة ، وطواف الإفاضة يوم النحر بعد رمي جمرة العقبة ، وطواف الوادع ، وأجمعوا أن الواجب منها الذي يفوت الحج بفواته هو طواف الإفاضة ، وأنه المعنيّ بقوله تعالى : [**ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق**] وأنه لا يجزى عنه دم ، وجمهورهم على أنه لايجزىء طواف القدوم عن طواف الإفاضة إذا نسى طواف الإفاضة لكونه قبل يوم النحر ، وجمهورهم على أن طواف الوداع يجزىء عن طواف الإفاضة إن لم يكن طاف طواف الإفاضة لأنه طواف بالبيت معمول في وقت طواف الوجوب الذي هو طواف الإفاضة ، وأجمعوا فيما حكاه ابن عبدالبر أن طواف القدوم والوداع من سنة الحاج إلا لخائف فوات الحج فإنه يجزىء عنه طواف الإفاضة .

الرمـل في الطـواف :

هو بفتح الراء والميم وهو أن يسرع بمشيه مقارباً خطاه في الأشواط الثلاثة الأول وهو سنة في كل طواف يعقبه سعى ، وزاد بعضهم هز الكتفين هزاً خفيفاً كالمتبختر بين الصفين ، والمراد بيان شيء من صفة الطواف ودليله عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول خب ثلاثاً ومشى أربعاً وكان يسعى ببطن المسيل إذا طاف بين الصفا والمروة .

وفي رواية : رمل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحجر إلى الحجر ثلاثاً ومشى أربعاً . رواه الإمام أحمد والشيخان .

وسبب هذا الرمل مافي حديث الصحيحين المروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه إلى مكة في عمرة القضية فقال المشركون إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن يرملوا الأشواط الثلاثة وإن يمشوا مابين الركنين ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الابقاء عليهم اهـ .

هذا كان في عمرة القضاء سنة سبع ، ولما حج عليه الصلاة والسلام سنة عشر وكانت مكة [ولا تزال دار إيمان ودين إلى يوم القيامة] رمل عليه الصلاة والسلام في طوافه قبل السعى فكانت سنة عامة في كل زمن وهو أصل في قولهم إن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فإن السبب قد زال وإذا فعلنا هذا الرمل كان سببا باعثاً على تذكر نعمة الله تعالى فقام مقام الشكر وكان حافزاً على الشكر لله إزاء تلك النعمة وعزة الإسلام في ذلك اليوم الذي دخل فيه النبي صلى الله عليه وسلم مكة معتمراً عمرة القضاء وأعداؤه المشركون جلوس بدار الندوة أمام ميزاب البيت يشاهدون الصحب الكرام وعلى رأسهم رسول الإسلام والسلام يطوفون بالبيت الحرام كأنهم الغزلان ولذلك قال سيدنا عمر رضي الله عنه : لما انتشر الإسلام وظهرت عزته فما لنا والرمل إنما كنا راءين المشركين وقد أهلكهم الله ثم قال : صنعه النبي صلى الله عليه وسلم فلا نحب أن نتركه .

واعلم أن الطائف لو ترك هذه السنة لا دم عليه ولا يطلب منه أن يرمل فيما بقى من الأشواط .

شــروط الطــواف :

الأول : كونه سبع مرات تامة يقيناً فلو ترك من السبع شيئاً لم يكف أوشك في العدد بنى على الأقل إذا كان الشك في أثنائه أما بعد الفراغ فلا يضر .

الثانـي : كونه في المسجد .

الثالث : ستر العورة عند القدرة على الستر وعورة الرجل والأمة مابين السرة والركبة ، وعورة المرأة الحرة جميع بدنها إلا الوجه والكفين عنداً من الفتنة .

الرابـع : الطهارة من الحديث الأكبر والأصغر ولو كانت الطهارة بالتيمم .

الخامس : البدأ بالحجر الأسود فلا يكفى البدء بغيره .

الســادس : أن يكون البيت على يسار الطائف .

وهذه الشروط لاتختص بطواف الركن بل هي شرط لكل طواف والله أعلم .

وقد ذكر العلماء في كتب المناسك زيادات وتفصيلات كثيرة فمن أراد الزيادة فليرجع إليها .

ويندب للطواف أمور منها المشي فيه إلا لعذر والموالاة بين الطوفات والسكينة والوقار وعدم الكلام إلا في خير والقرب من البيت مالم يؤذ أو يتأذ بزحمة الطائفين .

السعي :

السعي بين الصفا والمرة أحد أركان الحج عند الجمهور ولقوله ﷺ كما في مسلم : [**ماأتم الله حج امرىء ولا عمرته لم يطف بين الصفا والمروة**] ولفعله عليه الصلاة والسلام وقوله : [**خذوا عني مناسككم**] .

وعند الحنفية واجب يجبر بدم قال الله تعالى : [**إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطّوّف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم**] البقرة : ١٥٨ .

وسبب نزولها مارواه شعبة عن عاصم قال : سألت أنس بن مالك عن الصفا والمروة فقال : كانا من شعائر الجاهلية فلما كان الإسلام أمسكوا عنها فنزلت الآية .

وروى الإمام مالك في موطئه بسنده إلى عروة بن الزبير أنه قال : قلت لعائشة أم المؤمنين وأنا يومئذ حديث السن : أرأيت قول الله تبارك وتعالى : [**فلا جناح عليه أن يطّوّف بهما**» فما على الرجل شيء إلا يطوف بهما فقالت عائشة : كلا لوكان كما تقول لكانت فلا جناح عليه إلا يطوف بهما إنما نزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلّون بمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله تبارك وتعالى [**إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما**] .

شروط السعي :

ويشترط لصحة السعي شروط منها :

الأول : كونه سبع مرات بحسب الذهاب من الصفا إلى المروة مرة ومن المروة إلى الصفا مرة أخرى ، ولا بد أن تكون السبع متيقنة ، فلو شك في العدد قبل الفراغ

بنى على الأقل بجعل الأربعة ثلاثاً والثلاثة اثنين ، وهذا الشك يضر إذا كان قبل الفراغ من السعى أما بعده فلا يضر .

الشرط الثاني : أن يستوعب الساعى المسافة في كل مرة من مرات السعى .

الشرط الثالث : أن يكون في بطن الوادي وهو المسعى المعروف الآن فلو خرج عنه الساعي فلا يكفيه ذلك .

الشرط الرابع : كونه بعد طواف الإفاضة أو بعد طواف القدوم إذا وقع قبل الوقوف بعرفة .

الشرط الخامس : البدء بالصفا في الأوتار وبالمروة في الأشفاع ، والأوتار هي الأولى والثالثة والخامسة والسابعة ، والاشفاع هي الثانية والرابعة والسادسة .

مايسـن للسـعي :

وسنن السعي كثيرة منها : الخروج من باب الصفا عقب الفراغ من الصلاة واستلام الحجر وستر العورة والطهارة من الحدثين والمشي للقادر عليه وأنْ يمشى فيه بتؤدة في أول كل مرة وآخرها والإسراع في وسطها بحيث لايتأذي ولا يؤذى ، وهذا بالنسبة للرجل ، أما المرأة فلا يسن لها الإسراع ويسن أيضاً الموالاة بين مراته وبين أجزاء المرة والإكثار من ذكر الله تعالى والمأثور من ذكر الله والدعاء أفضل من غير المأثور .

ويكره في السعي الوقوف بلا عذر في أثنائه ويكره الجلوس على الصفا أو على المروة بغير عذر .

اليوم الثـامـن

يستحب لك أيها الحاج فى اليوم الثامن ، وهو اليوم المسمى بيوم التروية أن تستعد وتتهيأ للقيام لأداء ما جئت لأجله وهو الوقوف بعرفة .

وهذه الرحلة المباركة لها مقدمات وخواتيم تنتظم أعمال الحج كلها بها .

فإذا أشرقت الشمس فابدأ بالسفر إلى منى ملبيا داعيا ، فإذا وصلت إلى منى ، فيستحب أن تقول اللهم هذه منى ، هذا ما دللتنا عليه من المناسك ، فمن علينا بجوامع الخيرات وبما مننت به على إبراهيم خليلك ومحمد حبيبك .

وتصلى بمسجد الخيف الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وتبيت بمنى حتى تصلى صبح يوم عرفة ، لقول جابر رضى الله عنه فى صفة حج النبى ﷺ « **فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى وأهلوا بالحج ، فركب النبى ﷺ فصلى بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس** » أخرجه مسلم .

واعلم أن الذهاب إلى منى والمكث بها حتى صبح يوم عرفة سنة باتفاق الفقهاء ، فلا شيء على من تركه ، فقد روى ابن المنذر عن عائشة أنها لم تخرج من مكة يوم التروية حتى دخل الليل وذهب ثلثه .

فإذا لم تتمكن من إقامة هذه السنة لشدة الزحام أو تعلقك بمن تجب عليك مراعاتهم من نساء وشيوخ ، فلا تتعنت بما لم يوجبه الشرع عليك و تتشدد فيما أرخص لك الشارع فيه و لابأس أن تتقدم إلى منى قبل يوم التربة بيوم أو يومين .

وإذا صادف يوم التروية يوم الجمعة وتأخرت بمكة فعليك أن تصليها قبل أن تخرج .

هذا هو الوارد فى كتب السنة من هدى المصطفى ﷺ .

و إذا أردت أن تتوجه من مكة إلى عرفة فى اليوم الثامن فلا بأس بذلك ولا شىء عليك ، واعلم أن ليلة التاسع هى ليلة مباركة عظيمة وهى من ليالى العشر التى ثبت فضلها وعظيم أجر العمل فيها من السنة الصحيحة المرفوعة ما يدعو إلى المحافظة عليها وعدم تضييع فرصة العمل فيها ، فقد حث ﷺ على كثرة الذكر فيها وقيام لياليها وصيام أيامها ، فحافظ على دوام العمل واجتهد على قيام هذه الليلة المباركة واجتهد فى ذلك بالصلاة والدعاء و الاستغفار ، وذكر الله سبحانه وتعالى ، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ .



يـوم عـرفـة

وإذا طلعت الشمس يوم عرفة فتوجه من منى إلى عرفات داعيا ملبيا مهللا مبكرا لقول محمد بن أبي بكر الثقفي : « سألت أنس بن مالك كيف كنتم تصنعون مع النبي ﷺ ؟ قال : **كان يلبي الملبي فلا ينكر عليه ويكبر المكبر فلا ينكر عليه ، ويهلل المهلل فلا ينكر عليه** » أخرجه أحمد والشيخان . فإذا وصلت فيها فانه يستحب لك النزول بنمرة وتغتسل بها للوقوف ، ثم إذا زالت الشمس فادخل إلى عرفة ، وهذا كله يعنى المكث بنمرة والدخول إلى عرفة بعد الزوال ، والاغتسال سنة . فلو دخلت عرفة من قبل الزوال ، أو لم تغتسل ، أو لم تنزل بنمرة فلا حرج عليك فى ذلك خصوصا عند شدة الزحام وكثرة الرفاق ، فإذا دخلت وقت الظهر ، فصل الظهر والعصر مقصورتين جامعا فيهما بأذان وإقامتين كما فعل ﷺ بمسجد نمرة ، فإذا تمكنت من الحضور إلى المسجد لتشهد الجماعة وتسمع الخطبة فذلك حسن وإلا فلا حرج عليك ، وقد خطب ﷺ خطبته المشهورة العظيمة التى أعلن فيها حقوق الانسان وعصمة الدماء والأموال ، إذ قال : « **إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام** » ، وأبطل فيها كل ما بقي من عادات الجاهلية وأمورهم وأعلن فيها تحريم الربا ، وأوصى بالنساء خيرا ، وحدد فيها مسئولية المسلم وحملهم ذلك بالرجوع إلى كتاب الله والاقرار له ﷺ بتبليغ الرسالة لهم لتكون المسئولية أعظم والوظيفة أخطر وأشهد على ذلك .

واعلم أن القصر والجمع بعرفة سنة عند مالك وسببه النسك ، وهو المناسب لحال الناس فى يوم عرفة ، وقال أكثر الشافعية : الجمع بين الصلاتين للسفر فمن كان حاضراً أو مسافراً دون مسافة القصر كأهل مكة لم يجز له القصر.

ثم يشتغل بعد ذلك بالدعاء ، فإذا غربت الشمس أفاض إلى مزدلفة مهللاً ملبياً ذاكراً كما قال تعالى : « **فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام** » .

فإذا وصل مزدلفة صلى المغرب والعشاء جمع تأخير بأذان واحد واقامتين .

والمبيت بها واجب عند أحمد لكن يجوز عند الشافعية التوجه بعد نصف الليل ، ويسقط وجوب المبيت بمزدلفة لعذر كضعف أو خوف زحام أوفوات رفقة ، وفضل الله واسع .

اتفق العلماء على أن الوقوف بعرفة يمتد إلى فجر يوم النحر لقول جابر : لا يفوت الحج حتى يطلع الفجر من ليلة جمع قال الزبير فقلت له : أقال رسول الله ﷺ ذلك قال : نعم . وعن عروة بن مضرس بن أوس بن حارثة بن لام الطائى قال : أتيت رسول الله ﷺ بالمزدلفة حين خرج إلى الصلاة فقلت يا رسول الله انى جئت من جبل طيء أكللت راحلتى واتعبت نفسى والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه فهل لى من حج فقال رسول الله ﷺ من شهد صلاتنا هذه ووقف معنا حتى ندفع وقد وقف قبل ذلك بعرفة ليلاً أو نهاراً فقد تم حجه وقضى تفثه . رواه الخمسة وصححه الترمذى .

وعن عبد الرحمن بن يعمر أن ناسا من أهل نجد أتوا رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة فسألوه فأمر منادياً فنادى :« **الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك** » الحديث رواه الخمسة .

واختلفوا فى دخول الوقت : فقال مالك والشافعى أول وقته زوال شمس يوم عرفة لأن النبى ﷺ انما وقف بعد الزوال ، وقال : خذوا عنى مناسككم .

وقال أحمد : دخول وقت يوم عرفة من طلوع فجر يوم عرفة فمن حصل فى هذا الوقت بعرفة ولو لحظة وهو أهل ولو ماراً أو نائماً أو حائضاً أو جاهلاً انها عرفة صح حجه لعموم حديث عروة بن مضرس وتقدم ، إلا إن كان سكراناً أو مغمى عليه لعدم العقل إلا أن يفيقوا وهم بها قبل خروج وقت الوقوف قاله فى المغنى .

ومن فاته الوقوف بعرفة بأن طلع الفجر يوم النحر ولم يقف بها فاته الحج . ويجب أن يجمع فى الوقوف بين الليل والنهار من وقف نهاراً لفعله ﷺ مع قوله : [**خذوا عنى مناسككم**]فإن دفع قبل غروب الشمس ولم يعد بعد الغروب من ليلة النحر إلى عرفة أو عاد إليها قبل الغروب ولم يقع الغروب وهو بعرفة فعليه دم لتركه واجباً فإن عاد إليها ليلة النحر فلا دم عليه لأنه أتى بالواجب وهو الوقوف فى النهار والليل كمن تجاوز الميقات بلا إحرام ثم عاد إليه فأحرم منه .

ومن وقف ليلاً فقط فلا دم عليه لحديث : من أدرك عرفات بليل فقد أدرك الحج . ولأنه لم يدرك جزءاً من النهار فأشبه من منزله دون الميقات إذا أحرم منه .

ووقفه الجمعة فى آخر يومها ساعة الاجابة عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : التمسوا الساعة التى ترجى فى يوم الجمعة بعد صلاة العصر إلى غيوبة الشمس رواه الترمذى .

وعن جابر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ : « **ان فى يوم الجمعة اثنتى عشرة ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله عز وجل شيئاً إلا آتاه اياه فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر** » رواه أبو داود والنسائى واللفظ له والحاكم ، وقال صحيح على شرط مسلم .



المشـــهد الأعـظم

انه لمجمع عظيم وموقف جسيم يجتمع فيه خيار عباد الله المخصلين وخواصه المقربين ، فكم لله تعالى بين هؤلاء الواقفين من عباده الصالحين ، فمنهم المنيب المخبت والناسك المتعبد والمخلص المتبتل ، وفيهم الصابر الصادق والقانت الأواب الذى امتلأ قلبه بالخوف والخشية من الله .

وفيهم الزاهد الذى ارتمت الدنيا بين يديه فجعلها تحت رجليه واقتصر على ما يكفيه ، وتزينت له الدنيا وتزخرفت فغض عنها ولم يغتر بها ، وأراها من نفسه شمما أيما شمم ، وفيهم العالم بالشرع العامل بموجبه فى كل حال ، الآمر بالرشد ، الناهى عن المنكر ، السريع الى الخيرات :

« أولئك أبدال النبيين أبرزوا	لفضل رسول الله فى خير أمة
عباد كرام آثروا الله ربهم	فآثرهـم واختصهـم بالولايـــة
وآنسهم بالقرب منه وبالرضا	حباهم واسقاهم بكأس المودة
بهم يدفع الله البلايا ويكشف	الرزايا ويسدى كل خير ونعمة
ولولاهم بين الانام لدكدكت	جبال وأرض لارتكاب الخطية »

فهنيئا لكم ايها الحجاج إذ وفقكم الله سبحانه وتعالى فوصلتم واتصلتم ، ووقفتم فى مجمع هو اعظم مجامع الدنيا ، وفى يوم تجتمع فيه اسباب الرضا والرضوان بالجود والاحسان .

فهذا يوم العتق من النيران ، كما جاء عن السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله انها قالت : قال رسول الله ﷺ : [**ما من يوم اكثر من ان يعتق الله تعالى فيه عبدا من النار من يوم عرفة** »

وهذا يوم المباهاة ، يباهى الله تعالى بعباده الملائكة

وهذا يوم المغفرة التامة العامة الكاملة التى يتفضل بها الحق سبحانه على أهل الموقف .

وهذه المغفرة محققة ثابتة لاشك فيها ولا ريب ، بل ان الشك فيها وفى حصولها من أعظم الذنوب كما قال ﷺ : « **اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله تعالى لم يغفر له** » .

ولا غرابة فى عموم هذه المغفرة لان الله سبحانه وتعالى يتجلى فى هذا اليوم على عباده برحمته العظمى التى تشمل الخاص والعام ، والقريب والبعيد ، والصغير والكبير .

حتى الحجارة الصماء وهى جماد ولا تعقل ولا تدرك اكتسبت اسما مميزا مشرفا ، مكرما ، محمودا مشتقا من البركات المتفتحة من السماء ، والرحمات الالهية المفاضة على الموقف ، ذلك الاسم « **هو جبل الرحمة** »

يقول على بن موفق : حججت سنة فلما كان ليلة نمت بمنى فى مسجد الخيف ، فرأيت فى المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء فنادى احدهما صاحبه : يا عبد الله ، فقال الآخر : لبيك يا عبد الله ، قال : تدرى كم حج بيت ربنا عز وجل فى هذه السنة ؟ قال : لا ادرى ، قال حج بيت ربنا ستمائة الف أفتدرى كم قبل منهم ؟ قال : لا . قال : ستة اشخاص ، قال : ثم ارتفعا فى الهواء فغابا عنى فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا واهمنى أمرى ، فقلت : اذا قبل حج ستة اشخاص فأين اكون انا فى ستة اشخاص ، فلما افضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام ، فجعلت افكر فى كثرة الخلق وفى قلة من قبل منهم فنمت ، فاذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى أحدهما صاحبه واعاد الكلام بعينه ثم قال : اتدرى ماذا حكم ربنا عز وجل فى هذه الليلة ؟ قال : لا : قال : فانه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف او شفع كل واحد من الستة فى مائة ألف ، قال : فانتبهت وبى من السرور ما يجل عن الوصف . قلت : وهذا الكلام صحيح المعنى . وهو الذى يفيده الحديث القدسى [**ووهبت مسيئكم لمحسنكم**] .

وقال بعض السلف رضى الله عنهم : حججت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن لايقبل حجه ، فقلت : اللهم انى قد وهبت حجتى وجعلت ثوابها لمن لم تقبل حجه ، فرأيت كأن قائلا يقول : يا فلان يقول لك الله اتتسخى عليّ وأنا خلقت السخاء والأسخياء ، اتتكرم على وانا خلقت الكرم والكرماء ، وانا أجود الاجودين ، وأنا اكرم الاكرمين واحق بالجود والكرم من العالمين ، قد وهبت كل من لم اقبل حجه لمن قبلت حجه .

وفى هذه الساعات المباركات نتوجه الى الله سبحانه وتعالى بهذه الدعوات المأثورات المروية عن شيخ الاسلام وامام أهل السنة والجماعة الحبيب عبد الله بن علوى بن محمّد العلوى الحسينى صاحب الدر المنظوم .

فيا نفحات الله يا عطفاته	ويا جذبات الحق جودى بزورة
ويا نظرات الله يالحظاته	ويا نسمات اللطف أمى بهبة
ويا غارة الرحمن جدى بسرعة	إلينا وحلى عقد كل ملمة
ويا رحمة الرب الرحيم توجهى	واحيى بروح الفضل كل رميمة
ويا كل أبواب القبول تفتحى	فان مطايا القصد نحوك أمت
ويا سحب الجود الالهى امطرى	فان اكف المحل تلقاك مدت
فيارب ثبتنا على الحق والهدى	ويارب فاقبضنا على خير ملة
وعم أصولا والفروع برحمة	وأهلا وأصحابا وكل قرابة
وسائر أهل الدين من كل مسلم	اقام لك التوحيد من غير ريبة



في رحاب عرفة

هؤلاء وفود الرحمن وحجاج بيته الحرام ، نزلوا بساحة كرمه وجوده ، وقد خلعوا عنهم الوجود واشتغلوا بعبادة الملك المعبود ، فبادروا بإجابة دعوته ولبوا منادى حضرته وحضروا مشهد رحمته ، وأناخوا برحاب مغفرته ، وقد امتلأت قلوبهم بالحب ، وقرت أعينهم بالمشاهدة ، واطمئنت نفوسهم بالقرب عند هذه المشاعر التى نشأ فيها دينهم وعاش فيها نبيهم ، وأشرقت فيها شمس تاريخهم طالما خفقت قلوبهم إليها ، واشتاقت أفئدتهم لمهوى أفئدتهم ، وقد غسلوا ذنوبهم بدموعهم ، وطهروا أفئدتهم بتوبتهم ، وخرجوا عن أدران البشرية بتجردهم ، وأعرضوا عن كل دنيا وأجابوا داعى الله فتحملوا المشقات ولم تبعد عليهم الغايات ، وأقبلوا على الله فأقبل عليهم ، وأجابوا داعيه فأجابهم القريب والبعيد ، وأطاعوا أمره فأعطاهم كل شىء ، وطلبوا رضاه فرضى عنهم وأرضى عنهم القاصى والدانى ، ورفع عن قلوبهم ظلمة الحجاب وفتح لهم الباب ، وكشف عنهم قواطع الغفلة ومعوقات الطريق وموانع واردات الخير ، قائمين بذكره فى كل حال ، متقربين إليه بأنواع النوافل والطاعات ، فخلع عليهم من ربانيته ربانية سخرت لهم البحر ليركبوا بواخره ، فها هى تمخر بهم فيه أرجاء الأرض مشتاقة إلى الحرمين لا يثنيها عن عزائها هول ولا خوف ولا حرب ولا توقع فقر .

سخرت لهم الجو فركبوا الطائرات فى أجواء الفضاء مسخرات فى جو السماء كالطير لا يمسكهن إلا الرحمن ، يملأ الجو حنين حجاجها إلى هذا البيت العظيم ، يطير بالشوق والحب إلى مطمح الأبصار ومهوى القلوب .

وسخرت لهم البر فركبوا سياراته تشق الصحارى والرمال ، تذلل

الصعاب وتقرب البعيد ، وتقطع السهل والحزن ، عليها وفود بيت الله يجوبون الفلوات فإذا هم بالبيت يطوفون ، ثم ها هم فى ساحة عرفة يطلبون مغفرته ورضوانه ، ويسألون نصره وأمانه ، قد جمعهم توحيد الاسلام وزال عنهم كبر الجاهلية ، وتجردوا عن الفوارق فهم سواء : العربى والعجمى ، الملك والصعلوك ، الغنى والفقير، القريب والبعيد « **سواء العاكف فيه والباد** » .

ذاك هو التوحيد الحق والأخوة الايمانية ، والقلوب المتحدة ، والأهداف النبيلة والمقاصد الدينية ، والنيات الصالحة ، والمبادىء الحقة والنتائج المنشودة والحق يقول : « **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** » .

غفل المسلمون عن هذه الغاية والوحدة وناموا عن الدعوة والدين فغمرتهم موجات الغش المحيطة ، والمكائد المحدقة من الأعداء ، فالواجب عليهم أن يسارعوا بالسعى فيما يسعدهم فى الدين والدنيا ، وأن يعملوا لما ينجيهم ، وأن يسلكوا أيمن السبل للمشاورة والاستعداد ، فقد اشتد الكرب وعظم الخطب ولا ينجى من هذه المحنة الكبرى إلا الالتجاء إلى الله والتمسك بالدين والنهوض بالأخلاق النبوية وتطبيق الارشادات المحمدية ، والدفاع عن عقائد الاسلام وسننه وآدابه ، ومهاجمة الالحاد فى وكره لنأمن شره ومكره ونحفظ أبناءنا أفلاذ أكبادنا من الأهواء المضلة ، والفتنة الفاشية ، والمغريات الفاضحة .

ونحن إذ نقف فى هذا الموقف العظيم فى هذه البقعة المباركة التى وقف فيها نبينا وأصحابه ملبين داعين قبل أربعة عشر قرناً علينا أن نستعرض سلسلة تاريخنا لنرى كيف كان نجاحنا فى هداية البشر ونشر الدين ، حلقات لا تنقطع وعرى لا تنفصم ، وأمة واحدة أولها وآخرها خير واسلام واحد ، حاضره وماضيه ، ان فى ذلك لذكرى .

لقد رفع الله منار هذه المآثر والمواقف وعظم هذه الشعائر والمشاعر ، وقلد من أتى عرفة قلائد المفاخر والمنن ، وأفاض على من أفاض منها مواهب الإفضال وكتب له أوفر الأجر ، وجمع لمن أجمع ليلة جمع كل الحسنات والخيرات الزاهرة فهذا يوم عظيم وموقف كريم ، يجل عن الاشباه والنظائر فالسعيد من أخذ منه الحظ الوافر وقام لله على ساق الجد بالبكاء والخشوع وورد إلى هذه الموارد بتصفية السرائر وإخلاص النية مع الله فى الباطن والظاهر .

ان منادى هذا اليوم يهتف قائلاً : أين المجد للولى الناصر ؟ أين المنيب الموافق المبادر ؟ هذا يوم يرحم الله فيه الصادق الصابر ، هذا أوان اطلاع الخالق الغافر ، هذا يوم التذلل ـــ والانكسار ، هذا يوم التفرغ والاستغفار ، هذا يوم ارتفاع المنار ، هذا يوم يعتق الله فيه المسلمين من النار ، هذا يوم تمحى فيه الذنوب والأوزار ، هذا يوم تجتمع فيه السعادة والمفاخر ، فطوبى لمن غفرت له فى هذا اليوم الذنوب ، وسترت عليه الخطايا والعيوب ، وحصل له المنى والمطلوب ، ولم يعصه فى النواهى والأوامر ، فيا سعادة من استقام فى مثل هذا فإنه جليل ، أكمل الله فيه الدين أحكاماً وتبييناً ، وأنزل فيه على نبينا وحبيبنا محمد ﷺ وهو واقف بعرفة : [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا] .

وقد دعاكم إلى محل رحمته فأجبتموه ، وناداكم إلى نادى نعمته فلبيتموه ، وأنالكم من فيض فضله ما سألتموه ، فاشكروا الله ما أولاكم من الخيرات ، واعترفوا بمعروفه إذ أوقفكم بعرفات ، واعلموا أن أفضل المواقف بها عند الصخرات ، فقفوا بها بعد الاغتسال على قدم التضرع والابتهال إلى وقت الغروب راجين رحمة علام الغيوب ، مناجين بالتلبية ورفع الأصوات إلى الله السميع القريب ، مجيب الدعوات ، يباهى الله بجمعكم هذا ملائكة السموات ، فيقول :

« يلا ملائكتى ، أما ترون عبادى قد جاءونى شعثاً غبراً من كل فج عميق ، وواد سحيق ، يرجون رحمتى ومغفرتى فلو كانت ذنوبهم كعدد الرمل أو كعدد القطر أو كزبد البحر لغفرتها لهم ، أفيضوا عبادى مغفوراً لكم ولمن شفعتم فيه » كما ثبت ذلك فى الحديث .

وفى الحديث : إن الله عز وجل يدنو إلى السماء عشية عرفة فيقبل على ملائكته فيقول : « **ألا ان لكل وفد جائزة ، وهؤلاء وفدى شعثاً غبراً أعطوهم ما سألوا واخلفوا لهم ما انفقوا ، حتى إذا كان عند غروب الشمس أقبل عليهم قال : ألا إنى قد وهبت مسيئكم لمحسنكم ، وأعطيت محسنكم ما سأل ، أفيضوا بسم الله** » .

وفى وسط هذا القبول والاقبال ، والجلال والجمال ، والتجلى والتحلى، والمشهد العلى ، يكون الشيطان فى أذل حال وأحقره وأصغره وأدحره كما جاء فى الحديث : « **ما رؤى الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة ، وما ذاك إلا لمايرى من تنزيل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رؤى يوم بدر** » . **رواه مالك**

فاحفظوا حجكم ، فيا خيبة من أضاعه واحتفظوا من المعصية ، فما أقبح المعصية فى أماكن الطاعة ، واحفظوا جوارحكم عن المحرمات ، ففى الحديث عند أحمد قال : قال صلى الله عليه وسلم : « **هذا يوم من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له** » .

وأكثروا من شهادة التوحيد باخلاص وصدق ، فإنها أصل دين الاسلام الذى أكمله الله فى هذا اليوم ، ولذلك كان ﷺ يكثر من الدعاء الذى يناسب مقام وتاريخ هذا اليوم فيقول : « **لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شىء قدير** » .

بل وأوصانا ﷺ وحثنا على الدعاء بذكر فضله وشرفه فقال : « **خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيوّن من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له** » .

الحمد لله الذى إلى بيته حملكم ، وإلى حرمه أوصلكم ، وبفنائه أنزلكم ، وبإخلاص القصد جمّلكم ، فلقد جمع الخير الجم لكم لتشهدوا منافع لكم ، لقد نادى منادى التوفيق فتحركتم واستدعاكم إلى بيته فسرتم ، لقد فارقتم لأجل مولاكم دياركم وأولادكم ، وجردتم عن رقيق الثياب أجسادكم وتركتم فى مراد محبوبكم مرادكم ، وعانقتم

لأجله افتقاركم وطهرتم أسراركم ، ووقفتم بين يديه بالذل جميعاً ، وسعيتم فى مراضيه سعياً سريعاً ، أترى هل يردكم على أعقابكم أو يخيب رجاءكم أو يكسر خاطركم فى مشهد رحمته وساحة مغفرته ، ما أكثر ما عفا عنكم من الخطايا ، وأشرف ما أنالكم من الهدايا .

لقد تلقاكم بالجود والتحايا ، وحط عنكم من الذنوب والخطايا ما أثقلكم .

فوا أسفاه لعبد لم يغفر له اليوم ما جنى ، حضر مواسم الأرباح فما حصل خيراً ولا اقتنى .

ليت شعرى من منا خاب ومن منا نال المنى ، فإنها فرصة لا تعوض ، وموسم لا ندرى لعلنا لا ندرك ما بعده ، والأحمق الغافل الذى يبيع عاجلاً بآجل ، ويترك حاصلاً حاضراً بأمل مستقبل .



الموكب النبوي في حجة الوداع

تشع شمس السنة العاشرة الهجرية على الكون ، وقد اعز الله الإسلام ، واذل دولة الشرك والاصنام ، ونصر نبيه الكريم وخذل أعداءه ، ودخل الناس فى دين الله افواجا ، وأشرق نور الإيمان وهاجا ، والأذان يدوى فى جبال مكة وبطحائها ، وقد « **جاء الحق وزهق الباطل** » والوفود العربية ترد المدينة تتلقى القرآن من لدن رسول الله ﷺ ، وتستجلى محياه الوسيم ، والوحى يقطر سلسلا من رب العالمين مسفرا عن صبح اليقين ، وبشائر الغزاة الفاتحين تنتشر ، وأصنام الشرك فى الجزيرة تهدم ، وأعلام التوحيد تخفق ، لقد أكمل الله الدين وأتم النعمة ورضى الإسلام دينا لعباده .

هؤلاء رسل نبى الله عليه الصلاة والسلام تنادى فى الاحياء والعشائر أن الرسول يريد الحج فى هذا العام ، فمن أراد أن يحج معه فليتهيأ وليأت المدينة ، فيجتمع بشر كثير ، تموج بهم المدينة يقصدون كلهم الحج مع المشرّع الاعظم ليتأسّوا بأفعاله ويهتدوا بمناسكه .

هذا نبى الله ﷺ راكبا ناقته القصواء قد أهلّ من ذى الحليفة يلبى صاعدا شرف البيداء ، والمسلمون محرمون ملبون من بين يديه ومن ورائه وعن يمينه وشماله لا يحصيهم قلم كاتب ، تزهر بهم الصحراء ، ويموج بتلبيتهم الفضاء ، وجبريل رواح وغداء ، ينزل بالنور المبين على خاتم النبيين .

لله در ركائب سارت بهم	تطوى القفار الشاسعات إلى الدجى
قصدوا إلى البيت العتيق وقد شجا	قلب المتيّم منهموا ما قد شجا
نزلوا ببيت لا يخيب نزيلـــه	وقلوبهم بين المخافة والرجـــا

هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ ، أشرف صحابة لأفضل نبى لم يشهد التاريخ البشرى أتقى ولا أصدق ولا أحق من صحبة هؤلاء الابطال الاوفياء « **رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** » هم أكثر من مائة ألف حاج تسيل بهم البطاح والفجاج ، يتبعون خطى الرسول ﷺ فى عبادته ونسكه ، ويفعلون سنته ، وينشرون شريعته لا معارض منهم ولا مرتاب ، والرسول ﷺ بين ظهرانيهم الوحى ينزل عليه ،

وهو يقول : « **خذوا عنى مناسككم** » وهم ينقلون عنه دروس الحياة ليخوضوا غمارها على ضوء الحقيقة واليقين والإسلام .

هذه البدن تساق مشعرة ، مقلدة ، مسخّرة ، تهدى لرب البيت العتيق ، منها مائة بدنة لرسول الله ﷺ هى من شعائر الله لنا فيها خير ، « **ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب** » . الناس فى مكة ينتظرون النبى ﷺ ليحجوا معه ، والحرم الأمين يزهر طربا باجتلاء طلعة الداعى البشير ، وتدوى جبال مكة بالتهليل والتلبية والتكبير ، وإذا الرسول ﷺ راكبا يلبى معه أصحابه .

على الطائر الميمون ياخير قادم وأهلا وسهلا بالعلا والمكارم

يدخل الحرم الشريف الرسول ﷺ مكبرا ، فيقول عند رؤية البيت : **اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتكريما وتعظيما ومهابة وبرا ، ويستلم الحجر ، ويشرب من ماء زمزم ، ويسعى بين الصفا والمروة .**

هذه مكة تزهو طربا بسنا الداعى إلى الحق المبين
شع فى بطحائها نور الهدى فسمت ترفل فى مجد مكين
وسرت فى الكون أسرار العلا تنشر الحكمة عن أشرف دين
وغدا الظلم صريعا مدبرا عندما اشرق عدل الفاتحين
فانظر الكعبة كم زادت به شرفا يزرى بكيد العابثين
واشهد المشعر إذ عاج به يسأل الله بعزم لا يلين
وسل القرآن كم قام به فى دجى الليل لرب العالمين
وسل المعراج عنه ساجدا فى حصى يغبطه الدر الثمين
وسل المعراج عنه راقيا فوق هام المجد مقطوع القرين

هذا يوم التروية قد عبق نفحه وبرق صبحه والروايا تملأ ، والحجاج يتهيؤن للمسير إلى منى ، والرواحل ترحل ، والنبى ﷺ قد ركب فى الضحوة الكبرى قاصدا منى ملبيا ، فينزل بخيفها ، ويصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، ثم يبيت فيصلى الفجر ، ويسير مع اصحابه ضاحين لله تعالى إلى نمرة حيث ضربت قبته ، فيقيل هناك ، ويسير عند الزوال إلى مصلى نمرة ، فيخطب خطبتين يبين فيهما

المناسك ، ويشرح اصول الدين ، ويقرر عقائد التوحيد الصحيح ، ويهدم قواعد الجاهلية ، ويحث على مكارم الاخلاق ، فتوْجَل القلوب ، وتذرف العيون ، ويدوى الفضاء بالتلبية لله عز وجل ، فينادى المؤذن للصلاة ويصلى الرسول ﷺ بأصحابه الظهر والعصر مجموعتين مقصورتين ، ثم يسير إلى وسط عرفات ، فيقف فى سفح جبل الرحمة حيث الصخرات الكبار مستقبلا القبلة ملبيا داعيا مستغفرا ومعه المسلمون ملبين ، فيباهى الله تعالى بهم الملائكة ، يقول : **« عبادى جاءوا شعثا غبراً من كل فج عميق يرجون رحمتى فلو كانت ذنوبهم كعدد الرمل أو كقطر المطر لغفرتها أفيضوا عبادى مغفورا لكم ولمن شفعتم له »** .

ويقول تعالى للملائكة : ما يريد هؤلاء منى ؟ فيقولون : ربنا أنت أعلم ، يطلبون مغفرتك وجنتك . **فيقول : هل رأوها ؟** فيقولون : لا . **فيقول : كيف لو رأوها** . فيقولون : لو رأوها لكانوا أشد اشتياقا ورغبة . فيقولون : ويستعيذون بك من النار . **فيقول تعالى : هل رأوها ؟** فيقولون : لا ياربنا . **فيقول : فكيف لو رأوها !** فيقولون : لو رأوها لكانوا أشد استعاذة وخوفا . **فيقول عز وجل : اشهدوا أنى قد غفرت لهم ، ووهبت مسيئهم لمحسنهم ، افيضوا مغفورا لكم .**
فهناك تسكب العبرات ، وتقال العثرات ، وتفاض الرحمات ، ويتجلى الله على العباد ، وتفتح أبواب السمآء ، ويستجاب الدعاء ، وتضج الاصوات بمختلف الامانى واللغات ، وإذا الروح الامين ينزل بالتحفة العظمى والنعمة الكبرى على سيد من حج ولبى واعتمر وطاف بالبيت العتيق وقبل الحجر :

« اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا »
يزيد الإيمان ، ويسود الاطمئنان ، وتذوق الارواح حلاوة الرضا وتسكن ببرد الصدق والاخلاص ، وتغرب الشمس ، فيدفع النبى ﷺ ويفيض الناس والرسول ﷺ جاذب زمام راحلته حتى يمس مورك الرحل ، ويأمر بلالا قائلا : استنصت الناس ، ثم قال : **« أيها الناس إربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إنما تدعون سميعا بصيرا »** .

فكم خاضع كم خاشع متذلل	وكم سائل مدت إلى الله كفاه
وكم حامد كم ذاكر ومسبح	وكم مذنب يشكو لمولاه بلواه
ورب دعانا ناظرا لخضوعنا	خبيرا عليما بالذى قد أردناه
ولما رأى تلك الدموع التى جرت	وطول خشوع فى خضوع خضعناه
تجلى علينا بالمتاب وبالرضى	وباهى بنا الاملاك حين وقفناه
وقال انظروا شعثا وغبرا جسومهم	وقد وفدوا فالكل يطلب مولاه
وقد هجروا أوطانهم وتراثهم	وبلادهم والكل يرفع شكواه
الا فاشهدوا انى غفرت ذنوبهم	الا فانسخوا ما كان عنهم نسخاه
فياصاحبى من مثلنا فى مقامنا	ومن ذا الذى قد نال ما نحن نلناه
على عرفات قد وقفنا بموقف	به الذنب مغفور وفيه محوناه
وقد اقبل البارى علينا بوجهه	وقال ابشروا فالعفو فيكم نشرناه
عليّ الجزا منى المثوبة والرضا	ثوابكـــم يوم الجزا أتـــولاه
فطيبوا سرورا وافرحوا وتباشروا	وتيهوا فهذا بابنا قد فتحناه

ويصل الرسول ﷺ إلى المزدلفة ، فيصلى المغرب والعشاء مجموعتين جمع تأخير ، ثم يلتقط الحجارة ، ويبيت بها داعيا ملبيا ويصلى الفجر ، ثم يقف بالمشعر الحرام ملبيا مكبرا شاكرا لله تعالى على هدايته وتوفيقه فيدفع عند الاسفار قبل طلوع الشمس خلافا للعرب فى الجاهلية ، فقد كانوا لا يدفعون إلا عند الشروق قائلين : أشرق ثبير كيما نغير .

عارضانى ركب الحجاز اسائله	متى عهده بأكنـــاف جمع
واذكرا لى حديث من سكن الجز	ع ولا تكتبـــاه الا بدمعـــى
فاتنى أن أرى الديار بطرفى	فلعلى أرى الديار بسمعـــى

فيصل الرسول ﷺ وادى محسر ، فيسرع محركا دابته ، ثم يأتى وسط منى سالكا بطن الوادى حتى يقف مستقبل الجمرة الكبرى ، فيرميها بسبع حصيات مكبرا ، فذاك مقام من أنزلت عليه سورة البقرة ، ثم يأتى وسط منى فينحر البدن ، وهى مائة بدنة ، فينحر ثلاثا وستين بيده الشريفة ، وهى قائمة متوجهة نحو القبلة ،

وفى اقتصاره على نحر هذا العدد إشارة إلى عمره الشريف ، ويوكل على بن طالب رضى الله عنه ، فينحر باقيهن ، وفيه دلالة على جواز التوكيل فى نحر الهدى ، ثم يحلق رأسه الشريف ، فيقسم شعر نصف رأسه بين أصحابه . ويعطى أبا طلحة شعر النصف الآخر .

ويذهب بعد ذلك إلى مكة فيطوف طواف الافاضة ، ويعود إلى منى ، وقد قضى جل مناسكه ، ويبقى فى منى يكبر دبر الصلوات ، ويرمى فى أيام التشريق بعد الزوال الجمرات ، ويخطب فى اليوم الثانى ، ويبين للناس ما يستقبلون من المناسك ، وييسر عليهم الامر ، فيقول لسائله : « **افعل ولا حرج** » ، وتتم الايام المعدودة فى ذكر .. وشهود منافع .. ومجالى عبادة .. ومواقف سعادة ، ويودع الرسول ﷺ أصحابه ، فيقول (**لعلى لا القاكم بعد عامى هذا**) .

الافاضـــة من عرفـــة

ثم يدفع بعد الغروب من عرفة إلى مزدلفة . وحدّها ما بين المأزمين ووادى محسّر وسميت بذلك من الزلف وهو التقرب لان الحجاج إذا افاضوا من عرفات ازدلفوا إليها اى تقربوا ومضوا إليها وتسمى أيضا : جمعا لاجتماع الناس بها .

ويسن كون دفعه بسكينة لقول جابر : ودفع رسول الله ﷺ وقد شنق للقصواء بالزمام حتى ان رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى : [**أيها الناس السكينة السكينة**] ويسرع فى الفجوة لحديث أسامة بن زيد : كان رسول الله ﷺ يسير العنق فإذا وجد فجوة نصّ اى أسرع .

فاذا بلغ مزدلفة جمع العشاءين بها من يجوز له الجمع قبل حط رحله لحديث أسامة بن زيد قال : دفع النبى ﷺ من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ فقلت له : الصلاة يا رسول الله فتوضأ فاسبغ الوضوء ثم اقيمت الصلاة فصلى العشاءين ولم يصل بينهما . متفق عليه وان صلى المغرب بالطريق ترك السنة واجزأه لان كل صلاتين جاز الجمع بينهما جاز التفريق بينهما كالظهر والعصر بعرفة وفعله عليه الصلاة والسلام محمول على الافضل .

ومن فاتته الصلاة مع الامام بعرفة أو مزدلفة جمع وحده لفعل ابن عمر ثم يبيت بمزدلفة لانه عليه الصلاة والسلام بات بها وقال [**خذوا عنى مناسككم**] وليس بركن لحديث [**الحج عرفة فمن جاء قبل ليلة جمع فقد تم حجه**] أى جاء عرفة .

وللحاج الدفع من مزدلفة قبل الامام بعد نصف الليل لحديث ابن عباس : كنت فيمن قدّم النبى ﷺ فى ضعفة أهله من مزدلفة إلى منى متفق عليه .

وعن عائشة أرسل رسول الله ﷺ بأم سلمة ليلة النحر فرمت قبل الفجر ثم مضت فأفاضت رواه أبو داود .

وعن ام حبيبة ان النبى ﷺ بعث بها من جمع بليل . وعن عائشة كانت سودة امرأة نبطة فاستأذنت رسول الله ﷺ ان تفيض من جمع بليل فاذن لها قالت عائشة فليتنى استاذنت رسول الله ﷺ كما استأذنته سودة ، وكانت عائشة لا تفيض إلا مع الامام اخرجه الشيخان .

اما الدليل على ان الاذن بالدفع قبل الفجر يختص بالضعفة فحديث ابن عباس . ولما ورد عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى ﷺ أذن لضعفة الناس أن يدفعوا من المزدلفة بليل اخرجه أحمد .

وعنه انه كان يقدم نساءه وصبيانه من المزدلفة الى منى حتى يصلوا الصبح بمنى ويرموا قبل ان يأتى الناس أخرجه مالك والبغوى فى شرحه .

وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه انه كان يقدم ازواج النبى ﷺ وضعفة أهله من جمع بليل الى منى قبل الفجر ، وفى رواية ان عبد الرحمن كان يصلى بامهات المؤمنين الصبح بمنى اخرجه سعيد بن منصور .

وعن طلحة بن عبيد انه كان يقدم أهله من المزدلفة حتى يصلوا الصبح بمنى أخرجه مالك وسعيد بن منصور .

واما الدليل على انه اذا غاب القمر فلما ورد عن عبد الله مولى اسماء قال : قالت اسماء عند دار المزدلفة هل غاب القمر قلت لا. فصلت ساعة ثم قالت لى هل غاب القمر قلت نعم . قالت ارتحل فارتحلنا حتى رمَتْ الجمرة ثم صلت فى منزلها . فقلت لها اى هنتاه لقد غلّسنا . فقلت كلاّ ان رسول الله ﷺ أذن للظعن ، ومن طريق آخر أذن للضعفة أخرجه الشيخان والله اعلم .

ومن أصبح بمزدلفة صلى الصبح بغلس لحديث جابر الذى رواه مسلم وابو داود وفيه : ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر وصلى الفجر حين تبين له الصبح باذان وإقامة ويشتغل بالإستغفار والدعاء الى الإسفار لحديث جابر مرفوعا : لم يزل واقفا عند المشعر الحرام حتى أسفر جدّا فاذا أسفر جدا سار قبل طلوع الشمس ، قال عمر كان اهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع

الشمس ويقولون : اشرق ثبير كيما نغير ، وان رسول الله ﷺ خالفهم فأفاض قبل ان تطلع الشمس رواه البخارى . ثم يأخذ حصى الجمار من حيث شاء وعدده سبعون حصاة اكبر من الحمص ودون البندق كحصى الخذف . لحديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ غداة العقبة : القط لى حصى فلقطت له سبع حصيات من حصى الخَذف فجعل يقبضهن فى كفه ويقول : امثال هؤلاء فارموا ثم قال : ايها الناس اياكم والغلو فى الدين فانما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين رواه ابن ماجه وكان ذلك بمنى قاله فى الشرح الكبير .

ولا يسن غسل الحصى قال أحمد : لم يبلغنا أن النبى ﷺ فعله ، ولا يرمى بحصى قد رمى به ، والسنة التقاط سبع فى اليوم الذى يرمى به جمرة العقبة ، اقتداء بالنبى ﷺ اما الايام الثلاثة فيلتقط كل يوم احدى وعشرين حصاة يرمى بها الجمار الثلاثة .

ولا تجزىء صغيرة جدا أو كبيرة ولا بغير الحصى كجوهر وزمرد وياقوت وذهب لان النبى ﷺ رمى بالحصى وقال : خذوا عنى مناسككم ، فاذا وصل منى وهى ما بين واد محسر وجمرة العقبة بدأ بها فرماها راكبا أو ماشيا كيفما شاء لان النبى ﷺ رماها على راحلته رواه جابر وابن عمر وأم أبى الاحوص وغيرهم .

وقال جابر رايت النبى ﷺ يرمى على راحلته يوم النحر ويقول (**خذوا عنى مناسككم فانى لا ادرى لعلى لا احج بعد حجتى هذه .**) رواه مسلم

ويرميها بسبع واحدةً بعد اخرى لحديث جابر : حتى اذا أتى الجمرة التى عند الشجرة فرماها بسبع حصيات ويشترط كون الرمى واحدة بعد واحدة فلو رمى أكثر من حصاة دفعة واحدة لم يجزئه إلا عن حصاة واحدة لان النبى ﷺ رمى سبع رميات وقال : « **خذوا عنى مناسككم** » ويشترط علمه بحصولها فى المرمى فى جمرة العقبة وفى سائر الجمرات لان الأصل بقاء الرمى فى ذمته فلا يزول بالظن ولا بالشك فيه ووقت الرمى من نصف ليلة النحر لمن وقف قبله لحديث عائشة مرفوعا : أمر أم سلمة ليلة النحر فرمت جمرة العقبة قبل الفجر ثم مضت فأفاضت رواه أبو داود .

وروى انه أمرها ان تعجل الافاضة وتوافى مكة مع صلاة الفجر

ويقطع التلبية بأول الرمى لحديث ابن عباس أن أسامة كان ردف النبى ﷺ من عرفة إلى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة إلى منى وكلاهما قال : لم يزل النبى ﷺ يلبى حتى رمى جمرة العقبة .

ثم ان كان معه هدى نحره ثم يحلق رأسه وهو الأفضل وان قصر فلا بأس . أما المرأة فتقصر من شعرها قدر أنملة ، وان قدم الحلق على الرمى أو على النحر او طاف للزيارة قبل رميه أو نحر قبل رميه جاهلا أو ناسيا فلا شىء عليه وكذا لو كان عالما لما ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ وقف فى حجة الوداع فجعلوا يسألونه فقال رجل لم أشعر فحلقت قبل ان أذبح . قال : اذبح ولا حرج . وجاء آخر فقال : لم أشعر فنحرت قبل أن أرمى قال : ارم ولا حرج متفق عليه .

وعن ابن عباس ان النبى ﷺ قيل له فى الذبح والحلق والرمى والتقديم والتأخير فقال : لا حرج متفق عليه .

ويحصل التحلل الاول باثنين من ثلاثة : رمى جمرة العقبة ، وحلق او تقصير وطواف افاضة ، ويحصل التحلل الثانى بما بقى منها مع السعى من متمتع مطلقا ومفرد وقارن لم يسعيا مع طواف قدوم لانه ركن .



مسألة طواف الحائض

هذه المسألة وقع فيها السؤال علىٰ أربعة أقسام:
وهي حيض المرأة قبل طواف الركن. قسم انقطع دم حيضهن يوما بواسطة دواء فاغتسلن وطفن ثم عاد عليهن الدم بعد الطواف في زمن العادة.

والقسم الآخر: انقطع الدم يوماً بدون سبب، وعاد كذلك في زمن العادة بعد الغسل والطواف.

والقسم الثالث: طفن قبل انقطاع الدم والغسل.

والقسم الرابع: سافرن بدون طواف.

والخلاص من هذه المسألة العظيمة، تقليد الأئمة الأربعة ـ أو أحدهم.

فالقسم الأول والثاني طوافهن صحيح علىٰ أحد القولين في مذهب الإمام الشافعي، وهو النقاء طهر ويعرف بالتلفيق، وذهب إليه من الأصحاب الشيخ الإمام أبو حامد والمحاملي في كتبه وسليم ـ والشيخ منصور المقدسي، وغيرهم من الأصحاب، ويصح طوافهن على مذهب الإمام مالك، لأن عنده النقاء في أيام التقطع طهر، وكذلك يصح طوافهن على مذهب الإمام أبي حنيفه، لأنه لايشترط الطهارة عن الحدث والنجس في الطواف، فيصح عنده من الحائض والجنب مع الحرمة.

القسم الثالث: يصح طوافهن على مذهب الإمام أبي حنيفة، وفي إحدى الروايتين عند الإمام أحمد، ويلزم في ذلك ذبح بدنة وتأثم بدخولها الحرم، فنقول لها: لايحل لك الدخول وأنت حائض، وإذا دخلت وطفت أجزأك عن طواف الفرض.

القسم الرابع: اللاتي سافرن بدون طواف، فقد نقل المصريون عن مالك أن من طاف طواف القدوم وسعى ورجع إلى بلده قبل طواف الإفاضة جاهلا أو ناسيا أجزأه عن طواف الإفاضة، ويلزمه ذبح بدنة.

الحائض وَطوَاف الإفاضَة
وتحقيق مُفيد لابنِ القيِّم

ذكر الشيخ الفقيه عبد الله بن جاسر الحنبلي في كتابه مفيد الأنام هذه المسألة وحقق القول فيها ونقل كلام ابن القيم برمته فأفاد وأجاد وخلاصة ذلك أنه قال: لو طاف محدثا ولو حائضا لم يجزئه لقوله ﷺ **«الطواف بالبيت صلاة إلا أنكم تتكلمون فيه»** رواه الترمذي والأثر من حديث ابن عباس وقال ﷺ لعائشة حين حاضت **«افعلي ما يفعل الحاج غير أن لاتطوفي بالبيت»** ويلزم الناس انتظار الحائض لأجله فقط إن أمكن لتطوف طواف الإفاضة ولا يلزمهم انتظارها للنفاس لطول مدته.

ثم قال: وقال شيخ الإسلام: وكذلك المرأة الحائض إذا لم يمكنها طواف الفرض إلا حائضا بحيث لايمكنها التأخر بمكة ففي أحد قولي العلماء الذين يوجبون الطهارة على الطائف إذا طافت الحائض أوالجنب أو المحدث أو حامل النجاسة مطلقا أجزأه الطواف وعليه دم إما شاة واما بدنة مع الحيض والجنابة وشاة مع الحدث الأصغر إلى أن قال فلا يجوز لحائض أن تطوف إلا طاهرة إذا أمكنها ذلك باتفاق العلماء ولو قدمت المرأة حائضا لم تطف بالبيت لكن تقف بعرفة وتفعل سائر المناسك مع الحيض إلا الطواف فإنها تنتظر حتى تطهر إن أمكنها ذلك ثم تطوف وان اضطرت إلى الطواف فطافت أجزأها ذلك على الصحيح من قولي العلماء وقال رحمه الله أيضا: وأما الذي لا أعلم فيه نزاعاً أنه ليس لها أن تطوف مع الحيض إذا كانت قادرة على الطواف مع الطهر فما أعلم منازعاً أن ذلك يحرم عليها وتأثم به وتنازعوا في إجزائه فمذهب أبي حنيفة يجزئها ذلك وهو قول في مذهب أحمد إلى أن قال: وأما القول بأن هذه العاجزة عن الطواف مع الطهر ترجع محرمة أو تكون كالمحصر أو يسقط عنها الحج أو يسقط عنها طواف الفرض فهذه أقوال كلها مخالفة لأصول الشرع مع أني لا أعلم إماماً من الأئمة صرح بشيء منها في هذه الصورة وانما كلام من قال عليها دم أو ترجع محرمة ونحو ذلك من السلف والأئمة كلام مطلق يتناول من كان يفعل ذلك في عهدهم وكان زمنهم يمكنها أن

تحتبس حتى تطهر وتطوف وكانوا يأمرون الأمراء أن يحتبسوا حتى تطهر الحُيَّضُ ويطفن ولهذا ألزم مالك وغيره المكارىٰ لها أن يحتبس معها حتى تطهر وتطوف. انتهى ملخصاً من نحو عشر ورقات. وقال أبو عبد الله محمد بن القيم رحمه الله: المثال السادس أن النبي ﷺ منع الحائض من الطواف بالبيت حتى تطهر وقال «**إصنعي ما يصنع الحاج غير أن لاتطوفي بالبيت**» فظن من ظن أن هذا حكم عام في جميع الأحوال والأزمان ولم يفرق بين حال القدرة والعجز ولا بين زمن إمكان الاحتباس لها حتى تطهر وتطوف وبين ا لزمن الذي لايمكن فيه ذلك وتمسك بظاهر النص ورأى منافاة الحيض للطواف كمنافاته للصلاة والصيام إذ نهى الحائض عن الجميع سواء ومنافاة الحيض لعبادة الطواف كمنافاته لعبادة الصلاة ونازعهم في ذلك فريقان: أحدهما صححوا الطواف مع الحيض ولم يجعلوا الحيض مانعاً من صحته بل جعلوا الطهارة واجبة تجبر بالدم ويصح الطواف بدونها كما يقوله أبو حنيفة وأصحابه وأحمد في احدى الروايتين عنه وهي أنصهما عنه وهؤلاء لم يجعلوا ارتباطا للطهارة بالطواف كارتباطها بالصلاة ارتباط الشرط بالمشروط بل جعلوها واجبة من واجباته وارتباطها به كارتباط واجبات الحج به يصح فعله مع الإخلال بها ويجبرها الدم والفريق الثاني جعلوا وجوب الطهارة للطواف واشتراطها بمنزلة وجوب الستره واشتراطها بل وبمنزلة سائر شروط الصلاة أو واجباتها التي تجب وتشترط مع القدرة وتسقط مع العجز قالوا وليس اشتراط الطهارة للطواف أو وجوبها له بأعظم من اشتراطها للصلاة فإذا سقطت بالعجز عنها فسقوطها في الطواف بالعجز عنها أولىٰ وأحرىٰ» إلىٰ آخر كلام ابن القيم ثم قال الشيخ ابن جاسر بعد ذلك: ومن كلامهما يتضح أنهما يريان القول بصحة طواف الحائض طواف الإفاضة الذى هو ركن في الحج إذا اضطرت إلى طوافه بأن لم تتمكن من المقام بمكة حتى تطهر لسفر رفقتها عنها وقولهما هذا وجيه وان كان خلاف المذهب عند متأخري الأصحاب قلت وحكم النفساء حكم الحائض في صحة طوافها للإفاضة الذي هو ركن في الحج إذا اضطرت إلىٰ طوافه بأن لم تتمكن من المقام بمكة حتى تطهر من نفاسها لسفر رفقتها عنها، والله أعلم.

أيـــام التشـــريق

ايام التشريق هى الثلاثة بعد يوم النحر ، سميت به لأنّ الناس يشرقون فيها لحوم الهدايا والضحايا اى ينشرونها فى الشمس ويقددونها . وهذه الايام الثلاثة هى الايام المعدودات ، واما الايام المعلومات فهى العشر الاول من ذى الحجة يوم النحر منها وهو آخرها .

ثم يتعلق بأيام التشريق مسائل :

« **الأولى** » ينبغى ان يبيت بمنى فى لياليها . وهل هذا المبيت واجب أم سنة فابوحنيفة يرى انه سنة وللشافعى فيه قولان أظهرهما انه واجب ، والثانى سنة . فان تركه جبر بدم . فان قلنا المبيت واجب فالدم واجب ، وان قلنا سنة فالدم سنة . وفى قدر الواجب من هذا المبيت قولان أصحهما معظم الليل ، والثانى المعتبر ان يكون حاضرا بها عند طلوع الفجر ، ولو ترك المبيت فى الليالى الثلاث جبرهن بدم واحد ، وان ترك ليلة فالأصح انه يجبرها بمد من طعام وقيل بدرهم ، وقيل بثلث دم .

« **المسألة الثانية** » يجب أن يرمى فى كل يوم من أيام التشريق الجمرات الثلاث كل جمرة بسبع حصيات .

« **الثالثة** » يستحب ان يغتسل كل يوم للرمى .

« **الرابعة** » لا يصح الرمى فى هذه الايام إلا بعد زوال الشمس ويبقى وقته الى غروبها . وقيل يبقى الى طلوع الفجر والاول الأصح .

« **الخامسة** » يستحب اذا زالت الشمس ان يقدم الرمى على صلاة الظهر ثم يرجع فيصليها ، نص عليه الشافعى رحمه الله تعالى ويدل عليه حديث ابن عمر رضى الله عنهما فى صحيح البخارى قال كنا نتحين فاذا زالت الشمس رمينا .

« **السادسة** » العدد شرط فى الرمى ، فيرمى كل يوم احدى وعشرين حصاة إلى كل جمرة سبع حصيات ، كل حصاة برمية كما تقدم .

« **السابعة** » الترتيب بين الجمرات شرط ، فيبدأ بالجمرة الأولى . ثم يرمى الوسطى ، ثم جمرة العقبة ، ولا يجزئه غير ذلك ، فلو ترك حصاة لم يدر من اين تركها جعلها من الأولى فيلزمه ان يرمى إليها حصاة ثم يرمى الجمرتين الاخيرتين .

« **الثامنة** » الموالاة بين رمى الجمرات ورميات الجمرة الواحدة سنة على الأصح وقيل واجبة .

« **التاسعة** » اذا ترك شيئا من الرمى نهارا فالأصح أنه يتداركه فيرميه ليلا او فيما بقى من ايام التشريق سواء تركه عمدا أو سهوا . واذا تداركه فيها فالأصح انه اداء لاقضاء . واذا لم يتداركه حتى زالت الشمس من اليوم الذى يليه فالاصح انه يجب عليه الترتيب ، فيرمى أولا عن اليوم الفائت ثم عن الحاضر ، وهكذا لو ترك يوم العيد رمى جمرة العقبة فالأصح انه يتداركه فى الليل وفى ايام التشريق ويشترط فيه الترتيب فيقدمه على رمى ايام التشريق ويكون اداء على الأصح .

« **واعلم** » بأنه يفوت كل الرمى بانواعه بخروج ايام التشريق من غير رمى ولا يؤدى شيء منه بعدها لا أداءً ولاقضاءً ، ومتى تدارك فرمى فى ايام التشريق فائتها أو فائت يوم النحر فلا دم عليه ، ولو نفر من منى يوم النحر أو يوم القر أو يوم النفر الاول ولم يرم ثم عاد قبل غروب الشمس من اليوم الثانى فرمى أجزأه ولا دم عليه . ومتى فات الرمى ولم يتداركه حتى خرجت ايام التشريق وجب عليه جبره بالدم . فان كان المتروك ثلاث حصيات أو اكثر او جميع رمى ايام التشريق ويوم النحر لزمه دم واحد على الأصح ، وان ترك حصاة واحدة من الجمرة الأخيرة فى اليوم الاخير لزمه مد من طعام على الأظهر ، وفى حصاتين مدّان .



حكم الوكالة في الرمي وكيفية ترتيب الرمي عن الموكل

مذهب الشافعية:

قال الإمام النووي في الإيضاح: من عجز عن الرمي بنفسه لمرض أو حبس يستنيب من يرمي عنه. ويستحب أن يناول النائب الحصى إن قدر ويكبر هو. وإنما تجوز النيابة لعاجز بعلة لايرجى زوالها قبل خروج وقت الرمي ولايمنع زوالها بعده، ولايصح رمي النائب عن المستنيب إلا بعد رميه عن نفسه.

قال الإمام ابن حجر: قوله إلا بعد رميه عن نفسه: أي رمي جميع اليوم فلو رمى الجمرة الأولى لم يصح أن يرمي عن المستنيب قبل أن يرمي الجمرتين الباقيتين عن نفسه على الأوجه عندي من احتمالين للأسنوي خلافاً للزركشي حيث رجح مقابله، قال لأن الموالاة بين الجمرات لاتشترط وكمالُهُ أن يطوف عن غيره إذا كان قد طاف عن نفسه وبقي عليه أعمال الحج، انتهى.

والفرق أن الطواف ركن مستقل بنفسه لا ارتباط له بما بعده فحيث فعله جاز له فعله عن غيره، وأما رمي الجمرات الثلاث فهو واجب واحد له أجزاء كما أن الطواف كذلك فكما ليس له الطواف عن غيره ما بقي عليه من طوافه شيء وان لم تجب الموالاة فيه كذلك ليس له الرمي عن غيره ما بقي عليه من رميه شيء ويدل لما ذكرته قولهم من عليه رمي اليوم الثاني مثلاً لو رمى في اليوم الثالث لكل جمرة أربع عشرة حصاة لم يقع شيء منها عن يومه لأن رمي أمسه لم يتم. ولو كان الأمر كما ذكره لزمه الوقوع عن يومه لأن رمي أمسه بالنسبة لكل جمرة تم قبل الشروع في الجمرة الثانية فدل كلامهم على أن الجمرات كالجمرة الواحدة وهو صريح فيما ذكرته، ثم فرقه بين الرمي والطواف بأن الرمي لايقبل الصرف بخلاف الطواف ضعيف لما علم مما مر في طواف المحمول، ولو كان عليه رمي يومين فرمى إلى الجمرات كلها عن يومه قبل أن يرمي إليها عن أمسه أجزاه ووقع عن أمسه كما ذكره الشيخان وغيرهما أي ولا يعد ذلك لقول المتن فلو خالف وقع عن نفسه صارفاً لأنه قصد جنس الرمي وبما تقرر يعلم أنه لو استناب من عليه رمي أول أيام التشريق في ثانيها من رمىٰ أولها عن نفسه تخير النائب بين أن يقدم رمي نفسه عند كل جمرة أو رمي مستنيبه لأنه قد فعل ما استنيب فيه. [1]

---

(١) الإيضاح للإمام النووي ص: ٣٦١-٣٦٢

مذهب المالكية:

أما في مذهب المالكية فشرط النيابة في الرمي هو كون المستنيب معذوراً مثل الشافعية غير أن لايسقط عنه الدم فيوكل من يرمي عنه ويذبح. قال العلامة الشيخ محمد عابد في كتابه هداية الناسك: يجب على المريض إذا قدر على الرمي محمولاً ووجد من يحمله أن يرمي عن نفسه ولا يرمي الحصى في كف غيره ليرمي بها عنه لأن ذلك لايعد رمياً فإن عجز عن ذلك محمولاً وجب عليه أن يستنيب من يرمي عنه ويستحب له إذا استناب أن يتحرى وقت رمي النائب عنه لأجل أن يكبر لكل حصاة تكبيرة واحدة ويستحب للنائب أن يقف للدعاء عند الجمرتين عمن ينوب عنه على الأصح ويستحب أيضاً للمنوب عنه أن يتحرى وقت وقوف النائب للدعاء فيدعو ولا يسقط عنه الدم برمي النائب وفائدة الاستنابة سقوط الإثم بخلاف الصغير الذي لايحسن الرمي فإنه لادم عليه لأن المخاطب بالرمي في الحقيقة هو الولي وأما العاجز فهو المخاطب بذلك فإن صح قبل الفوات الحاصل بالغروب من اليوم الرابع أعاد الرمي ثم ان أعاد قبل غروب اليوم الأول فلا دم عليه وكذا يقال في كل يوم فإن أعاد بعد الغروب أو في ثاني يوم مثلاً فعليه دم - ويستحب لمن يرمي عن غيره أن يرمي أولاً عن نفسه ثم عمن ناب عنه فان رمىٰ جمرة بتمامها أولاً عن نفسه ثم رماها عمن ناب عنه أو - العكس أجزأه وترك المندوب وهو التتابع بين الجمرات الثلاث من غير فصل بشيء ولو رمى حصاة عن نفسه وحصاة عمن ناب عنه أجزأه أيضا وترك المندوب وهو تتابع الحصيات من غير فصل خلافا للقابسي القائل أنه يعيد عن نفسه وعن غيره ولا يعتد من ذلك ولا بحصاة واحدة ومنه على الظاهر لو رمى عن نفسه حصاتين أو أكثر وعن الآخر مثله أو دون أو أكثر كما في البناني، وأما إن شرك بينه وبين من ناب عنه في الحصاة الواحدة لم يجز عن واحد منهما وكذا لو رمى بحصاتين قصد بهما نفسه ومن ناب عنه. [1]

جواز الوكالة في الرمي في حج النفل ولو بغير عذر عند الحنابلة:

ذكر العلامة الفقيه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جاسر النجدي التميمي فقيه الحنابلة في كتابه المسمى مفيد الأنام قال: ويستحب أن يضع المريض ونحوه

(١) هداية الناسك ص: ١٥٥ - ١٥٦.

الحصى في يد النائب ليكون له عمل في الرمي، ولو أغمي على المستنيب لم تبطل النيابة بذلك فله الرمي عنه كما لو استنابه في الحج ثم أغمى عليه وهذا فيما إذا كان الحج فرضا، أما إن كان نفلاً جاز له أن يستنيب من يرمي عنه ولو لغير عذر لما تقدم أول الكتاب أن النيابة في حج النفل تجوز للقادر في كله وفي بعضه، فتنبه لهذا ولا تغفل، والله أعلم.

قلت وقال موضحاً ذلك في موضع آخر: ويصح أن يستنيب القادر والعاجز في نفل الحج وفي بعضه كالصدقة وكذا عمرة، وهذا المذهب وفاقاً للحنفية لأنها حجة لا تلزمه بنفسه فجاز أن يستنيب فيها كالمعضوب. وقالت الشافعية لايصح لأنه قادر على الحج بنفسه فلم يجز أن يستنيب فيه كالفرض وهو رواية عن الإمام أحمد. ويأتي في باب الإحصار قول صاحب المغنى والشرح فإن أحب أن يستنيب من يتمم عنه أفعال الحج جاز في التطوع ـ لأنه جاز أن يستنيب في جملته فجاز في بعضه ولا يجوز في الحج الفرض إلا أن ييأس عن القدرة عليه كما في جميع العمر كما في الحج كله إنتهى.

الافاضة الى مكة وبقية عمل المناسك

يدخل وقت طواف الافاضة بنصف ليلة النحر والافضل فى وقتها ان يكون فى يوم النحر ، ويكره تأخيره إلى ايام التشريق من غير عذر . وتأخيره إلى ما بعد ايام التشريق أشد كراهة وخروجه من مكة بلا طواف أشد كراهة .

والافضل ان يفعل هذا الطواف يوم النحر قبل زوال الشمس ويكون ضحوة . وفى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ أفاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى والله اعلم .

واذا طاف فان لم يكن سعى بعد طواف القدوم وجب أن يسعى بعد طواف الافاضة فان السعى ركن ، وان كان سعى لم يعده بل تكره إعادته .

فـــائدة

طواف الإفاضة آخر وقته عند الأحناف بآخر اليوم الثاني من أيام التشريق أو الثالث من أيام العيد فان أخره لزمه الدم.



حكم الرمي قبل الزوال

إعلم أن وقت رمي الجمار الثلاث يدخل بزوال الشمس وهو المعتمد في جميع المذاهب المعروفة والمفتى به ، وعليه أطبق جماهير العلماء والفقهاء من أرباب المذاهب المتبعة سلفاً وخلفاً ، ودليلهم في ذلك الاتباع ، فقد أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنا نتحين فإذا زالت الشمس رمينا. وقال جابر رضي الله عنه : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة ضحى يوم النحر ورمى بعد ذلك بعد زوال الشمس .

لكن جوز العلماء من أرباب المذاهب الرمي قبل الزوال وهو وإن كان ضعيفا في نظر بعضهم لكنه مفيد وسديد ويحل مشاكل عظيمة ويفتح أبواباً كثيرة للرحمة والتسهيل خصوصاً بعد سقوط مئات من الحجاج في ساحة الجمرات عند الرمي بعد الزوال وموت أكثرهم تحت الأقدام من شدة الزحام .

وإليك نصوص العلماء في ذلك :

مذهب الحنفية :

قال العيني في شرح البخاري : إن الرمي في أيام التشريق محله بعد الزوال وهو كذلك وقد اتفقت عليه الأئمة ، وخالف أبو حنيفة رحمه الله في اليوم الثالث منها ، فقال : يجوز الرمي فيه استحساناً ، وقال : إن رمىٰ في اليوم الأول من التشريق أو الثاني قبل الزوال أعاد ، وفي الثالث يجزيه ، وقال عطاء وطاوس : يجوز في الثلاثة قبل الزوال . اهـ (كذا في عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج ١٠ ص ٨٦) .

وذكره في موضع آخر في نفس الصفحة فقال : وقال عطاء وطاوس : يجزيه فيها (أى الرمي في الأيام الثلاث) قبل الزوال .

قال الشيخ الملا علي قاري : وقت رمي الجمار الثلاث في اليوم الثاني والثالث من أيام النحر بعد الزوال ، فلا يجوز الرمي قبله في المشهور ، وقيل : يجوز الرمي فيهما قبل الزوال لما روي عن أبي حنيفة أن الأفضل أن يرمي فيهما بعد الزوال فإن رمى قبله جاز فحمل المروي من فعله صلى الله عليه وسلم على اختيار الأفضل ، كما ذكره صاحب «المنتقى» «والكافي» «والبدائع» وغيرها (كذا في إرشاد الساري ص : ١٥٩) .

قال الإمام عز الدين بن جماعة الكناني في منسكه : وعند الثلاثة أنه لا يصح الرمي في يوم من أيام التشريق إلا بعد زوال الشمس ، لكن أبو حنيفة رحمه الله يجوز الرمي في اليوم الثالث من طلوع الفجر مع الكراهة ، والصاحبان لا يجوزانه قبل الزوال . وروى الحاكم

الشهيد في «المنتقى» عن أبي حنيفة أنه يجوز الرمي في الحادي عشر والثاني عشر قبل الزوال ، وجزم المرغيناني بجواز الرمي في اليوم الثاني عشر قبل الزوال لمن أراد النفر فيه . وحكى الإسبيجابي وغيره ذلك رواية عن أبي حنيفة . اهـ .

(كذا في هداية الناسك لابن جماعة ج ٣ ص ١٢١٠ .

قال العلامة الدكتور نور الدين عـــتر معلقا على هذا القول : وجه قول أبي حنيفة هو أنه لما شرع التخفيف بترك رمي اليوم الثالث من أيام التشريق رأسا ، فلأن يجوز الترخيص بتقديمه قبل الزوال أولى . وقال أيضا معلقاً على قوله بجواز الرمي في اليوم الحادي عشر والثاني عشر قبل الزوال ، قال : ومذهب عطاء وطاوس في الأيام الثلاثة وجعلوا فعل النبي صلى الله عليه وسلم الرمي بعد الزوال فيهما من اختيار الأفضل ، واستدلوا بالقياس على يوم النحر لأن الكل أيام رمي .

ووجه بعض المتأخرين ذلك بأن المشروع في هذين اليومين رمي الجمار الثلاث فوجب توسيع وقته لا تضييقه . (انظر ارشاد الساري بذيل شرح اللباب : ١٥٨ و١٦١ ، والفروع : ٣ /٥١٨) . لكن العمل بهذا مشكل إلا لعذر لمخالفته ظاهر الرواية في المذهبين ، ومخالفة فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . اهـ .

قلت : ولا تعد هذه مخالفة لفعل النبي صلى الله عليه وسلم إذ لا إلزام فيها بالتصريح ، ولا نهي عن الفعل بالتصريح أيضا ، فتسميتها مخالفة فيه نظر .

قال الإمام النووي رحمه الله : لا يجوز رمي جمرة التشريق إلا بعد زوال الشمس وبه قال ابن عمر والحسن وعطاء ومالك والثوري وأبو يوسف ومحمد وأحمد وداود وابن المنذر وعن أبي حنيفة روايتان (أشهرهما) وبه قال إسحاق يجوز في اليوم الثالث قبل الزوال ولا يجوز في اليومين الأولين .

(والثانية) يجوز في الجميع . اهـ (كذا في المجموع ج ٨ ص ٢٨٢) .

مذهب الشافعية :

قال العلامة الفقيه الشيخ ابن حجر في التحفة (بخلاف تقديم رمي يوم على زواله فإنه ممتنع ، كما صوَّبه المصنف . وجَزْم الرافعي بجوازه قبل الزوال كالإمام ضعيف وإن اعتمده الاسنوي ، وزعم أنه المعروف مذهباً وعليه فينبغي جوازه من الفجر نظير ما مر في غسله) .

وقال الشرواني في الحاشية : (وقوله كما صوَّبه المصنف) قد يفيد هذا التعبير أنه لا يجوز العمل بمقابلة الآتي ، ولعله ليس بمراد بقرينة مابعده فإنه يقتضي أن له نوع قوة فهو من قبيل مقابل الأصح لا الصحيح . (كذا في التحفة والحاشية ج٤ ص١٣٨) .

قلت : ويستفاد من هذا أن الناقلين لهذا القول والآخذين به من الشافعية كثيرون ، فهو وإن كان ضعيفاً لكن له نوع قوة لكثرة الآخذين والناقلين له ، فتدبر.

قال الإمام سيف الدين أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي القفال في كتابه حلية العلماء : وقال أبو حنيفة : إذا رمى منكسا أعاد ، فإن لم يفعل فلا شيء عليه ، وقال: يجوز الرمي في اليوم الثالث قبل الزوال استحسانا .

وروى الحاكم : أنه يجوز الرمي قبل الزوال في اليوم الأول والثاني أيضا ، والأول أشهر.

قال المعلق : والحاكم هو سهل بن أحمد المعروف بالحاكم ، تفقه على القاضي حسين ، وقرأ علم الكلام على إمام الحرمين .

(اهـ حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء ج ٣ ص ٣٤٨)

مذهب الحنابلة :

قال في «المغني» : (فصل) ولا يرمى في أيام التشريق إلا بعد الزوال ، فإن رمى قبل الزوال أعاد نص عليه . وروي ذلك عن ابن عمر وبه قال مالك والثوري والشافعي وإسحاق وأصحاب الرأي .

وروي عن الحسن وعطاء إلا أن إسحاق وأصحاب الرأي رخصوا في الرمي يوم النفر قبل الزوال ولا ينفر إلا بعد الزوال ، وعن أحمد مثله . ورخص عكرمة في ذلك أيضا . وقال طاوس : يرمي قبل الزوال وينفر قبله . (كذا في المغنى ج٣ ص٤٧٦) .

قلت : ومحل الشاهد قوله (وعن أحمد مثله) فهو يفيد جواز الرمي قبل الزوال عند الإمام أحمد رحمه الله .

قال الإمام الزركشي في شرحه على «مختصر الخرقي» الحنبلي : وشرط صحة الرمي في الجميع بعد الزوال على المشهور ، والمختار للأصحاب من الروايتين .

ثم قال : (والرواية الثانية) إن رمىٰ في اليوم الآخر قبل الزوال أجزأه ولا ينفر إلا بعد الزوال .

(والثالثة) كالثانية إلا أنه إن نفر قبل الزوال لا شيء عليه ، قال في رواية ابن منصور : إذا رمى عند طلوع الشمس في النفر الأول ثم نفر كأنه لم ير عليه دما . (كذا في شرح الزركشي على مختصر الخرقي . ج ٣ ص ٢٧٨ و ٢٧٩) .

حكم النفر من منى قبل الزوال

قال الشيخ ملا علي القاري في «المسلك المتقسط في المنسك المتوسط» في المذهب الحنفي : وأما اليوم الثاني من أيام التشريق فهو كاليوم الأول من أيام التشريق لكن لو أراد أن ينفر في هذا اليوم له أن يرمي قبل الزوال ، وإن رمى بعده فهو أفضل وإنما لا يجوز قبل الزوال لمن لا يريد النفر ، كذا روى الحسن عن أبي حنيفة اهـ .

وقال الشيخ العلامة طاهر سنبل في «ضياء الأبصار» كما نقله في «إرشاد الساري» واحترز في

«المحيط» بقوله : في ظاهر الرواية عما ذكره الحاكم في «المنتقى» عن الإمام أنه لو أراد النفر في اليوم الثالث قبل الزوال جاز له أن يرمي . كذا في «المبسوط» وهي رواية عن أبي يوسف . كذا في «شرح الطحاوي» ، وعلى هذه الرواية عمل الناس اليوم وفيه رحمة من الزحمة . ويظهر أن المراد بها قبل الزوال على كل من الروايتين من طلوع الفجر لأنه أول النهار ، ولخروج وقت رمي اليوم الذي قبله .

قال العلامة الشيخ عبدالحق في حواشي المدارك المسماة «بالإكليل» مانصه : فائدة عظيمة في «الضوء المنير على المنسك الصغير» للعلامة أبي علي جمال الدين محمد بن محمد قاضي زاده الحنفي الأنصاري رحمه الله : وذكر الحاكم في «المنتقى» أن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه يقول : إن الأفضل أن يرمي في اليوم الثاني والثالث بعد الزوال ، فإن رمى قبله جاز اعتباراً بيوم النحر في جمرة العقبة ، إلا أن بعد الزوال أفضل لأن النبي صلى الله عليه وسلم فعل كذلك فإن ذلك محمول على الأفضلية والأولوية .

وعلل الطرابلسي فقال : إن المشروع في هذين اليومين رمي الجمار الثلاث فوجب توسيع وقته لا تضييقه . وهناك قول آخر مخصوص بيوم النفر اختاره صاحب «الظهيرية» وعبارته : وأما الثاني من أيام التشريق فهو كاليوم الأول من أيام التشريق على مابينا ولو أراد أن ينفر في هذا اليوم له أن يرمي قبل الزوال ، وإنما لا يجوز قبل الزوال لمن لايريد النفر ، واختار هذه القول كثير من المشايخ في باب النفر الأول فقالوا : إن وقت جواز النفر الأول بطلوع الفجر منه ، قال في «البحر العميق» وهذا إنما يتأتى على رواية الحسن فهو اختيار منهم لقول الحسن فهو قول مختار يعمل به بلا ريب وعليه عمل الناس وبه جزم بعض الشافعية حتى زعم الإسنوي أنه المذهب . كذا فيها من الجزء الثاني صفحة ١٤١ . اهـ .
(كذا في إرشاد الساري إلى مناسك الملا علي القاري . ص : ١٦١) .

والحاصل : أنه قد رخص العلماء من السلف الصالح للحاج أن يرمي في اليوم الثاني من أيام التشريق (وهو يوم النفر الأول) قبل الزوال ، وينفر قبل الزوال . ويبدأ ذلك من طلوع فجر اليوم المذكور ، وعليه عمل كثير من الناس وبه يفتي أيضا كثير من كبار فقهاء الحنفية مثل شيخنا الشيخ بكري رجب ، والشيخ محمد بلنكو مفتي حلب ، والشيخ محمد علي المراد ، وعمه الفقيه الحنفي الشيخ أحمد بن الشيخ محمد سليم المراد المتوفى سنة ١٣٨٠هـ . وغيرهم من كبار فقهاء الأحناف وكثير من فقهاء الشافعية جزاهم الله خيرا بناء على رخص الحج ، وانطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم : (افعل ولا حرج) . كما أفتى بعضهم بجواز الرمي في اليوم الأول من أيام التشريق أيضا وهو (اليوم الثاني بمنى) قبل الزوال ، وكذا اليوم الثالث من أيام التشريق وهو آخر أيام منى وذلك داخل في الرخصة عند أكثرهم

○ ○ ○

الدماء الواجبة في النسك أربعة :

الأول : دم ترتيب وتقدير والمراد بالدم جذعة من الضأن أو ثنية من المعز أو سُبع بدنةأو بقرة مجزءة في الأضحية .

ومعنى الترتيب أنه لا ينتقل إلى صوم عشرة أيام ثلاثة عند الإحرام بالحج وسبعة إذا رجع إلى بلده حتى يعجز عن الذبح .

ومعنى التقدير أن الشرع قدره بذبح شاة أو صوم عدد من الأيام لا يزيد ولا ينقص .

الثاني : دم ترتيب وتعديل أى أمر الشارع بتقويمه والعدول لغيره بحسب القيمة فهو مقابل التقدير .

الثالث : دم تخيير وتقدير أي أن الشارع قدره وجعل الشخص مخيراً بين الخصال المقدرة .

الرابع : دم تخيير وتعديل وتقدم معنى التخيير والتعديل فأما الأول وهو دم الترتيب والتقدير فيجب بتسعة أسباب وهي :

التمتع ، والقران ، والفوات ، وترك الرمى ، وترك المبيت بمنى ، وترك الاحرام من الميقات ، وترك المبيت بمزدلفة ، وترك طواف الوداع ، ومخالفة النذر بأن نذر أن يتمتع فقرن أو أن يمشى فركب .

الثاني دم الترتيب والتعديل يجب في شيئين : الاحصار والوطء المفسد ، وهو الوطء عمداً قبل تحلل العمرة أو التحلل الأول من الإحرام بالحج .

الثالث : دم التخيير والتعديل ، وله سببان : إتلاف الصيد وقطع الشجرة ، وتفصيل هذه الدماء وأسبابها مذكورة في المطولات .

الرابع : دم التخيير والتقدير وله سبعة أسباب وهي :

إزالة الشعر وقلم الأظفار ثلاثة فأكثر في مكان واحد ولبس المحيط ودهن شعر الرأس والوجه والطيب ومقدمات الجماع إلا النظر بشهوة فحرام ولا فدية فيه والوطء بعد الجماع المفسد .

فــائدة

المكي القارن لادم عليه غير أنه إذا أراد أن يحرم بالقران فعليه أن يخرج إلى أدنى الحـل فإن اكتفى بخـروجـه لعـرفـة كفى (انـظر هداية الناسك) (والقوانين ١٣٥) وفي الإيضاح صحح جواز إحرامه من مكة.



كَيفيَّة الصِّيَام البدِيل عَن هَدي التمتُّع

عند المالكية: صوم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع تكون بأن يحرم بالحج من يوم السادس والسابع والثامن وهو صائم، وبعد الحج يصوم سبعة أيام سواء أقام بمكة أو رجع، فإن قدّم السبعة قبل الحج لم تصح، ويستحب في السبعة التتابع، ويستحب الرجوع من الصوم إلى الهدي إن أيسر قبل تمام الثالث، وتأخير الثلاثة الأيام أو بعضها لغير عذر إلى أيام منى مكروه، ويجوز صوم أيام التشريق لمن ليس له هدي فإن لم يصمها وأخّرها صامها كلّها سواء وصلها أم لا . (اهـ مختصرا من هداية الناسك)

وقال الحنفية: يجوز الصوم ولو كانت الأيام متفرقة فلا يشترط تتابعها، ووقت صيام الأيام الثلاثة وقت أشهر الحج، والأفضل أنه يصوم قبل يوم التروية بيوم، وله أن يصوم الأيام السبعة بعد تمام أيام الحج في أي مكان شاء لكن في غير أيام التشريق، وجاز صوم الثلاثة الأيام قبل الشروع في أعمال الحج . (اهـ مختصراً من الفقه الإسلامي)

وقال الشافعية: وقت صوم الأيام الثلاثة بعد الإحرام بالحج، فلا يجوز تقديمها على الإحرام بخلاف الدم لأن الصوم عبادة بدنية فلا يجوز تقديمها على وقتها كالصلاة، والدم عبادة مالية فأشبه الزكاة، وقالوا: ويندب تتابع صوم الثلاثة وكذا السبعة، ويلزمه أن يفرق في قضائها بينها وبين السبعة بقدر أربعة أيام - يوم النحر وأيام التشريق - وبقدر إمكان السير إلى أهله على العادة الغالبة كما في الأداء، فلو صام عشرة أيام متتابعة حصلت الثلاثة ولا يعتد بالبقية لعدم التفريق . (اهـ مختصرا من الايضاح)

وقال الحنابلة: الأفضل أن يكون آخر الثلاثة يوم عرفة فيقدم الإحرام بالحج قبل يوم التروية الذي هو اليوم الثامن فيكون اليوم السابع من ذي الحجة محرما وهو أولها ليصومها كلها وهو محرم بالحج، وله تقديم الأيام الثلاثة قبل إحرامه بالحج وبعد أن يحرم بالعمرة وأن يصومها في إحرام العمرة ، ولا يجوز تقديم صوم الثلاثة قبل إحرام العمرة فإن لم يصمها قبل يوم عرفة وجب عليه أن يصوم أيام التشريق وهي

التي لايجوز صيامها عن تطوع ولا عن واجب إلا عن عدم التمتع والقران أما السبعة فيصومها إذا رجع إلى أهله فإن لم يصم الثلاثة في أيام منى ولا قبلها صام بعد ذلك عشرة أيام كاملة استدراكاً للواجب وعليه دم لتأخيره واجباً من مناسك الحج عن وقته. (اهـ مختصرا من مناسك الجاسر).



خـلاصـة مفيـدة
عن واجبات الحج التي تجبر بدم عند المالكية

إعلم ان واجبـات الحج التي تجبر بالدم المتفق عليها والمختلف فيها اثنان وأربعون خصلة منها اثنا عشر اتفق أهل المذهب على لزوم الدم فيها وأربعة عشر اختلف فيها والمشهور لزوم الدم وستة عشر اختلف فيها أيضا لكن المشهور عدم اللزوم .

أما الإثنا عشر : (فالأول) منها الإحرام بعد مجاوزة الميقات لمريد النسك إذا لم يرجع بعد الإحرام إلى الميقات وأما إذا رجع فيلزمه الهدى على المشهور كما سيأتي في القسم الثاني ولما كان الكلام هنا في المتفق عليه قيد بذلك (والثاني) ترك التلبية من أول الإحرام إلى آخره (والثالث) ترك ركعتي الطواف حتى يبعد عن مكة ومنه من انتقض وضوؤه قبل فعلهما فتوضأ وفعلهما ولم يعد الطواف نسياناً أو جهلاً حتى بعد عن مكة فإن ذلك بمنزلة تركهما (الرابع) ترك رمي الجمار كلها أو حصاة منها حتى تمضي أيام الرمي (الخامس) ترك المبيت بمنى ليلة كاملة فأكثر من ليالي الرمي . (والسادس) ترك الحلاق حتى يرجع لبلده ولو كانت قريبة أو يدخل نسكاً آخر أو يطول ولا يقيد الطول بدخول المحرَّم كطواف الإفاضة وربما يفهم من المدونة أن المراد بالطول حلقه في غير أيام منى كما يستفاد من الشبرخيتي لكن سيأتي في القسم الثالث أنه لو أخره عن أيام الرمي فالمشهور عدم لزوم الدم ولا يعد ذلك طولاً (والسابع) تأخير طواف الإفاضة أو السعي أو هما معاً إلى المحرَّم (والثامن) ترك البـداءة بالحجر الأسود في الطواف ولم يعده حتى خرج من مكة وتباعد والموضوع انه استوعب جميع البيت سبعاً والا رجع له ولو من أقصى المغرب كما سيأتي (والتاسع) نية الخروج من عرفة قبل الغروب ولكنه لم يخرج منها حتى غابت الشمس أما إذا لم تكن نيته ذلك بل قصد البعد عن الزحام ولم يخرج حتى غابت الشمس فلا شيء عليه (والعاشر) التفريق بين الطواف والسعي بالزمن الطويل ولم يعاوده حتى بعد عن مكة (والحادي عشر) إيقاع السعي بعد طواف غير واجب ولم يعاوده حتى بعد عن مكة ومنه من أحرم من مكة وطاف تطوعاً وسعى قبل خروجه

ولم يعاوده بعد رجوعه من عرفة حتى بعد عن مكة (والثاني عشر) التفريق بين أجزاء الطواف والسعي بالزمن الطويل ولم يعاوده حتى تباعد.

وأما الأربعة عشر: (فالأول) منها الإحرام بعد مجاوزة الميقات لمريد النسك إذا رجع بعد الإحرام إلى الميقات (والثاني) ترك التلبية من أول الإحرام حتى يطول كيوم وما قاربه (والثالث) ترك طواف القدوم من غير عذر ولانسيان حتى يخرج إلى عرفة ومنه أن يمضي إلى عرفة بعد إحرامه من الميقات قبل أن يدخل مكة مع إمكان ذلك (الرابع) ترك السعي بعده. (الخامس) تركهما معاً (السادس) ترك المشي في الطواف للقادر عليه ولم يعده (والسابع) تركه في السعي أيضا (والثامن) تركه فيهما معاً (والتاسع) ترك الوقوف بعرفة نهاراً بعد الزوال لغير عذر فإن تركه لعذر كأن أتىٰ لعرفة بعد الغروب فلا شيء عليه كما سيأتي (والعاشر) تأخير جمرة من الجمار أو حصاة إلى الليل (والحادي عشر) ترك المبيت بمنى جل ليلة من ليال الرمي (والثاني عشر) ترك النزول بمزدلفة ليلة النحر (والثالث عشر) تقديم الإفاضة على الرمي (والرابع عشر) إيقاع ركعتي الطواف الواجب في الكعبة أو الحجر ولم يعد ذلك حتى يعد عن مكة.

وأما الستة عشر: (فالأول) ترك الإحرام من الميقات لمن يريد دخول مكة بغير نسك وهذا على خلاف ما مشى عليه ابن عرفة من أن من قصد مكة كقصد النسك كما تقدم (والثاني) مخالفة اللفظ النية في الإحرام (والثالث) ترك طواف القدوم نسياناً حتى يخرج لعرفة (والرابع) ترك السعي بعده كذلك وتركهما معاً كترك أحدهما (والخامس) الطواف في السقائف لغير زحام ولم يعده حتى رجع لبلده (والسادس) صلاة ركعتي الطواف بثوب نجس ولم يذكر حتى رجع لبلده (والسابع) الإحرام بالعمرة من الحرم على ما نقله التادلي عن ابن جماعة التونسي (والثامن) ترك المبيت بمنى ليلة يوم عرفة على ما نقله التادلي عن ابن العربي ولم يحك غيره في سقوط الدم خلافاً (والتاسع) تأخير الحلق حتى يخرج أيام الرمي (والعاشر) تأخير الإفاضة حتى يخرج أيام الرمي (والحادي عشر) تقديم النحر على الرمي على ما قاله ابن الحاجب خلافاً لعياض حيث قال لاشيء في ذلك اتفاقاً (والثاني عشر) تقديم الحلق على النحر على ما نقله الباجي عن ابن الماجشون خلافاً لما نقله عنه اللخمي والمازري من أن في ذلك الفدية (والثالث عشر) ترك الرمل في الطواف

(والرابع عشر) ترك الخبب في السعي (والخامس عشر) تفريق الظهر من العصر يوم عرفة (السادس عشر) من وقف بعرفة بعد الزوال ثم دفع وخرج من عرفة قبل الغروب ثم رجع فوقف ليلاً إلا أن الدم في هذا الأخير عند القائل به استحباب كذا في منسك الحطاب بتوضيح .[1]



(١) هداية الناسك ص: ٧٨ ـ ٨٨

الأضحية فضلها وحكمها

عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب إلى الله من هراقة دم وانها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها وإن الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفسا ، رواه ابن ماجه والترمذى .

قال العلامة المناوى ومقصود الحديث أن أفضل عبادات يوم العيد اراقة دم القربان وأنه يأتى يوم القيامة كما كان فى الدنيا من غير أن ينقص منه شىء ويعطى الرجل بكل عضو منه ثوابا وكل زمن يختص بعبادة ويوم النحر مختص بعبادة فعلها سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام من القربان ولو كان شىء أفضل من الذبح للنعم فى فداء الإنسان لم يجعل الله الذبح المذكور فى قوله تعالى [**وفديناه بذبح عظيم**] فداء لإسماعيل عليه السلام ، وفيه أن الأعمال الصالحات تتفاوت بتفاوت الزمان والمكان ويقع التفاضل بينها [**فطيبوا بها**] أى بالاضحية [**نفسا**] وأخرجوها كاملة سالمة من العيوب لاعرجاء ولاشلاء ولا عوراء ولا هزيلة ولو كانت غالية الثمن واستظهر الحافظ العراقى أن هذه الجملة مدرجة من قول عائشة رضى الله عنها .

وعن زيد بن أرقم قال قلت يا رسول الله ما هذه الأضاحى قال سنة أبيكم إبراهيم قالوا مالنا منها قال بكل شعرة حسنة قالوا فالصوف قال بكل شعرة من الصوف حسنة . رواه أحمد وابن ماجه .

قال زيد قلت [**يا رسول الله ما هذه الأضاحى**] بفتح الهمزة جمع أضحية قال الأصمعى فى الأضحية أربع لغات أضحية بضم الهمزة وبكسرها وجمعها أضاحى بتشديد الياء وتخفيفها الثالث ضحية وجمعها ضحايا والرابع أضحاة كأرطاة وبها سمى يوم الأضحى والظاهر أن المقصود من السؤال السؤال عن حكمها فلهذا أجاب ﷺ بقوله [**سنة أبيكم إبراهيم**] عليه السلام وفيه كسابقه الحث والترغيب على فعلها .

واعلم أن حكم الأضحية السنية المؤكدة للقادر عليها . قال ابن رشد فى بدايته : ذهب مالك والشافعى إلى أنها أى الاضحية من السنن المؤكدة ورخص مالك للحاج فى تركها بمنى أى لأن سنة الحاج الهدى ولم يفرق الشافعى فى ذلك بين الحاج وغيره ، وقال أبو حنيفة الضحية واجبة على المقيمين بالأمصار الموسرين ولا تجب على المسافرين وخالفه صاحباه أبو يوسف ومحمد فقالا إنها ليست بواجبة .

وأجمعوا بعد ذلك على جواز إخراجها من جميع بهيمة الأنعام الإبل والبقر والغنم إلا أن الإمام مالكا رأى أن الأفضل طيب اللحم فى الضحايا فلذا تقدم الغنم على البقر ثم هى على الابل .

وذهب الإمام الشافعى إلى تفضيل الابل ثم البقر ثم الغنم وبه قال أشهب كذلك اتفقوا على اجتناب العرجاء البين عرجها والمريضة البين مرضها والعجفاء الهزيلة التى لا مخ فى عظامها .

أما السن المشترطة فى الضحايا فحكى ابن رشد الاجماع من الأئمة على أنه لا يجوز الجذع من المعز بل يخرج الثنى فما فوقه واختلفوا فى الجذع من الضأن فالجمهور على جوازه ويجوز عند مالك أن يذبح الرجل الكبش أو البقرة أو البدنة مضحيا عن نفسه وعن أهل بيته الذين تلزمه نفقتهم بالشرع . وكذلك عنده الهدايا وأجاز الشافعى وأبو حنيفة وجماعة أن ينحر الرجل البدنة عن سبعة وكذلك البقرة مضحيا أو مهديا إلا أن مالكا أجاز ذلك عن نفسه وأهل بيته لا على جهة الشركة فى الثمن بل فى الأجر والثمن هو يدفعه من عنده .

أما وقت ذبحها المشروع فذهب الامام أبو حنيفة إلى أنه يدخل وقت الأضحية فى حق أهل الامصار إذا صلى الامام وخطب فمن ذبح قبل ذلك لم يجزه قال وأما أهل القرى والبوادى فوقتها فى حقهم إذا طلع الفجر الثانى وذهب الامام مالك إلى أنه لا يجوز ذبحها إلا بعد صلاة الامام وخطبته وذبحه وقال الامام أحمد لا يجوز قبل صلاة الامام ويجوز بعدها قبل ذبح الامام وسواء عنده أهل القرى والأمصار ، وذهب الشافعية إلى أنه يدخل وقتها إذا طلعت الشمس يوم النحر ثم مضى قدر صلاة العيد وخطبتين فاذا ذبح بعد هذا الوقت أجزأ مطلقا صلى الامام أم لا صلى

المضحى أم لا كان من أهل الأمصار أم لا ذبح الامام أضحيته أم لا . هكذا يؤخذ من مجموع الامام النووى ثم نقل عن ابن المنذر الاجماع على أن الاضحية لايجوز ذبحها قبل طلوع الفجر يوم النحر .

أما أيام نحر الأضحية فهى يوم النحر وأيام التشريق الثلاثة هذا مذهب الشافعية ، ومذهب الأئمة الثلاثة يختص بيوم النحر ويومين بعده ، وفى حديث عائشة رضى الله عنها أنه ﷺ [**اهدى غنما مقلدة**] دليل على أن الغنم يقع عليها اسم الهدى كما يقع على البدنة .



تنبيـــه وارشـــاد

تحدث الناس فيما مضى ولا يزالون اليوم يتحدثون فى مسألة الهدايا واستبدال لحومها بالنقود ويتساءلون هل يجوز ذلك شرعا أو لا يجوز ؟ كما يتساءل فريق من الناس عن الطريقة الحالية اليوم لذبح الهدى أيام منى بدون استفادة من اكثره ، وهل يجوز بيعه بعد ذبحه ؟ وعن الحكم فيما لو قامت شركة وطنية تمنح امتياز جمع ذبائح الهدى التى تزيد عن حاجة الفقراء أيام التشريق وحفظها فى ثلاجات بطرق فنية ثم بيعها للفقراء فى الأيام الأخر بثمن بسيط لا يزيد على تكاليف الحفظ وربح يسير ؟ ؟

فاعلم ايها السائل سلك الله بنا وبك طريق السداد أنه بما تقدم لك فى آيات الله البينات والأحاديث الصحيحة المرفوعات اتضح لك حقيقة الهدى والتنصيص عليه بالتعيين له وأنه من نوع الانعام لاغير وعند العجز يصار إلى بدله [**فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم**] وأن له موضعا يذبح فيه وهو الحرم [**هديا بالغ الكعبة**] وأن اعتباره فى هذا المكان من شعائر الله تعالى أيضا .

وذلك مما يدل دلالة واضحة على عناية الشارع الحكيم بهذه العبادة العظيمة وتنظيمها تنظيما بديعا محكما ، وما كان كذلك تجب المحافظة عليه ولا يتهاون به ولا يهمل ولا يتصرف فيه بالتبديل والتغيير لأنه من معالم دين الله وشعائره . [**ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب**]

وانت إذا سبرت أحكام الشريعة وشرائع الدين تجد أن لشعائره أهمية عظمى ومكانة مقدسة تجب مراعاتها ولا يسوغ إهمالها كما اتضح من ذلك أن الفائدة المنشودة والغاية المطلوبة من ذبح الهدايا هو التقرب إلى الله تعالى بإراقة الدماء وبتقوى الله عز وجل وذكره تعالى بالقلب واللسان وبالشكر له على ما رزق من بهيمة الانعام [**فاذكروا اسم الله عليها صواف**] [**كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون**] [**كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين**] وذكر الله هو أشرف الغايات ومنشور الولايات ، وذكره يحيى القلوب وينعشها [**ألا بذكر الله**

تطمئن القلوب] ثم هو يثير الخوف والرجاء من الله تعالى ويؤثر محبته على محبة غيره ويورث الصدق فى معاملته التى منها التقرب إليه تعالى بالذبائح والأكل منها واطعام الفقراء والمساكين ، عكس ما كان يفعله المشركون فى أيام جاهليتهم إذ اكلوا خيره وعبدوا غيره كانوا يتقربون لأصنامهم بالذبائح والهدايا . ومما هو معلوم بالبداهة انه لا يتقرب إلى الله عز وجل بمناسبة العقول ، وانما يتقرب إليه بالشرع المنقول ، وهذا أصل شرعى ينبنى عليه فروع جمة ليس هذا محل بسطها .

ولتعلم نور الله بصيرتى وبصيرتك أن لله تعالى حكما وأسرارا فى التشريع علمها من علمها وجهلها من جهلها وانما يقف على بعضها الراسخون من العلماء الذين أشرقت قلوبهم بنور الايمان والعلم وحظوا بنصيب وافر من تقوى الله تعالى .

فالواجب علينا معشر العبيد أن نستسلم لأحكام ربنا المبلغة إلينا من القرآن الكريم وأحاديث البشير النذير عليه الصلاة والسلام وأن نقوم بالتعبد بها طاعة لله ورسوله من غير توقف أو تطلع إلى طلب الحكمة والسر فى ذلك التشريع ، ولا ضير فى ذلك بعد اعتقادنا بأن لله تعالى أن يتعبد عباده بما شاء وكيف شاء لحكمة علمها هو سواء أدركنا الحكمة أم لا إذ هذا هو مقتضى العبودية الحقة المفروضة علينا [**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**] فبالقيام بامتثال أوامر الله تعالى والاستسلام والانقياد لاحكامه وأحكام رسوله ﷺ وترك الحرج والضيق فى النفوس مما شرعه نبىّ الرحمة عليه الصلاة والسلام وبلغه الينا من أحكام ربه وافق هوى النفس أو خالفها — بذلك — توجد حقيقة الايمان وبفقد ذلك تنتفى .

فعلينا أن نتمسك بما شرعه الله لنا ورسمه وحده ولا يجوز لنا التصرف فى هذه الهدايا والذبائح باستبدال شىء منها بالنقود للتصدّق بها أو صرفها فى بعض المشاريع العمرانية إذ ليس القصد منها كما عرفت وجود تصدق فى الجملة بل التقرب بها نفسها كما أسلفنا لك ذلك ، ولا يسوغ بيع شىء منها مادامت هدايا أو أضحية ، أما بيع شىء من لحوم الهدايا والضحايا ممن أهدى له منها أو تصدق عليه من الفقراء فذلك جائز لأن الفقير لم يبع هديا أو أضحية وانما باع لحما ملكه بطريق مشروع كالهدية أو الصدقة وقد قال عليه الصلاة والسلام فى الطعام الذى تصدق به على بريرة : هو

لها صدقة ولنا هدية فقد خرج بذلك عن صبغته الأولى . أما صاحب الهدى الذى تقرب بذبحه إلى الله تعالى فلا يجوز بيعه كما لا يجوز لمن وكله ليذهب إلى المجزرة يشترى له هديا أن يتصرف به بالبيع ونحوه .

أما ما نشاهده هذه الايام فى منى ويشاهده كل حاج فيها من طرح اللحوم الكثيرة على وجه الأرض وفى الحفر بدون انتفاع بها مع ما ينشأ من هذه الحالة من نتن وعفونة تتنافى مع حكمة الدين القويم فذلك لأسباب تعود إلى عدم تنظيمها فى تحقيق مقصود الشارع لا إلى خلل فى أصل التشريع حتى نحتاج فى ذلك إلى سلوك طريق آخر من تصرف غير مشروع فى الدين يؤول إلى ابطال أصل التشريع فذلك ما لا يقوله عاقل .

والطرق السليمة هى التى ندب اليها الشارع الحكيم فى الهدايا والضحايا فمن ذلك أنه ينبغى لنا أن نختار من الهدايا والضحايا الشىء الصالح المرغوب فيه كالسمين السالم من العيوب الذى شرط الشارع فى الهدايا سلامتها منها وأنه لا يهمل فى توزيعها ولا يقصر بل يوزع للقريب والبعيد حتى يمكن لمن ذبح بمنى إرسال شىء منه للفقراء والأقارب بمكة وقد قربت السيارات المسافات على أنه يمكن ذبحه أيضا بمكة ويفرق فيها بالقرب على أهلها .

ولنعلم أن من أنواع الهدايا التمتع والقسم الكبير من الحجيج من يأتى متمتعا فى أشهر الحج بالعمرة فيجب عليه الهدى فهذا لا مانع من ذبحه بمكة بعد الفراغ من العمرة وقبل يوم النحر ومن العلماء فى المذاهب الاربعة من ذهب إلى جواز تقديم هدى التمتع بمكة قبل يوم النحر منهم الشافعية وهذا قول قوى فى مذهبهم ذكره الامام النووى فى مجموعه وغيره ، وقول لبعض أئمة المالكية منصوص عليه فى المذهب وهذا يتناسب مع الشريعة المحمدية السمحة التى تقول [**يسروا ولا تعسروا**] وتقول [**سددوا وقاربوا**] واظن أننا إذا عملنا بهذه الوسائل وصلنا إلى المقصود فى نظر الشارع ولم نحتج إلى تصرف بتغيير أو تبديل وانتفع القريب والبعيد بالهدى وحصل التقرب به إلى الله عز وجل .

[**نعم**] إذا بقى شىء من الهدايا أو الضحايا بمنى وحفظها أصحابها فى ثلاجات بواسطة التيار الكهربائى المنتشر بفضل الله فى طول البلاد وعرضها للتصدق

به بعد والانتفاع به فلا مانع من ذلك وهذا بمثابة اللحوم التى تقدد وتحمل للانتفاع بها فيما بعد فاذا تمت هذه الاسباب وتوفرت وأعطى الحاج زيادة على ماذكر الحرية التامة فى هديه يشتريه من أى مكان ويذبحه فى أى موضع بمكة أو بمنى أو فى بيته أو خيمته حصل المقصود من الهدايا والقرابين كما قلنا وظفرنا بالطرق الكفيلة بحفظ لحوم الهدايا وعدم القائها بالطرق ولله الحمد .

أما طريق حفظها فى ثلاجات ثم بيعها للفقراء كما يقول السائل فهذا مما لا يسوغ شرعا بل انه يعود عمل الشركة لو برزت للوجود [**لا قدر الله**] على أصل مشروعية الهدايا بالابطال وضياع حقوق الفقراء ورفع الخير العظيم الذى نوهت عنه الآية [**لكم فيها خير**] واخراج هذه الذبائح من كونها هديا وقربة وصدقة إلى ذبائح تبيعها الشركة بعد الموسم للفقراء وقد تبيعها لغيرهم بربح بسيط بعد مصاريفها وأنت تعلم أن الفقراء لا يباع لهم فى هذا الباب بل يتصدق عليهم ولا يتطلب من وراء ما تصدق به عليهم ربح بسيطا كان أو غير بسيط .

ومما لا ريب فيه أن الهدايا والقرابين وذبحها إذا جرى على ذلك الرسم الذى قرره الشرع الشريف وجرينا فيها على النهج القويم ووزعت الهدايا التوزيع الحق على أربابها وكان ذبحها غير مقيد بيوم مخصوص أو مكان مخصوص بل جعل منها جزء يذبح بمكة قبل يوم النحر كدم التمتع وجزء منها يذبح بمنى فى يوم النحر وأيام التشريق ولم يضيق على أصحابها فى الذبح بمجزرة خاصة دون غيرها ولاحظنا أن ذلك كله قربة باراقة الدم كما تقدم توصلهم إلى رضا الله فتسمح نفوسهم ببذل الأموال الكثيرة فى شراء البهيمة الغالية قيمة السمينة بدنا السليمة مما يشينها من العيوب ، وتحرص على إيصال اللحوم إلى الفقراء والأقارب والارحام وارسالها إلى دورهم إذا تم هذا حصل المقصود على الوجه المشروع وانما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى والله الموفق الهادى إلى سبيل الرشاد .



حول مناسك الحج

هذه مسائل تتعلق بالمناسك يخطىء فيها كثير من الحجاج ويفهمونها على غير وجهها الصحيح احببنا بيان الصواب فيها .

فمنها : أن كثيرا من الحجاج ، يحرصون على تقبيل الحجر الاسود وبعضهم يعتقد أن ذلك واجب وأن طوافه لا يتم إلا بتقبيله فيزاحم عليه مزاحمة تصل إلى حدّ الايذاء . وهذا عين الجهل ، فان استلام الحجر مطلوب ومحمود كما جاء فى الحديث عن النبى ﷺ أن الحجر الاسود يمين الله فى الارض وأن استلامه يحط الخطايا ، ولكن هذه الفضائل تحصل ولو بالاشارة .

ولا تجوز المزاحمة التى تؤدى الى الايذاء وهو حرام بلاشك لتحصيل الاستلام وهو سنة بلاشك ، فكيف إذا كانت المزاحمة تؤدى إلى القتال . وقد قال النبى ﷺ لعمر : (**يا أبا حفص ، انك رجل قوى ، فلا تزاحم على الركن ، فانك تؤذى الضعيف . ولكن إن وجدت خلوة فاستلم ، وإلا فكبّر وامض**) أخرجه الشافعى فى سننه وسعيد بن منصور وقال : وإلا فكبّر وهلّل وامض . وأخرجه أحمد من حديث عمر نفسه وقال : وإلا فاستقبله فهلل وكبّر .

وعن عروة أن عبد الرحمن بن عوف استأذن النبى ﷺ فى عمرة فأذن له فلما قدم قال : يا أبا محمد كيف صنعت فى استلامك الحجر ؟ قال : استلمت وتركت ، قال : أصبت .

وعن عمر بن أبى سلمة عن أبيه أن عبد الرحمن بن عوف كان اذا أتى الركن فوجدهم يزدحمون عليه استقبله وكبّر ودعا وطاف وإذا رأى خلوة استلمه . أخرجه سعيد بن منصور .

ومنها : أن بعض الناس يظن أنه يشرع استلام غير الركنين ، الركن اليمانى والركن الذى فيه الحجر . والصواب أن ذلك ليس بوارد عن النبى ﷺ . يقول ابن

عمر رضى الله عنهما : (**لم يكن رسول الله ﷺ يستلم من اركان البيت إلا الركن الاسود والذى يليه**) أى اليمانى .

ويقول يعلى بن أمية : طفت مع عمر بن الخطاب ، فلما حاذينا الركن الشامى مددت يدى لاستلم ، فقال : ما شأنك ؟ قلت : ألا تستلم ؟ قال : الم تطف مع رسول الله ﷺ ؟ قلت : بلى ، قال : فهل رأيته يستلم الركنين الغربيين ؟ قلت : لا . قال : أفليس لنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة ؟ قلت : بلى . قال : فلا تعد . أخرجه أحمد .

وقد ذكر ابن عمر رضى الله عنهما العلة التى لأجلها ترك استلام ماسوى الركنين اليمانيين بقوله : (**ما أرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم**) اخرجاه .

ومن ذلك : أن بعض الحجاج يظن أنه يجب صلاة ركعتى الطواف خلف المقام وأنه لا يصح فعلهما فى غيره ، وهذا خطأ ، والصواب أنه يجوز أداء ركعتى الطواف خارجا من المسجد ، لما جاء فى الحديث عن أم سلمة رضى الله عنها حديث قدومها وهى شاكية فطافت راكبة فلم تصل حتى خرجت . أخرجه البخارى .

وذكر رزين فيما ذكر أنه متفق عليه أن أم سلمة صلّت ركعتى الطواف فى الحل

وعن عمر رضى الله عنه حديث صلاة الركعتين بذى طوى أخرجه مالك .

وذكر رزين فيما ذكر أنه متفق عليه أن عمر صلاهما فى الحلّ .

ومن ذلك : أن بعض النساء يرملن فى الطواف والسعى ، والرمل هو الاسراع فى المشى مع هز المنكبين ، وهو سنة ، لكن للرجال فى الطواف الذى بعده سعى .

أما النساء فانه قد اتفق الفقهاء على أنه لا يسن لهن ذلك . بل هو منهنّ قبيح ، وهن به مأزورات لا مأجورات . فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : ليس على النساء رمل ولا سعى فى الوادى بين الصفا والمروة . أخرجه الشافعى وسعيد . وعن عطاء مثله .

وعن سليمان بن يسار أن السنة عندهم أنه ليس على المرأة هرولة بالبيت ولا سعى بين الصفا والمروة .

وعن مكحول : ليس على النساء رمل بالبيت ولا سعى بين الصفا والمروة . أخرج جميع ذلك سعيد بن منصور .

ومن ذلك : أن بعض الحجاج يعتقد أن دخول البيت واجب ، وأنه من شعائر الحج حتى إننى رأيت بعضهم وقد فاته الدخول يوم فتح ، وهو يكاد يبكى من شدة الحزن وكم ترى الناس يتدافعون عند دخلوهم حتى يكاد يقتل بعضهم بعضا . وهذا ما أخبر عنه ﷺ .

فعن عائشة رضى الله عنها قالت : خرج رسول الله ﷺ من عندى وهو قرير العين طيّب النفس . ثم رجع إلىّ وهو حزين ، فقلت له : (أى عن سبب حزنه)

فقال : (دخلت الكعبة ووددت أنى لم اكن فعلت . انى اخاف أن اكون اتعبت أمتى من بعدى) أخرجه أحمد والترمذى وصححه وأبو داود .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما (أنه حج كثيرا ولم يدخل البيت) أخرجه البخارى تعليقا .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ليس من أمر الحج دخول البيت فتؤذى وتؤذى ولا يستلم الحجر إلا إن تيسر .

وعنه أنه قال : ليس أمر حجك دخول بيتك اى الكعبة

وعن ابراهيم قال : من حج ولم يدخل البيت لم ينقص حجه شيئا .

وعن عطاء أن رجلا قال له : ان طفت بالبيت ولم أدخله ، فقال عطاء : وما عليك ألا تدخله إنما أمرت بالطواف به ولم تؤمر بالدخول فيه .

ومن الأخطاء التى يقع فيها كثير من الحجاج هو : حرصهم على صعود جبل الرحمة بعرفات ، ويعتقد فريق آخر منهم أن ذلك من واجبات الحج وأن الوقوف لا يتم إلا بصعود الجبل . وهذا مخالف لسنة رسول الله ﷺ . فانه ﷺ لم يصعد

الجبل وإنما وقف عند الصخرات الكبار وقال : (وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف) أخرجه مسلم . وأكد هذا فى اكثر من حديث يقول فيه : إن عرفة كلها موقف .

ومن ذلك : أن بعض الناس يعتقدون وجوب الذبح على كل من حج حجة الاسلام ، ولو لم يحصل منه موجب وهذا جهل . فانه لا يلزم على كل من حج حجة الاسلام — أى حجة الفريضة — لا يلزم أن يذبح لأجل الفريضة بل ذلك تبرع منه والتزام مالم يلزم به الشرع .

نعم إذا حصل منه تفريط فى واجب فان الدم يجب لأجل ذلك النقص لا لأجل حجة الفريضة .

ومن ذلك : أن كثيرا من النساء يعتقدن وجوب لبس الثياب البيضاء فى الاحرام . وهذا خطأ . فان المرأة لها أن تحرم فى ثياب بيضاء أو سوداء أو ما شاءت ما دامت تستر بدنها .

ومن ذلك : أن كثيرا من الناس يعتقد أنه يجب أن يكون الازار والرداء أبيضين . والصواب أن ذلك ليس بواجب بل يجوز للمحرم أن يرتدى بأىّ لون شاء من الازار والرداء .

نعم يستحب أن يكون أبيض .

ومن ذلك : أن بعض النساء يحرصن على كشف وجوههن لأجل الاحرام ، ويجادلن فى هذه المسألة مالا يجادلن فى غيرها من الاداب الاسلامية ، ويحرصن على ذلك ما لا يحرصن على غيره من الواجبات العظمى الدينية . وبهذا يظهر جليا أن الدافع لذلك هو الرغبة فى السفور وخلع الحجاب احتجاجا بأن إحرام المرأة فى وجهها ، وهذا ليس محافظة على كمال الاحرام من حيث هو إحرام . وإنما هذا كما أسلفنا مطية لفعل ما لا يمكن فعله من قبل بدليل أنها قد تترك الصلاة وقد تخرج متعطرة الى السوق ، وقد تعصى زوجها ، ولا يهمها هذا ، وهو من كبائر المعاصى ، ولكن يهمها كشف الوجه فى الاحرام (سبحانك هذا بهتان عظيم) مع أنه ثبت عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها كانت تغطى وجهها اذا مرّ الرجال الأجانب بها فاذا انصرفوا كشفت وجهها وذلك اثناء الإحرام .

ومن الاخطاء الشنيعة : ما يفعله بعض الناس عند الجمرات وذلك بضرب العمود الذى فى وسط الحوض بالنعال والعصى وغير ذلك . وبعضهم يشتمه ويسبه ويلعنه ويبصق عليه ظنا منهم أن له صلة بالشيطان ، أو أن الشيطان فى دَاخله ، ولذلك فان بعضهم يسمى الجمرات بالشيطان فيقول ، الشيطان الصغير والشيطان الاوسط والشيطان الكبير . وهذا كله جهل بل هو من عمل الشيطان ، لأن الشيطان يفرح بأمثال هذا الجهل ، وقد رأيت مرة رجلا يرتقى هذا العمود الذى فى وسط الحوض وبيده عصا وهو ينهال عليه ضربا وشتما قائلا : أنت فرقت بينى وبين زوجتى وأنت فعلت كذا وكذا . ولاشك أن الشيطان يفرح ويسر بهذا الفعل ، بل هو الذى دفعه إليه . وهو لا يتألم من هذا الضرب ولا يتأذى وإنما يتألم من استجابة العبد لأمر مولاه ، واقباله على طاعته ، وبتنفيذه لأمره دون تحكيم عقله بل إسلام واستسلام وحق وصدق وتعبد ورق ، ويتألم أيضا من تمام محافظة العبد على السنة النبوية وكمال سعيه فى رضا مولاه تعالى ونبيه ﷺ والواجب أن يعلم المسلم أن هذا العامود إنما نصب للدلالة على موضع الرمى وأن يعلم أن المقصود من رمى الجمار الانقياد والتعبد لله تعالى وحده بما لاحظ للنفس فيه اقتداء بسيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام . فقد روى سالم بن أبى الجعد عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى ﷺ قال : (**لما أتى إبراهيم عليه السلام المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الارض . ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الارض . ثم عرض له فى الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الارض**) **قال ابن عباس : الشيطان ترجمون وملة أبيكم تتبعون . أخرجه البيهقى .**

فالحكمة فى رمى الجمار إظهار الرق والعبودية لرب البرية وامتثال الاوامر الدينية واظهار الاسف على ما ارتكبه الانسان من الخطايا ، والتغيظ على المغرى بها وهو الشيطان الذى يتمثله الانسان فى موضع الجمرات ويتخيل أنه يغريه بالمعاصى وهو يزجره ويطرده ولسان حاله يقول : إخسأ يالعين فانى وإن أطعتك فى الماضى فقد صممت على عدم طاعتك فى المستقبل فاذهب عنى .

ومن الجهل : اعتقاد وجوب الاضحية على كل حاج ، مع أن الاضحية سنة لمن استطاع .

أما الامام مالك فقد رخص للحاج فى تركها بمنى لأن سنة الحاج الهدى .

وبعض الحجاج يحرص على الذبح فى منى ، ظنا منه أن ذلك شرط فى صحة ذبح الهدى وهذا خطأ .

فقد جاء فى الحديث أن النبى ﷺ نحر بمنى ، وقال : (**نحرت هنا ، وكل منى منحر ، وكل فجاج مكة طريق ومنحر**) اخرجه أبوداود .

فالذبح جائز فى مكة أيضا ، ويظن كثير من الحجاج أيضا أن ذبح الهدى خاص بأيام منى . وهذا جهل ، فان أيام منى خاصة بذبح الاضحية ، أما الهدايا الواجبة فهى لا تختص بأيام منى بل يجوز فعلها فى أيام منى وما بعدها ، وإذا لاحظ الحجاج ذلك أعنى عدم اختصاص الذبح بمنى فذبحوا بمكة ، وعدم اختصاص الذبح بأيام التشريق بالنسبة للواجب من الهدايا فذبحوا بعد أيام التشريق لا يحصل ما نراه اليوم من تراكم الذبائح وذهاب اكثرها هدرا بلا فائدة . ويظن كثير من الحجاج أيضا أن المقصود هو الذبح فقط دون ملاحظة شروط الذبيحة وما يجزىء منها ومالا يجزىء ، ولذلك نجد أن اكثر هذه الذبائح غير مجزىء بل هى صغيرة هزيلة ، وقد تكون مريضة أو بها عيب . ولو فهم الحاج أن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وأنه لن ينال البر إلا بانفاق ما يحب ، وإنه إذا لم يملك قيمة المجزىء فانه لا يجوز له أن يشترى غيرها ، وقد أعذره الله تعالى فلينتقل بالعجز إلى الصيام .

وإذا لاحظ الحاج فى الذبيحة هذا الامر فان هذا أيضا يحل مشكلة تراكم اللحوم ، لأننا نجد أن هذا المتروك المرمى إنما هو من الذبائح التى لا تجزىء .

أما الطيب المجزىء ، فان الناس يقتتلون عليها قبل ذبحها ، فلتنتبه لهذا فانه مهم .

فاذا لاحظ الحاج هذه الامور لا يطرح شىء أو يرمى بلا فائدة إلا الشىء الذى لا تشتهيه النفس ــ وهو الذى لا يحبه الله تعالى ولا يرضاه ــ والامام الشافعى يرى جواز تقديم ذبح الهدى هدى التمتع قبل الحج . فهذا أيضا باب ليس بهين فى معالجة تراكم اللحوم بمنى أيام التشريق .

ومن الاخطاء التى يقع فيها كثير من الناس : ما يحصل منهم عند قبر سيدنا رسول الله ﷺ وذلك كاستلام المقصورة وتقبيلها والطواف بها والصلاة إليها والانحناء للقبر الشريف ، وأقبح منه تقبيل الأرض وهو حرام لأنه أشبه بالسجود . وكذا الطواف والصلاة للقبر لأن الطواف بمنزلة الصلاة .

ومنها : ما يفعله بعضهم من الوقوف بالجهة الشرقية من المقصورة يصلون ويسلمون على جبريل وميكائيل واسرافيل . فهو بدعة لا أصل له .

ومنها : الصاق الظهر والبطن بجدار القبر ومسحه باليد . والأدب ان يبعد منه كبعده من النبى ﷺ لو حضره فى حياته (ولا يغتر) بمخالفة كثير من العوام وفعلهم ذلك فان الاقتداء والعمل إنما يكون بالاحاديث الصحيحة واقوال العلماء المؤيدة بالدليل . قال الفضيل ابن عياض رحمه الله : اتبع طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين ، ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ فى البركة فهو من جهالته وغفلته ، لان البركة إنما هى فيما وافق الشرع وكيف يبتغى الفضل فى مخالفة الصواب .

ومن المنكر ما يزعمه بعض العامة أن النبى ﷺ قال : **من زارنى وزار أبى إبراهيم فى عام واحد ضمنت له الجنة** . وهذا باطل موضوع لا يعرف . وكذا قول بعضهم : إذا حج وقدّس أى زار بيت المقدس كان كحجتين . ولا تعلق لزيارة الخليل بالحج بل هى قربة مستقلة وفضيلة لا تنكر . إنما المنكر ما رووه واعتقدوه وكذا زيارة بيت المقدس فضيلة وسنة مستقلة لا تعلق لها بالحج .

ومنها : ما يفعله بعض الجهلة من قطع شعورهم ورميها بداخل الحجرة وفى هذا من القذارة والوساخة ما يدل على دناءة فاعله وقلة عقله وسوء أدبه وجدير بفاعل هذا أن يعزر ويؤدب .

ومن ذلك أيضا : إلقاء بعض الناس شيئا من أموالهم أيضا داخل الحجرة أو كتابة أسمائهم ورميها أو رمى شىء من آثارهم ، فكل هذه بدع ومنكرات لا يفعلها إلا جاهل أعمى والعياذ بالله .

فسخ الحج إلى العمرة

كثر السؤال عن مسألة فسخ الحج إلى العمرة ، وقد طال الكلام فيها بين الناس حتى تجرأ بعض الجهلة فانكر جواز الفسخ عند الامام أحمد رحمه الله تعالى ، لقصر باعه ، وعدم اطلاعه ، فحررت فيها أقوال العلماء ، مع التعرض لذكر الادلة حسب ما تيسر فأقول :

اعلم — رحمك الله تعالى — أن النبى ﷺ أمر أصحابه — الذين احرموا بالحج فى حجة الوداع ، ولم يسوقوا هديا — أن يتحللوا بفعل عمرة ، فقال فى آخر سعيه على المروة [**لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى ، ولجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعَلها عمرة**] .

فقام سراقة بن جعشم المدلجى فقال : يارسول الله ألعامنا هذا أم لأبد ؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة فى الاخرى وقال : [**دخلت العمرة فى الحج هذا — مرتين — لا ، بل لأبد أبد**] .

وهذا معنى فسخ الحج إلى العمرة عند الامام أحمد رحمه الله تعالى ، وعند الظاهرية ، وقال الاخرون : معنى الحديث جواز فعل العمرة فى أشهر الحج إلى يوم القيامة ، وأن القصد ابطال زعم الجاهلية منع ذلك . قال الامام النووى رحمه الله تعالى : وقد اختلف فى هذا الفسخ هل هو خاص بالصحابة تلك السنة خاصة ؟ أم باق لهم ولغيرهم إلى يوم القيامة ، فقال أحمد وطائفة من أهل الظاهر : ليس خاصا ، بل هو باق إلى يوم القيامة ، فيجوز لكل محرم لم يسق هديا أن يقلب إحرامه عمرة فيطوف ويسعى ويتحلل حتى بالغ بعض الحنابلة فى لزوم فسخ الحج إلى عمرة ، وقال : نحن نشهد الله على ذلك تفاديا من غضب رسول الله ﷺ ، ففى السنن عن البراء بن عازب رضى الله عنه : أن النبى ﷺ خرج وأصحابه ، فاحرمنا بالحج ، فلما قدمنا مكة قال : [**اجعلوها عمرة**] ، فقالوا : قد أحرمنا بالحج ، فكيف نجعلها عمرة ؟ فقال : [**انظروا ما آمركم به فافعلوه**] . فردّدوُا القول عليه فغضب ، الحديث .

وقال الشافعى ومالك وأبو حنيفة وجماهير العلماء من السلف والخلف : هو

مختص بهم فى تلك السنة لا يجوز بعدها وإنما أمروا به تلك السنة ليخالفوا ما كانت عليه الجاهلية من تحريم العمرة فى أشهر الحج وانها من افجر الفجور ، واستدل الجمهور بحديث أبى ذر رضى الله عنه فى صحيح مسلم قال : كانت المتعة فى الحج لاصحاب محمد ﷺ فى تلك السنة خاصة فى حجة الوداع ، فلا يجوز بعد ذلك لهم ولا لغيرهم ، وبحديث أبى ذر أيضا عند أبى داود قال : كان يقول أبو ذر رضى الله عنه فيمن حج ثم فسخها بعمرة : لم يكن ذلك الا للركب الذين كانوا مع رسول الله ﷺ ، قال الولى العراقى : وأبو ذر لا يقول هذا الا عن توقيف ، وبحديث بلال المزنى الذى أخرجه النسائى وأبو داود وابن ماجه من طريق عبد العزيز الداروردى عن ربيعة عن الحارث بن بلال المزنى المدنى عن أبيه بلال بن الحرث قال : قلت يا رسول الله : أرأيت فسخ الحج إلى العمرة لنا خاصة أم للناس عامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : [**بل لنا خاصة**] . وبحديث مسلم والنسائى أيضا كلاهما عن أبى ذر رضى الله عنه قال : [**لا تصح المتعتان إلا لنا خاصة**] .

يختص ذبح الهدايا بمكة

انه يختص ذبح دماء الحيوانات فى الحج والهدايا بها ويجب تفريقه على مساكين الحرم سواء الغرباء والقاطنون ، والقاطنون اولى ، ولو ذبح فى الحل لم يجزئه على الأظهر ، سواء فى هذا كله دم التمتع والقران وسائر ما يجب بسبب فى الحل والحرم ، أو بسبب مباح كالحلق للآدمى أو بسبب محرم .

استحباب ختم القرآن بمكة

استحب السلف للقادم الى مكة الا يخرج منها حتى يختم القرآن جميعه لا سيما فى الطواف .

وروى استحباب ذلك فى المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال .

قال ابراهيم النخعى : كان يعجبهم اذا قدموا مكة الا يرجعوا حتى يختموا القرآن . رواه سعيد بن منصور .

طواف الوداع

يجب على من خرج من مكة ، وان لم يكن قد حج أو اعتمر الى مسافة تقصر فيها الصلاة مكيا او غير مكى ، أن يطوف للوداع تعظيما للحرم على أصحّ الوجهين .

وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت .



العمرة وميقات أهل مكة فى العمرة

اعلم أن العمرة سنة فى العمر مرة وهى آكد من الوتر عند الامام مالك لماروى أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن العمرة أواجبة هى قال : لا وأن تعتمروا فهو أفضل . رواه الترمذى وروى ابن ماجه عن طلحة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **الحج جهاد والعمرة تطوع** — ولأنها نسك غير موقوت فلم يكن واجبا كالطواف المجرد .

وعند الحنابلة والشافعية العمرة واجبة فى العمر مرة لقوله تعالى (**وأتموا الحج والعمرة لله**) والأمر للوجوب ولعطفها على الحج والأصل التساوى بين المعطوف والمعطوف عليه .

وتكرار العمرة ثابت عن النبى ﷺ وعن السلف فقد اعتمر نبينا ﷺ أربع مرات ويكفى فى ثبوت هذا الفضل ماجاء فى الحديث الشريف عن العمرة وفضلها ومن ذلك حديث [**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما**] . ومن ذلك [**حجج تترى وعمر نسق ينفين الفقر وميتة السوء**] . رواه عبد الرزاق وهو حسن فى المتابعات . ومعنى ذلك ان العمر المتابعة لها بركة وهى أنها تحفظ العبد من أسباب الفقر ومن أبواب المعاصى التى تجره إلى ميتة السوء والعياذ بالله .

وأركان العمرة النية والطواف لها والسعى بين الصفا والمروة وللعمرة ميقاتان زمانى ومكانى فالزمانى جميع السنة لمن لم يكن محرما بحج مفردا أو قارنا . أما من كان محرما بحج مطلقا فانه يمتنع احرامه بالعمرة حتى يكمل حجه وتمضى أيام التشريق — والمكانى يختلف باختلاف الناس فان كان من أهل الآفاق فحكمه كالحج فى مواقيته الماضية وإن كان من أهل مكة أو المقيمين بها فميقاته الحل من أى جهة والأفضل الجعرانة ثم التنعيم قال الامام النووى ثم الحديبية فإذا أحرم بها من الحل يستمر يلبى إلى بيوت مكة فاذا وصل البيوت قطع التلبية .

ولا يجوز عند الأئمة الأربعة الاحرام بالعمرة من مكة أو الحرم فان أحرم بها من مكة أو الحرم فتنعقد الا أنه يجب عليه الخروج إلى طرف الحل قبل الطواف والسعى لها ولادم عليه والا فقد أساء ووجب عليه الدم .

والأفضل عند الحنفية الاعتمار من التنعيم لأنه عليه الصلاة والسلام أمر

عبد الرحمن شقيق السيدة عائشة أن يخرج بها إلى التنعيم لتحرم بالعمرة .

ولنذكر لك النصوص من أمهات كتب فقه المذاهب الأربعة على وجوب الخروج إلى طرف الحل لمن اعتمر .

قال ابن قدامة فى المغنى على قول أبى القاسم الخرقي : وأهل مكة إذا أرادوا العمرة فمن الحل [**مالفظه**] أهل مكة ومن كان بها سواء كان بها مقيما أو غير مقيم إلى أن قال وإن أراد العمرة فمن الحل لا نعلم فى هذا خلافا .

وقال فى كشاف القناع : من كان فى الحرم من مكى وغيره خرج إلى الحل فأحرم من أدناه ومن التنعيم افضل لأن النبى ﷺ أمر عبد الرحمن أن يعمر عائشة من التنعيم وقال ابن سيرين بلغنى أن النبى ﷺ وقت لأهل مكة التنعيم وإنما لزم الاحرام من الحل ليجمع فى النسك بين الحل والحرم . [**قلت**] وأمره عليه الصلاة والسلام باعتمار عائشة من التنعيم هو فى معنى التوقيت للعمرة لمن كان بمكة ، هذا وقد كان عليه الصلاة والسلام إذ ذاك فى ضيق من الوقت مستوفزا للتوجه إلى المدينة فلو كان الاعتمار لمن كان بمكة انما هو بالطواف والسعى فقط دون أن يتكلف الخروج إلى الحل لكانت عائشة أحق به لوضوح العذر وضيق الوقت وحبس العدد الكثير من الصحب الكرام وعلى رأسهم النبى ﷺ ينتظرون فراغها من العمرة .

وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى فى الأم : وإذا أهلّ بحج ثم أراد العمرة أنشأ العمرة من أى موضع شاء إذا خرج من الحرم أى إلى الحل وقال فى مختصر المزنى : ولو أفرد الحج وأراد العمرة بعد الحج خرج من الحرم ثم أهل من أين شاء وأحرم بها من أقرب المواضع من ميقاتها لها دون الحل .

وقال فى رد المحتار على الدر المختار [**فى مذهب الحنفية**] عند قول المؤلف : [**وللعمرة الحل**] ليتحقق نوع سفر لأن أداء الحج فى عرفة وهى فى الحل وأداء العمرة فى الحرم فيكون أحرم بها من الحل ليتحقق له نوع من السفر .

وفى الموطأ : سئل الامام مالك عن رجل من أهل مكة هل يحرم بعمرة من جوف مكة قال : بل يخرج إلى الحل فيحرم منه قال أبوالوليد الباجى وهذا كما قال ان المكى لا يحرم بالعمرة من الحرم وإنما يحرم بها من الحل ، والأصل فى ذلك حديث عائشة رضى الله عنها ، ومن جهة القياس أن النسك من شرطه الجمع بين الحل

والحرم ، وجميع أفعال العمرة فى الحرم فلو أحرم بها فى الحرم لما جمع فيها بين الحل والحرم . فان أحرم المعتمر من الحرم لزمه الاحرام وعليه أن يخرج إلى الحل فيدخل منه مهلاً بالعمرة قاله الامام مالك ووجه ذلك ماذكرناه من أن سنة العمرة أن يبدأ بها من الحل ويكون انتهاؤها فى الحرم لقوله تعالى : [**ثم محلها إلى البيت العتيق**] . فاذا ابتدأها من الحرم فقد ابتدأها من غير الميقات الواجب لها فلزمت بالدخول فيها ووجب استدراك ما يجب من شروطها من الجمع بين الحل والحرم .

فقد علمت من هذه النصوص أن المسألة متفق عليها عند أرباب المذاهب الأربعة أئمة الهدى الواجب اتباع أحدهم فى دين الله تعالى لمن هو جدير بالتقليد كغالب علماء العصر فضلا عن عوامهم ولا يسوغ مجال الخروج عن مذاهبهم إذ هى المجمع عليها كما قرره الاصوليون وذكره سيدى عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوى فى مراقى السعود بقوله :

والمجمع اليوم عليه الأربعــة وقفــو غيرهـا الجميعُ منعــه

[هــذا] وذكر أبوالوليد الأزرقى فى أخبار مكة أن ابن الزبير لما فرغ من بناء الكعبة خلقها من داخلها وخارجها ، من أعلاها إلى أسفلها وكساها القباطى وقال من كانت لى عليه طاعة فليخرج ليعتمر من التنعيم وخرج ماشيا وخرج الناس معه مشاة حتى اعتمروا من التنعيم شكرا لله سبحانه وتعالى ولم ير يوما كان أكثر عتيقا ولا أكثر بدنة منحورة ولا شاة مذبوحة ولا صدقة من ذلك اليوم ونحر ابن الزبير مائة بدنة ونقله المحب فى القرى ثم قال : قلت : وروى ابوالوليد الازرقى عن ابن خيثم قال : رأيت عطاء بن أبى رباح ومجاهدا وعبد الله بن كثير الدارى وناسا من القراء إذا كان ليلة تسع وعشرين من شهر رمضان خرجوا إلى خيمة جمانة فاعتمروا منها — وفى الحديث دليل على أن ميقات مكة فى العمرة أدنى الحل قال الشافعى : وأحب لمن أراد العمرة أن يعتمر من الجعرانة لأن النبى ﷺ اعتمر منها ثم من التنعيم لأن النبى ﷺ أمر عائشة أن يعتمر منها ثم الحديبية لأن النبى ﷺ أراد الدخول لعمرته منها ثم تحلل .

واعلم انه قد اعتمر ﷺ أربع عمر كلها فى ذى القعدة عمرته بالحديبية حضرها معه من أصحابه الكرام ما بلغ ألفا وأربعَمائة أو يزيدون سنة ست من الهجرة وعمرة القضاء من قابل سنة سبع وعمرته من الجعرانة لما قسم غنائم حنين بها سنة ثمان ، وعمرته التى مع حجته عام عشر من الهجرة .

المسجد الحرام فى القرآن الكريم

ذكر الله سبحانه وتعالى المسجد الحرام فى كتابه العزيز فى خمسة عشر موضعا ، ستة فى البقرة .

الأول : [**قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر** المسجد الحرام] .

الثانى : [**فول وجهك شطر المسجد الحرام**] .

الثالث : [ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام] .

الرابع : [ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام] .

الخامس : [ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام] .

السادس : [والمسجد الحرام واخراج أهله منه] .

وفى سورة المائدة موضع [**ان صدوكم عن المسجد الحرام**] وفى سورة الانفال موضع : [**وهم يصدون عن المسجد الحرام**] وفى التوبة ثلاثة مواضع :

الأول : [**الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام**] .

الثانى : [**وعمارة المسجد الحرام**] .

الثالث : [**فلا يقربوا المسجد الحرام**] .

وفى بنى اسرائيل موضع : [**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام**] وفى الحج موضع : [**والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس**] وفى الفتح موضعان :

الأول : [**وصدوكم عن المسجد الحرام**] .

الثانى : [**لتدخلن المسجد الحرام**] .

وذكر الماوردى فى الحاوى فى كتاب الجزية ان كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به : **الحرم** . إلا فى قوله تعالى : [**فول وجهك شطر المسجد الحرام**] فانه اراد به الكعبة ، واما ابن أبى الصيف اليمنى فقال بعد ذكر المواضع الخمسة عشر : منها ما اراد به الكعبة ، كقوله تعالى : [**فول وجهك شطر المسجد**] ومنها ما اراد به مكة كقوله تعالى : [**سبحان الذى أسرى بعبده**] وقد ورد أنه أسري به من بيت ام هانىء بنت أبى طالب . ومنها ما اراد به الحرم كقوله تعالى : [**إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام**] قال : وقد روى النسائى فى سننه من حديث ميمونة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الكعبة .** وروى ايضا من حديث أبى هريرة : الا الكعبة . وفى رواية ابن ماجه [**وصلاته بمكة بمائة ألف**] مع ذكر المسجد يظهر انه اراد مسجد مكة والمصلى فيه مصل بمكة .

قال : والإنصاف ان الكل داخل فى الاسم المذكور فى القرآن الا أن الاطلاق إنما ينصرف إلى المسجد الذى قدر به الطواف ولهذا ورد : كنا فى المسجد الحرام وخرجنا من المسجد الحرام واعتكفنا فى المسجد الحرام وبتنا فيه ولا شك ان مساجد الحرم متعددة واختص هو بينها بالمسجد الحرام فى العرف .

وقد ذكر الازرقى فى أخبار مكة عن جده عن مسلم ابن خالد عن محمد بن الحرث عن سفيان عن على الازدى قال : سمعت ابا هريرة رضى الله عنه يقول : انا لنجد فى كتاب الله عز وجل أن حد المسجد الحرام من الحزورة إلى المسعى .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال : اساس المسجد الذى وضعه ابراهيم عليه السلام من الحزورة إلى المسعى إلى مخرج سيل أجياد .



مكـة المكـرمة

تقول سبيعة بنت الأحب فى كلمة توصى ابنها فيها بتعظيم مكة وبيت الله تعالى وتذكر الملك تبع وما صنع بها :

أبنـى لا تظلـم بمكـة	لا الصغير ولا الكـبير
أبنـى قد جربتها	فوجـدت ظالمهـا يـور
الله آمنهـا ومـا	بنيت بعـرصتها قصـور
والله آمـن طيرهـا	والعصم تأمن فى ثبيـر
ولقـد غـزاهـا تبـع	فكسـا بنيتهـا الحبيـر
وأذل ربى ملكـه	فيهـا فـأوفى بالنـذور
ويظـل يطعـم أهلهـا	لحـم المهـارى والجـزور

فضـل الطـواف بالبيت

عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة** ، وسمعته يقول : **لا يرفع قدما ولا يضع أخرى الا حط الله بها عنه خطيئة وكتبت له بها حسنة** . أخرجه الترمذى بهذا اللفظ وقال : حديث حسن . وأخرجه بتغيير بعض اللفظ وتقديم وتأخير وخرج أبو حاتم من قوله : **لا يرفع قدما إلى آخره** . وزاد : **ورفع له درجة** .

وعنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : **من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة** . أخرجه ابن حبان وأخرجه أبو سعيد الجندى وقال : **كعتق رقبة نفيسة من الرقاب وأخرجه النسائى وقال : من طاف سبعا فهو كعتق رقبة** وأخرجه الحافظ أبو الفرج فى مثير الغرام وقال : **وصلى خلف المقام ركعتين فهو عدل محرر** .

وعنه رضى الله عنه : كان أحب الأعمال إلى رسول الله ﷺ إذا قدم مكة الطواف بالبيت . اخرجه أبو ذر . ولعله أراد بهذا ألا يعرج على شىء قبله .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **من طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفر له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت** . أخرجه أبو سعيد الجندى وأخرجه الإمام الواحدى مسندا فى تفسيره الوسيط وهو حديث غريب من حديث أبى معشر عن محمد بن المنكدر عن جابر وعن مولى لأبى سعيد قال :

رأيت أبا سعيد يطوف بالبيت وهو متكىء على غلام له طهمان وهو يقول : [**لأن أطوف بهذا البيت أسبوعا لا أقول فيه هجرا وأصلى ركعتين أحب الىّ من أن أعتق طهمان**] أخرجه سعيد بن منصور .

ومعنى [**هجرا**] أى فحشا .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : إذا خرج المرء يريد الطواف بالبيت أقبل يخوض فى الرحمة فاذا دخله غمرته ثم لا يرفع قدما ولا يضعها الا كتب الله له بكل قدم خمسمائة حسنة وحط منه خمسمائة سيئة أو قال : خطيئة ورفعت له خمسمائة درجة فاذا فرغ من طوافه فصلى ركعتين دبر المقام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وكتب له أجر عشر رقاب من ولد إسماعيل واستقبله ملك على الركن وقال له : استأنف العمل فيما تستقبل فقد كفيت ما مضى وشفع فى سبعين من أهل بيته .

وعنه عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو أنه قال : من توضأ فأسبغ الوضوء ثم أتى الركن ليستلمه خاض فى الرحمة فاذا استلمه قال : بسم الله والله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله غمرته الرحمة فاذا طاف بالبيت كتب الله له بكل قدم سبعين ألف حسنة وحط عنه سبعين ألف سيئة ورفع سبعين ألف درجة وشفع فى سبعين ألفا من أهل بيته . فاذا أتى مقام إبراهيم عليه السلام فصلى ركعتين إيمانا واحتسابا كتب الله له عتق أربعة عشر محررا من ولد إسماعيل وخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه . وفى رواية وأتاه ملك فقال له : اعمل لما يقى فقد كفيت ما مضى .

هكذا وقفه عمرو على جده ولم يرفعه إلى النبى ﷺ أخرج الأربعة الأزرقى وتابعه أبو الفرج على الثالث والرابع وسعيد بن منصور على الرابع ›.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ [**إن الله يباهى بالطائفين ملائكته**] أخرجه أبو ذر وأبو الفرج فى مثير الغرام .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : [**من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**] أخرجه الترمذى وقال : حديث غريب وقال البخارى : إنما يروى هذا عن ابن عباس والمراد والله أعلم خمسون سبوعا يدل عليه ما روى عن سعيد بن جبير قال : [**من حج البيت فطاف خمسين سبوعا قبل أن يرجع كان كما ولدته أمه**] أخرجه سعيد بن منصور وكذلك روى عن ابن عباس . ومثل هذا لا يكون إلا توقيفا : والله أعلم .

وقد جاء الحديث من طريق آخر : خمسين سبوعا مكان مرة أخبرنا به الشيخ المعمر أبو الحسن على بن أبى عبد الله بن المقير إذنا إن لم يكن سماعا قال أنبأنا الحافظ أبو العلاء الحسن الهمدانى العطار عن محمود بن اسماعيل عن ابن فاذ شاه عن الطبرانى قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا يحيى بن يمان عن شريك عن أبى اسحاق عن عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : [**من طاف بالبيت خمسين سبوعا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**] وقد أخرجه الامام عبد الرازق بن همام عن شريك بهذا الاسناد وقال : خمسين سبوعا وهذا مفسر للحديث الأول وبيان لإرادة الأسبوع بالمرة فيكون ردا لقول من قال : المراد بالمرة الشوط .

قال أهل العلم : وليس المراد أن يأتى بها متوالية فى آن واحد وإنما المراد أن يوجد فى صحيفة حسناته ولو فى عمره كله وعنه قال : قال رسول الله ﷺ **ينزل على هذا البيت كل يوم وليلة عشرون ومائة رحمة ستون منها للطائفين بالبيت وأربعون للعاكفين حول البيت وعشرون للناظرين إلى البيت** وفى رواية قال : قال رسول الله ﷺ : ينزل الله على أهل المسجد مسجد مكة **كل يوم** عشرين ومائة رحمة الحديث وقال فيه وأربعون للمصلين ولم يقل للعاكفين أخرجهما أبو ذر والأزرقى .

وعنه قال : كان آدم يطوف سبعة أسابيع بالليل وخمسة بالنهار ويقول يارب اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه من ذريتى فأوحى الله عز وجل : انى معمره نبيا من ذريتك اسمه إبراهيم أقضى على يديه عمارته وأنيط له سقايته وأريه حله وحرمه ومواقفه وأعلمه مشاعره ومناسكه .

وعن محمد بن فضل قال : رأيت ابن طارق فى الطواف وقد انفرج له أهل الطواف فحرروا أطوافه فى ذلك الزمان فاذا هو يطوف فى اليوم والليلة عشرة فراسخ أخرجهما أبو الفرج فى مثير الغرام .

وعن عمرو بن دينار المكى قال إن الله تعالى إذا أراد أن يبعث ملكا فى بعض أموره إلى الأرض استأذنه ذلك الملك فى الطواف ببيته الحرام فيهبط مهلا . أخرجه الأزرق وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : استمتعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين ويرفع فى الثالثة .

وعن ابن مسعود رضى الله عنهما قال : اكثروا من زيارة هذا البيت قبل أن يرفع وينسى الناس مكانه . واكثروا من تلاوة القرآن قبل أن يرفع . فقالوا : هذه المصاحف ترفع فكيف بما فى صدور الرجال ؟ قال : يسرى عليها ليلا فتصبح صفرا أو قفرا حتى ينسوا لا إله الا الله . فيقولون : قد كنّا نقول قولا ونتكلم به ويرجعون إلى شعار الجاهلية وكلامهم .

أخرجه الأزرقى . ومعنى « صفرا » اى خلوا .

وعن على رضى الله عنه قال : [استكثروا بالطواف بالبيت قبل أن يحال بينكم وبينه . فكأنى أنظر إلى رجل من الحبشة أصمع واصلع خشن الساقين جالسا عليه وهو يهدم] .

أخرجه سعيد بن منصور .

ومعنى [**الأصمع**] الصغير الأذن من الناس .

[**والاصلع**] الذى انحسر الشعر عن رأسه .

[**وخشن الساقين**] دقيقهما .

فضل الدعاء تحت الميزاب وفى الطواف

أول من وضع ميزابا للكعبة قريش حين بنتها سنة ٣٥ من ولادة النبى ﷺ حيث كانت قبل ذلك بلا سقف ــ ثم لما بناها عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما وضع لها ميزابا وجعل مصبه على حجر إسماعيل كما فعلت قريش وهكذا فعل أيضا الحجاج .

وقد وقع تغيير وتبديل فى ميزاب الكعبة لسببين :

أحدهما : أنه كان إذا اعتراه خراب عمل غيره .

والثانى : كان بعض الملوك أو الأغنياء من عظماء المسلمين يهدى للكعبة ميزابا فيركب فى الكعبة وينزع الذى قبله مع التفنن فى صنعه واتقانه وتحليته بالذهب والفضة .

وقد عمل السلطان عبد المجيد خان ميزابا صنع بالقسطنطينية سنة ١٢٧٦ وركب فى نفس السنة وهو مصفح بالذهب نحو خمسين رطلا[١] .

قلت : وهو آخر ميزاب وهو الموجود الآن بالكعبة المشرفة وقد جاء فى فضل الدعاء تحت الميزاب آثار عن أئمة الصحابة والتابعين .

فمنها : ماروى الأزرقى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : صلوا فى مصلى الأخيار واشربوا من شراب الأبرار قيل لابن عباس : ما مصلى الأخيار ؟ قال : تحت الميزاب قيل : وما شراب الأبرار ؟ قال : ماء زمزم[٢] .

---

(١) باختصار وتهذيب من تاريخ الكعبة لباسلامة ص ١٨١ .

(٢) حديث سنده جيد وهو موقوف على ابن عباس .

ومنها ماروى الأزرقى عن عطاء أنه قال : من قام تحت ميزاب الكعبة فدعا استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[1] .

وروى الأزرقى أيضا عن عطاء قال : من قام تحت مثعب الكعبة فدعا استجيب له[2] .

ومثعب الكعبة : مجرى مائها ، وهو الميزاب ويشهد لهذه الآثار : ما جاء فى الأحاديث الثابتة عن فضل الطواف واثبات مثل هذا الفضل له من غفران الذنوب واستجابة الدعاء .

وهذا المكان الشريف بخصوصه ـــ وهو تحت الميزاب ـــ يدخل فى تلك الدائرة بالعموم فان هذا الفضل العظيم عام فى أنحاء ذلك البيت الكريم .

ولما كانت هذه الأماكن المذكورة سابقا أماكن مباركة ومشرفة ذات فضائل وخصائص ومزايا ثابتة لما كانت كذلك كان ينبغى لمن وقف فيها أو حل بها أن يغتنم فرصة الدعاء هناك لأن المكان الفاضل كالزمان الفاضل له أثر فى مضاعفة العمل وقبوله .

وقد وردت أذكار مختلفة بعضها عام يقال فى الطواف ، وبعضها خاص ببعض تلك الأماكن ومن ذلك .

١ ـــ ماجاء عن ابن عمر أن من طاف سبع تطويفات لا يتكلم إلا بذكر الله عز وجل فعدل رقبة ، قال فى القرى : أخرجه سعيد بن منصور وأخرجه الأزرقى عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

٢ ـــ وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : من طاف بالبيت سبعا لا يتكلم إلا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ولا حول

---

(١) حديث موقوف على عطاء وسنده جيد .

(٢) موقوف ورجاله ثقا ت إلا ابن ساج فهو ضعيف .

ولا قوة إلا بالله محيت عنه عشر سيئات وكتبت له عشر حسنات ورفع له عشر درجات . قال فى القرى : أخرجه ابن ماجه .

٣ ــ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : حج آدم عليه السلام فطاف بالبيت سبعا فلقيته الملائكة فى الطواف فقالوا : بر حجك ياآدم أما إنا حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام قال : فما كنتم تقولون فى الطواف قالوا : كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر . قال آدم فزيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٤ ــ وعن ابن أبى نجيح قال : كان أكثر كلام عمر وعبد الرحمن بن عوف فى الطواف : [**ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**] أخرجه الأزرقى .

٥ ــ وقال خبيب بن صهيب رأيت عمر بن الخطاب وهو يطوف بالبيت وماله هجيرى الا أن يقول : [**ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**] الهجيرى : الدأب والعادة .

٦ ــ وعن عروة أنه كان إذا طاف بالبيت الاشواط الثلاثة يقول : [**اللهم لا إله إلا انت أنت تحيي بعد ما أمت**] يخفض بها صوته أخرجه مالك فى الموطأ .

٧ ــ وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يقول : [**اللهم انى أعوذ بك من الشقاق والنفاق ومن سوء الأخلاق ومن كل أمر لا يطاق**] .

قال زيد بن أسلم : أما الشقاق فمفارقة الإسلام وأهله وأما النفاق فإظهار الإيمان واسرار الكفر وأماسوء الأخلاق فالزنا والسرقة وشرب الخمر وكل ما حرم الله فهو من سوء الأخلاق .

قال فى القرى : أخرجه ابن حبيب الاندلسى المالكى فى كتابه جامع الادعية[٢٧١] .

أما الأماكن التى ورد فى السنة لها أذكار خاصة بها فى الطواف فهى :

١ ــ عند استلام الحجر :

وقد سأل بعض الصحابة رسول الله ﷺ عن الذى يقولونه عند استلام الحجر فقال ﷺ : قولوا : باسم الله والله اكبر إيمانا وتصديقا لإجابة محمد ﷺ(١) .

وكان ابن عمر اذا استلم الحجر : [**اللهم إيمانا بك ووفاء بعهدك وتصديقا بكتابك وسنة نبيك ثم يصلى على النبى ﷺ**](٢) .

وكان على رضى الله عنه يقول كذلك ويزيد : واتباعا لسنتك وسنة نبيك .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : باسم الله والله اكبر على ما هدانا الله لا إله الا الله وحده لا شريك له آمنت بالله وكفرت بالطاغوت(٣) واللات والعزى(٤) وما يدعى من دون الله ان وليي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين(٥) .



(١) اخرجه الشافعى [القرى ٢٧٣] .

(٢) أخرجه أبو داود .

(٣) الطاغوت كل ما عبد من دون الله .

(٤) اللات والعزى صنمان من حجارة كانوا يعبدونهما فى الجاهلية

(٥) أخرجه الازرق .

الملتـزم وفضـله

الملتزم هو ما بين الحجر الاسود وباب الكعبة . كما ثبت ذلك عن ابن عباس . ويقال له : المدعا والمتعوذ (**الأزرق ١ /٣٤٧ — وشفاء الغرام ١ /١٩٦ والجامع اللطيف ٤٣**) وسمى بالملتزم لأن الناس يلتزمونه ويدعون عنده .

وفضله عظيم ولذلك ثبت أنه من المواطن التى يستجاب فيها الدعاء .

وقد ثبت أن النبى ﷺ وضع وجهه وصدره وذراعيه وكفيه بالملتزم قال عبد الرحمن بن صفوان لما فتح رسول الله ﷺ مكة ، قلت : لألبسن ثيابى ، وكانت دارى على الطريق ولأنظرن كيف يصنع رسول الله ﷺ فانطلقت فرأيت النبى ﷺ قد خرج من الكعبة هو وأصحابه قد استلموا البيت من الباب إلى الحطيم وقد وضعوا خدودهم على الباب ورسول الله ﷺ وسطهم رواه أبو داود وقال المنذرى : فى اسناده يزيد بن أبى زياد ولا يحتج به ، وذكر الدارقطنى : أن يزيد هذا تفرد به عن مجاهد (٢ /٣٨٥ السنن) وفى رواية عند أحمد : رأيت رسول الله ﷺ ملتزما الباب ما بين الحجر والباب ، ورأيت الناس ملتزمين معه ﷺ **(كذا فى بذل المجهود ٩ /١٦٥)**

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وقد التزم البيت بين الباب والحجر : هذا والله المكان الذى رأيت رسول الله ﷺ التزمه : رواه ابن ماجه . وفى رواية أبى داود : أن عبد الله طاف ثم استلم الحجر وقام بين الركن والباب فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه هكذا وبسطهما بسطا ثم قال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعله **(كذا فى السنن لأبى داود)** .

وكان ابن عمر يلزق صدره ووجهه بالملتزم .

فالملتزم هو مابين الركن والباب ، وأما قول عبد الرحمن بن صفوان أنه رأى

رسول الله ﷺ وأصحابه استلموا البيت من البيت إلى الحطيم . فيجاب عنه بأن الرسول ﷺ لم يلتزم الا الملتزم . وأما أصحابه فلكثرتهم لم يروا موضعا فى الملتزم يسعهم جميعا فوقف فيه بعضهم والتزم غالبهم ما بقى من الجدار حتى الحطيم . والملتزم باب من أبواب الدعاء وموطن مجرب من مواطن الاستجابة إذا صدقت النية وصح القصد .

وقد اخبرنا بذلك رسول الله ﷺ فقال : **الملتزم موضع يستجاب فيه الدعاء ، مادعا الله فيه عبد دعوة الا استجابها** وهذا الحديث هو الحديث المسلسل باجابة الدعاء فى الملتزم . وقد رويناه بحمد الله مسلسلا من طرق متعددة منها عن سيدنا الامام الوالد السيد علوى المالكى رحمه الله تعالى قال : أخبرنا شيخنا الشيخ عمر حمدان قال : أخبرنا العلامة السيد أحمد بن إسماعيل البرزنجى والسيد على بن ظاهر الوترى والشيخ محمد بن سليمان حسب الله المكى قالوا : أخبرنا الشيخ عبد الغنى الدهلوى قال : أخبرنا محمد عابد السندى قال : أخبرنا الشيخ محمد حسين الانصارى قال : أخبرنا محمد بن محمد بن عبد الله المغربى قال : أخبرنا عبد الله بن سالم البصرى قال : أخبرنا الشيخ محمد بن علاء الدين البابلى قال : أخبرنا الشهاب أحمد بن خليل السبكى قال : أخبرنا النجم محمد بن أحمد بن على الغيطى قال : أخبرنا القاضى زكريا الانصارى قال : أخبرنا الحافظ ابن حجر العسقلانى قال : أخبرنا شرف الدين أبو بكر بن عز الدين عبد العزيز بن جماعة قال : أخبرنا يحيى بن فضل الله اليعمرى قال : أخبرنا مكى بن علان قال : أخبرنا أبو طاهر السلفى قال : سمعت أبا الفتح ايزديار بن مسعود الغزنوى يقول : سمعت أبا الحسن على بن محمد بن نصر اللبان يقول: سمعت أبا القاسم عبيد الله بن محمد ابن خلف البزاز بمصر يقول: سمعت محمد بن راشد الانصارى يقول : سمعت أبا بكر محمد بن إدريس المكى وهو وراق الحميدى يقول : سمعت عبد الله بن الزبير الحميدى يقول : سمعت سفيان بن عيينة يقول : سمعت عمرو بن دينار يقول : سمعت عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول : سمعت النبى ﷺ يقول : **الملتزم موضع يستجاب فيه الدعاء مادعـا الله فيه عبد دعوة الا استجابها** ، قال ابن عباس فوالله ما دعوت الله عز وجل منذ سمعت هذا الحديث إلا استجاب لى ، وقال

عمرو أنا والله ما أهمني أمر فدعوت الله عز وجلّ فيه إلا أجابني منذ سمعت هذا الحديث من ابن عباس قال سفيان كذلك أنا وقال الحميدى : وأنا كذلك . وهكذا قال كل واحد من الرواة إلى أن وصل إلى سيدنا الوالد رحمه الله قال : وأنا دعوت بحمد الله فى الملتزم بأمور كثيرة وظهرت إجابتها .

قلت : وأنا بحمد الله دعوت الله فى الملتزم بأمور كثيرة دنيوية وأخروية فظهرت لى إجابتها فى الدنيوية وأرجو ظهورها فى الاخروية . وهذا الحديث أخرجه القاضى عياض فى الشفا مسلسلا عن الحافظ أبى على عن أبى العباس الهروى عن أبى أسامة محمد بن أحمد بن محمد الهروى عن الحسن بن محمد بن الحسن بن راشد بسنده المذكور ولفظ حديثه سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما دعا أحد بشىء فى هذا الملتزم الا استجيب له وقال كل راو : وأنا ما دعوت الله بشىء منذ سمعته إلا استجيب لى .

قال ابن الطيب : وأخرجه الديلمى فى مسند الفردوس من وجه آخر مسلسلا وقال الحافظ أبو بكر بن مسدى : هذا حديث غريب من حديث عمرو بن دينار عن إبن عباس تفرد به مسلسلا محمد بن إدريس المكى كاتب الحميدي عنه وقد روى من حديث ابى الزبير عن ابن عباس موقوفا كما أخرجه سعيد بن منصور والبيهقى فى سننهما وهو شاهد قوى ومثله لا يكون رأيا فهو فى حكم المرفوع .

ومما جاء فى فضل الملتزم ما رواه الازرقى بسنده أن آدم عليه السلام طاف سبعا بالبيت حين نزل ثم صلى أمام باب الكعبة ركعتين ثم أتى الملتزم فقال : اللهم انك تعلم سريرتى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم ما فى نفسى وما عندى فاغفر لى وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى . اللهم إنى اسألك ايمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى الا ماكتبت لى والرضا بما قضيت علي ، فاوحى الله تعالى اليه : يا آدم قد دعوتنى بدعوات واستجبت لك ولن يدعونى بها أحد من ولدك إلا كشفت هُمومه وغمومه وكففت عنه ضيعته ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه وتجرت له من وراء تجارة كل تاجر وأتته الدنيا وهى راغمة وان كان لايريدها ، قال : فمنذ طاف آدم كانت سنة طواف .

قلت : وهذا الخبر سنده جيد الا أنه موقوف على عبد الله بن أبى سليمان مولى بنى مخزوم ولكن رواه الازرقى من طريق آخر مرفوعا إلى رسول الله ﷺ وفيه حفص بن سليمان وهو متروك . وبقية رجاله ثقات .

فضل النظر إلى البيت

من تتبع أنواع العبادات وفضلها يرى أن الله تعالى جعل من جنس كل عادة عند الانسان عبادة ومن نوع كل مألوف مباح سنة يثاب على فعلها ويجزى الجزاء الأوفى ففى مجرد النظر والرؤية نظر هو عبادة فاضلة يثاب عليها ذلك هو النظر إلى البيت الحرام .

روت عائشة رضى الله عنها مرفوعاً : النظر إلى الكعبة عبادة . رواه ابو الشيخ قال العزيزى فى السراج المنير ٣/ ٣١٧ واسناده ضعيف وقد ورد فى حديث ابن عباس : تقسيم الرحمات على أنواع العبادات المتعلقة بالبيت وخص النظر إلى البيت منها بعشرين رحمة .

قال رسول الله ﷺ : ينزل على هذا البيت كل يوم وليلة عشرون ومائة رحمة ستون منها للطائفين بالبيت وأربعون للعاكفين حول البيت وعشرون للناظرين إلى البيت ، وفى رواية وأربعون للمصلين ، وفيها ينزل الله على أهل المسجد مسجد مكة عشرين ومائة رحمة أخرجهما أبو ذر والازرقى (كذا فى القرى ٢٩٠)

قال السخاوى فى المقاصد الحسنة رواه الطبرانى فى معاجمه والازرقى وآخرون كالبيهقى والحارث فى مسنده ولفظ بعضهم مائة رحمة فستون للطائفين وعشرون لأهل مكة ومثلها لسائر الناس ، وقال السخاوى وأمليت فيه بمكة جزءاً فيه فوائد ، وحسنه العراقى ا هـ .

قلت : وذكر المنذرى حديث ابن عباس هذا وقال : رواه البيهقى باسناد حسن (ترغيب ٢/ ٣١٥) وقد تكلم الحافظ الطبرى فى كيفية قسمة هذه الرحمات على كل نوع وأفاض وأجاد وخلاصة ذلك كما ظهر لى هو أن تقسيم هذه الرحمات يتأول على وجهين :

الأول : قسمة الرحمات بينهم بالسوية على المسمى لا على قدر العمل قلة وكثرة ، فيحصل لكل طائف ستون رحمة ولكل ناظر عشرون رحمة ولكل مصل أربعون .

الثانى : قال وهو الاظهر قسمتها بينهم على قدر العمل فى العدد والوصف فتكون الستون رحمة بين الطائفين كلهم والعشرون بين الناظرين كلهم والاربعون بين المصلين حتى يشترك الجم الغفير فى رحمة واحدة من تلك الرحمات وينفرد الواحد برحمات كثيرة ، وذكر أمورا تؤيد استظهاره لهذا الوجه .

وقد ذكر فى القرى ، كما تقدم للحديث روايتين « الأولى » ينزل على أهل هذا البيت . « والثانى » ينزل على أهل المسجد قال الحافظ الطبرى : ولا تضاد بين الروايتين ، بل يجوز أن يريد بمسجد مكة البيت ويطلق عليه مسجد بدليل قوله تعالى : [**فول وجهك شطر المسجد الحرام**] ، ويجوز أن يريد مسجد الجماعة وهو الأظهر ويكون المراد بالتنزيل على البيت التنزيل على أهل المسجد ، ولهذا قسمت على أنواع العبادات الكائنة فى المسجد .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ : [**النظر إلى البيت الحرام عبادة**] أخرجه صاحب مثير الغرام كذا فى القرى .

قلت : يشهد له حديث عائشة السابق .

قلت : وقد عبر كثير من السلف عن جملة من فضائل هذه العبادة كل بحسب تذوقه ومعرفته وشهوده ، وتدخل تحت باب التأويل لمن يستشكل فى نظره شيئاً من ذلك إن وقع فى نفسه ذلك ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : (**النظر إلى الكعبة محض الايمان**) .

وعن مجاهد أنه قال : النظر إلى الكعبة عبادة وعن سعيد بن المسيب قال : من نظر إلى الكعبة إيماناً وتصديقاً خرج من الخطايا كيوم ولدته أمه .

وعن عطاء قال : النظر إلى البيت يعدل عبادة سنة قيامها وركوعها وسجودها .

وعن ابن السائب المدنى قال : من نظر إلى الكعبة إيماناً وتصديقاً تحاتت عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر ، أخرجهما صاحب مثير الغرام .

وعنه قال : النظر إلى البيت عبادة ، والناظر إليه بمنزلة الصائم القائم الدائم المخبت المجاهد فى سبيل الله . أخرجه الأربعة (الأزرق) ، والمخبت الخاضع الخاشع المتواضع (القرى ٣٠٥) .

ـ فضل دخول البيت واستحبابه ـ

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **من دخل البيت دخل فى حسنة وخرج من سيئة مغفوراً** » .

قال المحب الطبرى : أخرجه تمام الرازى وهو حديث حسن غريب من حديث عطاء بن أبى رباح (٤٥٢) .

قال العراقى ورواه البيهقى وقال تفرد به عبد الله بن المؤمل وهو ضعيف (طرح التثريب) (١٣٠) .

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة هو وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة وبلال بن رباح الحديث أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى .

قلت ففى هذين الحديثين فضل دخول البيت واستحباب ذلك اقتداء به عليه الصلاة والسلام قال العراقى وهذا متفق عليه (طرح التثريب) .

وأيضاً تعرضاً لهذا الثواب ورغبة فى حصول هذا الخير الكثير والفضل الجزيل .

قال الشافعى : واستحب دخول البيت ان كان لا يؤذى أحداً بدخوله قال العراقى :

دخوله ﷺ كان فى الفتح كما هو فى الصحيحين من حديث ابن عمر ولم يدخل الكعبة فى عمرته كما فى الصحيحين عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما ولم ينقل فيما أعلم دخوله فى حجه ، ولعل ترك الدخول فى عمرته وحجته لئلا يتوهم كونه من المناسك وليس منها وإنما هو سنة مستقلة كما تقدم وقال البيهقى دخوله كان فى حجته وحديث ابن أبى اوفى فى عمرته فلا معارضة بينهما .

وما ذكره من أن دخوله فى حجته مردود وإنما كان فى الفتح كما قدمته ، وقال النووى فى شرح مسلم لا خلاف فى أن دخوله كان فى يوم الفتح ولم يكن فى حجة الوداع ثم قال بعد ذلك :

قال العلماء وسبب عدم دخوله أى فى عمرته ما كان فى البيت من الأصنام والصور ولم يكن المشركون يتركونه ليغيرها فلما فتح الله تعالى عليه مكة دخل البيت وصلى فيه وأزال الصور قبل دخوله .

قلت : لو كان المعنى ما ذكره لدخل فى حجة الوداع فلعل المعنى الذى أبديته أوجه والله أعلم .

ثم قال : قال والدى رحمه الله فى (**احياء القلب الميت بدخول البيت**) وأما قبل الهجرة وهو بمكة ففى طبقات ابن سعد عن عثمان بن طلحة فى أثناء قصة أنه عليه الصلاة والسلام دخلها على أنه فى بعض الروايات أنه دخلها يوم الفتح مرتين رواه الدارقطنى عن ابن عمر قال دخل النبى ﷺ البيت ثم خرج وبلال خلفه فقلت لبلال هل صلى رسول الله ﷺ قال : لا ، فلما كان من الغد دخل ، الحديث . انتهى من طرح التثريب (١٣١ /٥) .

قلت : قال الشيخ محمد عابد مفتى المالكية رحمه الله :

ومن المستحبات دخول البيت ولو ليلاً ، قال الأمير فى مناسكه لكن رأينا من الزحمة ما ربما أوجب الحرمة ، فمن عجز عن ذلك فليدخل الحجر ويتنفل فيه فانه منه . انتهى .

وقد قال ﷺ للسيدة عائشة رضى الله عنها ، صلى فى الحجر ان أردت دخول البيت فادخلى الحجر فإنما هو قطعة من البيت ولكن قومك استقصروه حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت ، كذا فى الصاوى ا هـ . من توضيح المناسك (١١٠)

قلت وقد كره بعض أهل العلم دخول البيت واستدل بحديث عائشة رضى الله عنها قالت : خرج رسول الله ﷺ من عندى وهو قرير العين طيب النفس ، ثم رجع الىّ وهو حزين فقلت له فقال دخلت الكعبة ووددت انى لم أكن فعلت ، إنى أخاف أن أكون أتعبت أمتى من بعدى . أخرجه أحمد والترمذى وصححه وأبو داود .

قال المحب الطبرى ولا دلالة فيه بل نقول دخوله ﷺ دليل الاستحباب وتمنيه عدم الدخول قد علله بالمشقة على أمته وذلك لا يرفع حكم الاستحباب .

قال الفاسى فى شفاء الغرام : وقد اتفق الأئمة الاربعة على استحباب دخول البيت واستحسن مالك كثرة دخوله إنتهى . وقد سئل عن دخول البيت كلما قدر عليه فقال : ذلك واسع حسن . كذا فى مناسك ابن الحاج . وقد ذكر الفاسى بسنده عن الحسن البصرى فى رسالته المشهورة قال : قال رسول الله ﷺ من دخل الكعبة دخل فى رحمة الله عزّ وجل وفى حمى الله تعالى وفى أمن الله عزّ وجل ومن خرج خرج مغفوراً له .

وروى الفاكهى عن مجاهد عن ابن عمر فى دخول البيت : دخول فى حسنة وخروج من سيئة وخرج مغفورا له .

وروى هذا الاثر أيضا بسند آخر عن مجاهد موقوفا عليه بل إن بعض الصحابة والتابعين استحسن كثرة الدخول والتردد على الكعبة .

فروى الأزرقى عن جده عن مسلم بن خالد الزنجى أحد فقهاء مكة قال : رأيت صدقة بن يسار يدخل البيت كلما فتح فقلت له ما اكثر دخولك البيت يا أبا عبد الله قال : والله إنى لأجد فى نفسى أن أراه مفتوحا ثم لا أصلى فيه .

وروى الأزرقى عن جده عن مسلم بن خالد الزنجى عن موسى بن عقبة قال : طفت مع سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما — أحد الفقهاء السبعة — خمسة أسابيع ، كلما طفنا سبعا دخلنا الكعبة فصلينا فيها ركعتين .

وروى الأزرقى عن جده عن داود بن عبد الرحمن العطار عن ابن جريج عن نافع — مولى ابن عمر — قال : كان ابن عمر إذا قدم مكة حاجا أومعتمرا فوجد البيت مفتوحا لم يبدأ بشىء أول من أن يدخله .

وما أحسن ما أنشده الحافظ أبو طاهر السلفى لنفسه بعد دخول الكعبة :

أبعد دخول البيت والله ضامن   بنفى قبيح والخطايا الكوامن
فحاشاه كلا بل يسامح كلها   ويرجع كل وهو جذلان آمن

ويتعلق بهذا المبحث فائدة مهمة هى آداب دخول الكعبة .

قال فى القرى (٤٥٩)

وينبغى لداخل الكعبة أن يلزم نفسه الأدب فلا يطلق بصره فى أرجاء البيت فذلك قد يولد الغفلة واللهو عند القصد ، ولا يكلم أحدا إلا لضرورة أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر — ويلزم قلبه الخشوع والخضوع ، وعينه الدموع ان استطاع ذلك وإلا حاول ذلك ليتشبه بالخاشعين الخاضعين الباكين .

عن عائشة أنها قالت : وا عجبا للمرء المسلم إذا دخل الكعبة كيف يرفع بصره قبل السقف ، ولا يدع ذلك إجلالا لله تعالى وإعظاماً له دخول رسول الله ﷺ الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها . أخرجه أبو ذر وابن الصلاح فى منسكيهما .

وعن داود بن عبد الرحمن قال : أوصانى عبد الكريم بن أبى المخارق ألا أخرج من منزلى يوم الجمعة حتى أصلى ركعتين وألا أدخل الكعبة حتى أغتسل . أخرجه الأزرقى .

وعن سعيد بن جبير ، أنه كان إذا أراد دخول البيت أو الحجر نزع نعليه .

وعن عطاء وطاووس ومجاهد أنهم كانوا يقولون لا يدخل أحد الكعبة فى خف ولا نعل ، أخرجهما سعيد بن منصور .

ومما ينبغى ملاحظته أن يحرص من دخل الكعبة على أن يفعل كما فعل ﷺ ، وقد ثبت أنه ﷺ لما دخل الكعبة اشتغل بالتكبير والتسبيح والتهليل والتحميد والثناء على الله عز وجل والدعاء والاستغفار للأحاديث المشهورة التى وردت فى ذلك .

ففى رواية أنه لما دخل البيت دعا فى نواحيه كلها . اخرج ذلك الشيخان .

وفى رواية النسائى سبّح وكبر .

وفى رواية له أيضاً جلس فحمد الله وأثنى عليه واستغفره ثم قام حتى أتى مايستقبل من دبر البيت فوضع وجهه وخده عليه فحمد الله وأثنى عليه وسأله واستغفره ثم انصرف إلى كل ركن من أركان الكعبة . فاستقبله بالتكبير والتهليل والتسبيح والثناء على الله والمسألة والاستغفار ثم خرج . كذا رواه النسائى بسنده إلى أسامة بن زيد . وأخرج نحوه أحمد .

وفى رواية الشيخين أنه دخل البيت وكان فيه ست سوارى فقام عند كل سارية يدعو .

وهذه الأمور التى فعلها ﷺ مما تقدم ذكره لا خلاف بين أحد من أهل العلم فى استحباب فعلها .

وقد اختلف العلماء فى مسألتين لاختلافهم فى صحة ثبوت فعله ﷺ لهما . الأولى : الصاق البطن والظهر بجدارها وأساطينها ، وقد ورد أنه فعلها ﷺ . فروى الفاسى بسنده من طريق ابن نافع فى معجمه إلى شيبة بن عثمان وفيه قال شيبة : أنه ﷺ صلى بين العمودين ركعتين ثم ألصق بها بطنه وظهره . قال الفاسى : وقد أشار شيخنا الحافظ العراقى إلى استحباب هذا الفعل فى الكعبة ويدل لذلك ما رويناه فى مسند الشافعى عن عروة بن الزبير أنه كان إذا طاف بالبيت استلم الأركان كلها والصق بطنه وظهره وجبينه بالبيت ا هـ . ثم قال الفاسى :

ورأيت لغير واحد من العلماء ما يقتضى عدم استحباب ذلك .

قلت : وكلام الفاسى يدل على أن ما رآه ليس فيه التصريح بالنهى عن ذلك وإنما رأى من الأقوال ما يستفاد منه ذلك فقط .

الثانية : السجود عند الدخول وهى التى سماها بعضهم سجدة الشكر وقد اختلف العلماء فى استحبابها لكن جاء فى الحديث أنه ﷺ فعلها .

فقد روى الفضل بن عباس أن النبى ﷺ حين دخلها خر بين العمودين ساجداً ثم قعد فدعا ولم يصل رواه الطبرانى فى الكبير وفيه ابن اسحاق وهو ثقة ولكنه مدلس كذا قال الهيثمى (مجمع الزوائد ٢٩٤ /٣) .

وذلك لأنه أورد كلام من نهى عن أن يسند ظهره إلى البيت وكلام مالك أنه كره أن يعتنق الانسان شيئا من أساطين الكعبة .

وكل هذا ليس فيه التصريح بالنهى عن الصاق البطن والظهر بالبيت إذ يمكن فعل هذه الصورة دون اعتناق أساطين البيت أو اسناد الظهر والاتكاء على البيت .

وهذا الحديث وان كان ضعيفاً لأن فيه عبد الرحمن بن الزجاج قال الهيثمى (مجمع الزوائد ٢٩٥ /٣) ولم أجد من ترجمه إلا أنه تثبت الفضائل بأمثاله .

هذا ما عندى والله أعلم .



خصائص البيت الحرام

للبيت الحرام خصائص وأحكام ، سنذكر أهمها وأشهرها فى هذا المبحث فمنها : تحريم استقبال الكعبة واستدبارها بالبول والغائط فى الصحراء والبنيان عند كثير من العلماء بخلاف التشريق والتغريب ، وعند الشافعى : فى الصحراء لا فى البنيان . وهذا لا يختص بالحرم ، بل يعم كل مكان . واختلف العلماء فى علة النهى .

فقيل : انه احترام للكعبه وتعظيمها ، وقد روى فى حديث سراقة مرفوعاً : (**إذا أتى أحدكم البراز ــ البراز بفتح الباء الموحدة اسم للفضاء الواسع من الأرض ويكنى به عن الحاجة ــ فليكرم قبلة الله ولا يستقبل القبلة**) وهذا هو الذى قاله جمهور العلماء ، وقيل غير ذلك ، ولكنه لا يسلم من انتقاده . وما ذكرناه هو الصواب إن شاء الله لظاهر الحديث .

ومنها ، أنه يجوز ستر الكعبة بالحرير ، لأن ذلك محرم على الرجال فقط ، وقال الغزالى فى فتاويه : ولا بأس بتحلية المصحف بالذهب وتزيين الكعبة . وأما غيرها فلا ، ا هـ ، قلت وذلك لما روى مسلم من حديث عائشة (**ان الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة واللبن**) .

وفى سنن البيهقى من حديث محمد بن كعب عن ابن عباس (**لا تستروا الجدار بالثياب**) ، وفيه باسناد منقطع (**أنه ﷺ نهى أن يستر الجدر**) .

قال البيهقى : روينا فى الكراهة عن عثمان ، ويشبه أن يكون ذلك لما فيه من السرف .

وقال الغزالى فى الاحياء : تزيين الحيطان لا ينتهى إلى التحريم ، إذ الحرير محرم على الرجال ، وما على الحيطان ليس منسوبا إلى الذكور ، ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة ، بل الأولى إباحته بموجب قوله تعالى : [**قل من حرم زينة الله**] **لا سيما وقت الزينة إذا لم يتخذه عادة لتفاخر** .

ومنها : أنه يستحب تطييب الكعبة . قالت عائشة لأن أطيب الكعبة أحب إلىّ من أن أهدى لها ذهباً أو فضة . وقالت : طيبوا البيت ، فإن ذلك من تطهيره – تعنى قوله : [وطهّر بيتى] وخلق ابن الزبير جوف الكعبة أجمع .

ومن خصائص الكعبة أن الله تعالى حفظها من كيد الكائدين وتخريب المخربين وذلك بإهلاكهم وتدميرهم كما حصل لأصحاب الفيل . فقد روى أن أبرهة الأشرم ملك اليمن (وكان تابعا لملك الحبشة) بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحجاج بأن يتركوا مكة ويحجوا إلى صنعاء فخرج رجل من العرب من كنانة لما بلغه ذلك فقعد فيها ليلا وتغوط وهرب فلما رأى ملك اليمن ذلك حلف ليهدِمَنّ الكعبة فخرج بجيش جرارا من اليمن ومن الحبشة ومعه فيل وكان فيلا عظيما واثنا عشر فيلا غيره فلما بلغ وادى محسر الواقع بين مزدلفة ومنى ولم يبق بينه وبين مكة إلا مسافة عشر كيلومترات عبأ جيشه وقدم الفيل فكانوا إذا واجهوه إلى جهة الحرم وقف مكانه ولزم موضعه ولم يتحرك منه مهما قتلوه وساقوه فإذا وجهوه إلى جهة اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول ومشى مسرعا فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل سوداء مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره ومكتوب على كل حجر اسم من يقع الحجر عليه فعندها هلكوا كلهم وماتوا فى السهل والوعر وأما ملكهم أبرهة فتساقطت أنامله وأطرافه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره هاربا حتى وصل إلى النجاشى ملك الحبشة وطائر من هذه الطيور محلق فوقه وفى منقاره الحجر فقص عليه القصة وهى هلاك الجيش كله من أوله إلى آخره فلما أتم حديثه مع النجاشى وقع الحجر فخر ميتا بين يدى الملك وان أهل مكة احتووا على اموال الحبشة الكثيرة من دواب وأسلحة وأموال وعتاد ونقود وان عبد المطلب جمع من أموالهم وذهبهم ما كان سبب غناه .

وجاء فى أخبار من أراد الكعبة بسوء أخبار وأحاديث منها ما روى عن أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال : **ليخسفن بقوم يؤمون البيت ببيداء من الأرض .. ومنها ما روى عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما زلنا نسمع أن أسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا فى الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرتين ..**

ومنها أن امرأة فى الجاهلية أتت الكعبة تتعوذ من زوجها فمدّ رجل يده إليها بسوء فيبست . قال الراوى هو حويطب فقد رأيته فى الاسلام أشل لأنه لم يحترم الكعبة .

ومنها بينما رجل يطوف فى الكعبة إذ برق له ساعد امرأة جميلة فوضع ساعده على ساعدها متلذذا به فلصقت ساعداهما فأتيا بعض العلماء العارفين فسألاه الدعاء لهما فسألهما عن قضيتهما فأخبراه بها فقال لهما ارجعا إلى المكان الذى فعلتما فيه هذه المعصية فتوبا وعاهدا رب البيت أن لا تعودا لذلك ففعلا فخلى الله عنهما .

ويقرب من خبر أبرهة هذا خبر تبع ملك اليمن واسمه أسعد . وقد كان فى بلاد الشرق ثم عاد إلى بلاده وكان طريقه على المدينة المنورة ومكة فوصل المدينة المنورة ودخلها ثم سار منها بجيشه الجرار إلى مكة فلما كان بين المدينة ومكة لقيه جماعة من قبيلة هذيل فحسنوا له تخريب الكعبة وأن يبنى بدلها كعبة عنده فى اليمن تحج الناس إليها فيكثر مورده وتعلو كلمته ويعظم قدره وتعمر بلاده فعزم على ذلك ، فلما نوى ذلك وصمم عليه دقت بهم دوابهم أى لم تمش نحو مكة وغشيتهم ظلمة شديدة وريح عاصف وابتلى بأمراض وأوجاع فسالت عيناه على خده ورمى بداء برأسه صار يجرى منه القيح والصديد كثيرا وانتن حتى لا يستطيع أحد أن يدنو منه فدعا أحبارا كانوا معه والأطباء فسألهم عما حصل معه من الأمراض والأوجاع فجأة فهالهم ما رأوا من أمراضه وبشاعة منظره ونتنه كأنه جيفة حمار من شدة نتنه ورائحته الكريهة فقالوا له : هممت لهذا البيت بسوء فقال : نعم وأخبرهم بما قال له الهذليون من تخريب الكعبة وأنه أراد تخريبها ونقلها لبلاده فقالوا له : ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جيشك ومن معك هذا بيت الله لم يرده أحد بسوء إلا أهلكه الله تعالى : قال لهم : فما الحيلة ؟ قالوا : تنوى خيراً له ـــ أن تعظمه وتكسوه وتنحر عنده وتحسن إلى أهله ، ففعل فانجلت عنهم الظلمة وسكنت عنهم الريح وانطلقت بهم دوابهم ورجعت عيناه فارتد بصيرا وشفى رأسه وتاب إلى الله تعالى مما نواه وصرف جيشه إلى اليمن وأقام بمكة أياما ينحر كل يوم مائة بدنة يطعمها أهل مكة وما حولها وكسا البيت وكانت هذه الحادثة التاريخية قبل الاسلام بسبعمائة سنة ولا يبعد ذلك فإن الله تعالى حمى بيته من الجبابرة ولذلك سمى البيت العتيق لأنه ما أراده جبار بسوءٍ إلا أهلكه الله تعالى كما أهلك أصحاب الفيل لأن الله تعالى قال : [**ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم**] .

وتنسب إلى تبع هذه الأبيات التى يتحدث فيها عن كسوته للكعبة المشرفة وأنه وضع لها بابا محكما يفتح ويقفل وأنه أقام عشرة أشهر .

قد كسونا البيت الذى حرم الله ملاء معصبــــا وبـــــرودا
وأقمنــا من الاهلـــة عشراً وجعلنــا لبابـــه اقليـــدا
وخرجنـا منـه نؤم سهيلا ورفعنــا لواءنــا معقــودا

ومن خصائص الكعبة :

أن من رأى الكعبة فى المنام فهى رؤيا حق كما روى الطبرانى فى معجمه من من غير طريق عن عبد الرزاق ، أنا معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ : من رآنى فى منامه فقد رآنى ، فإن الشيطان لا يمثل بى ، ولا بالكعبة .

وقال تفرد به عن عبد الرزاق محمد بن أبى السرى العسقلانى قال : وهذه اللفظة : ولا بالكعبة ، لا تحفظ إلا هذا الحديث .

ومنها : أنه جاء أن الكعبة هى البيت المعمور ، والمراد أنه معمور بمن يطوف به ، وعن محمد بن عباد بن جعفر أنه كان يستقبل الكعبة ويقول : واحد بيت ربى ، ما أحسنه ، وأجمله ، هذا والله البيت المعمور . وقيل : ان البيت المعمور هو البيت الذى بناه آدم أول ما نزل إلى الأرض فرفع إلى السماء أيام الطوفان يدخله كل يوم سبعون ألف ملك .

والملائكة تسميه الضراح بالضاد المعجمة لأنه ضرح عن الأرض إلى السماء أى بعد عنها .

قال أبو الطفيل : سمعت عليا — وسئل عن البيت المعمور فقال : ذلك الضراح ، بيت بحيال الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه حتى تقوم القيامة .

وقيل : البيت المعمور فى السماء الدنيا ، وقيل : فى الرابعة ، وقيل : فى السادسة ، وقيل : فى السابعة ، وقيل : غير ذلك .

قال أبو نعيم الحافظ فى مستخرجه على صحيح البخارى : حدثنا عمرو بن حمدان ثنا الحسن بن سفيان ثناهدبة ثناهمام بن يحيي عن قتادة ثنا الحسن عن أبى هريرة عن النبى ﷺ : أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك فلا يعودون إليه .

ومن خصائص البيت المعظم ما ذكره ابن هشام فى سيرته ، وهو أن الماء لم يصل إلى البيت المعظم حين الطوفان ، ولكنه قام حولها وبقيت هى فى هواء السماء ، وأن نوحا قال لأهل السفينة وهى تطوف بالبيت : انكم فى حرم الله وحول بيته فأحرموا لله ولا يمس احد امرأة ، وجعل بينهم وبين النساء حاجزاً فتعدى بنو حام فدعا نوح أن يسود لون بنيه ، وقيل فى سبب دعوة نوح على حام غير هذا .

ومن خصائص البيت المعظم ماجاء فى الحديث من ان الكعبة تحشر كالعروس المزفقة ومن حجها تعلق باستارها حتى تدخلهم الجنة ، وقد ذكر الغزالى فى الاحياء هذا الحديث فى باب فضيلة البيت ومكة المشرفة من كتاب أسرار الحج ولفظه : ان الله عز وجل قد وعد هذا البيت أن يحجه فى كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا أكملهم الله عز وجل من الملائكة ، وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها تعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها .

قال الحافظ العراق فى تخريجه على الاحياء لم أجد له أصلا ٣/٥٦ .

ومنها أنها منذ خلقت ماخلت من طائف يطوف بها من جن أو انس أو ملك ، وعن بعض السلف أنه خرج فى يوم شديد الحر فرأى حية تطوف وحدها ، ذكره ابن الصلاح .

وقد لخص العلامة الفاسى ما أخرجه الازرقى فى طواف الجن والحية والطير فذكر قصصاً كثيرةً فيها عجائب وغرائب والله على كل شئ قدير .

وروينا فى تاريخ الازرقى : أن طيرا طاف على منكب بعض الحجاج أسابيع والناس ينظرون إليه وهو مستأنس بهم ثم طار وخرج من المسجد الحرام وذلك السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ست وعشرين ومائتين .

اســماء مكــة

مكة أسماؤها كثيرة أشهرها مكة وبكة

وقد اختلف فى معنى تسميتها مكة بالميم فقيل لانها تمك الجبارين اى تذهب نخوتهم . وقيل لانها تمك الفاجر عنها اى تخرجه . قيل لأنها تجهد اهلها من قولهم تمككت العظم اذا أخرجت مخه وقيل لانها تجذب الناس اليها من قولهم امتك الفصل ما فى ضرع امه اذا لم يبق فيه شيئا وقيل لقلة مائها .

واختلف فى معنى تسميتها بكة بالباء فقيل لانها تبك اعناق الجبابرة اذا ألحدوا فيها اى تدقها . والبك : الدق وقيل لازدحام الناس بها قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقيل لأنها تضع من نخوة المتكبرين قاله الترمذى وهذان الاسمان لمكة مأخوذان من القرآن العظيم من قوله تعالى : ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين .

وأخذ لها منه عدة اسماء منها أم القرى قاله الضحاك فى تفسير قوله تعالى : لتنذر ام القرى . واختلف فى سبب تسميتها بذلك فقيل لان الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس وقيل لأنها اعظم القرى شأنا وقيل لان فيها بيت الله ولما جرت العادة بان الملك وبلده مقدمان على جميع الاماكن سمى اما لان الام متقدمة وقيل لانها قبلة تؤمها جميع الأمة . ومنها القرية قاله مجاهد فى تفسير قوله تعالى : وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان .

والقرية اسم لما تجمع جماعة كثيرة من الناس من قولهم قريت الماء فى الحوض اذا جمعته فيه ويقال للحوض مقراة ومنها البلد قال الله تعالى : « **لا أقسم بهذا البلد** » قال ابن عباس هى مكة وقال بلغنى ان النبى ﷺ قال هى مكة ذكر ذلك عنه الفاكهى .

ومنها البلد الامين قال الله تعالى : [**وهذا البلد الامين**] قال الفاكهى فيما رواه بسنده إلى ابن عباس فى قوله تعالى : « **وهذا البلد الأمين** » **قال يعنى مكة وروى ذلك بسنده عن زيد بن أسلم** .

ومنها البلدة قال الله تعالى « إنما أمرت ان أعبد رب هذه البلدة * قال الواحدى فى الوسيط هى مكة وقاله ابن برجان فى تفسيره . وقال ياقوت فى معجم البلدان « **بـاب** » البلدة ثلاثة مواضع . الأول فى قوله تعالى « **بلدة طيبة ورب غفور** » أراد بها مكة انتهى .

ومنها معاد بفتح الميم لقوله تعالى : « **ان الذى فرض عليك القرآن لرآدك إلى معاد** » كما فى صحيح البخارى عن ابن عباس لأنه قال حدثنا محمد بن مقاتل قال أخبرنا يعلى قال حدثنا سفيان العصفرى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما لرادك إلى معاد قال إلى مكة انتهى فهذه ثمانية أسماء لمكة مأخوذة من القرآن العظيم ولم يذكر المحب الطبرى من أسمائها المأخوذة من القرآن إلا خمسة لأنه قال سمى الله تعالى مكة بخمسة بكة ومكة والبلد والقرية وأم القرى انتهى .



أهم خصائص المسجد الحرام

الأولى :

ان تقدم المأموم على امامه فى الموقف فى غير المسجد الحرام مبطل للصلاة على أظهر القولين سواء كان التقدم فى جهة الامام ام فى غير جهته وأما فى المسجد الحرام فالواجب أن يكون الامام أقرب الى الكعبة من المأمومين فلو تقدم على الامام وصار أقرب إلى الكعبة منه نظر ، ان كان أقرب اليها من جهة الامام كما لو كان الامام يصلى فى مقام ابراهيم ﷺ والمأموم عند الباب بطلت صلاته ، وان كان أقرب إليها فى غير جهة الامام كما لو وقف الامام فى المقام والمأموم فى الحجر مثلا فاصح الطريقين القطع بالصحة كما قاله الرافعى ، لأنه غير موصوف بالتقدم عليه ، ولأنه يمكنه مشاهدة أفعاله والاقتداء به حينئذ حاصل كالمحافظة .

الثانية :

ان من صلى فى بناء منفصل عن المسجد مقتديا بامام المسجد لم يصح اقتداؤه لعدم اتصال الصفوف ، وأما فى المسجد الحرام ، فلو صلى على جبل الصفا أو المروة أو ابى قبيس مقتديا بصلاة الامام فى المسجد الحرام ، قال الشافعى رضى الله عنه ، يجوز لأن كل ذلك متصل وهو فى حكم العرف غير منقطع .

الثالثة :

يستحب لأهل مكة أن يصلوا العيد فى المسجد الحرام ، لا فى الصحراء لفضل البقعة ومشاهدة الكعبة ولحصول المضاعفة لهم فى الصلاة باتفاق . قال الشافعى فى الأم : تصلى فى المصلى فى سائر البلدان إلا فى مكة فانه تصلى فى مسجدها لأنه خير بقاع الأرض .

الرابعة :

ان التلبية تستحب للمحرم فى مساجد النسك ، كالمسجد الحرام ومسجد الخيف بمنى ومسجد ابراهيم بعرفة ، وأما غيرها فقولان ، القديم ، أنه لا يسن فيها حذرا من التشويش على المتعبدين بخلاف المساجد الثلاثة ـــ السابقة فإنها معهودة فيها ، والجديد : نعم ، لعموم الأخبار .

الخامسة :

يستحب أن ينوى الاعتكاف كلما دخل المسجد فإنه يستحب له ، ويثاب عليه ولو فى لحظة وينبغى أن يهتم بهذا ، ولا يتغافل عنه لتحصل له فضيلة العاكفين فيه إذ لا تحصل إلا بالنية وكذلك يستحضر قوله ﷺ للذين يظلهم الله فى ظله : [**ورجل قلبه معلق بالمساجد**] .

السادسة :

أن الصلاة وإن كانت مكروهة فى المقابر كما جاء فى الحديث ونص عليه الفقهاء لكن يستثنى منه مقابر الأنبياء صلوات الله عليهم وان لم يصرح به الفقهاء . لأن الله تعالى عصم ذواتهم الشريفة عن أكل الأرض وانما ذكرت هذا لأن البيهقى ذكر فى مناقب أحمد بن حنبل ـــ وهو كثير الفوائد ـــ أن أحمد بن حنبل روى فقال : حدثنا يحيي بن سليم الطائفى عن عبد الله بن عثمان عن خيثم عن عبد الرحمن بن سابط عن عبد الله بن ضمرة السلولى قال : ما بين المقام إلى الركن إلى بئر زمزم إلى الحجر قبر سبعة وسبعين نبياً جاؤوا حاجين فماتوا فقبروا هناك . قال أحمد بن حنبل : لم أسمع من يحيي بن سليم غير هذا الحديث الواحد انتهى .

وقد اشتهر ان قبر اسماعيل وأمه فى الحجر ومع ذلك فلم يقل أحد بكراهة الصلاة فيه بل فيه ما فيه من الأجر العظيم والثواب الجزيل . وكذلك مسجد الخيف قال الطبرانى فى معجمه : حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا عيسى بن شاذان ثنا أبوهمام الدلال ثنا ابراهيم بن طهمان عن منصور عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : فى مسجد الخيف قبر سبعين نبياً . وقال ابو الوفاء بن عقيل الحنبلى مما وقع لى فى تأملات الحج : السلام على قبور الأنبياء كآدم ومن تبعه فقد روى أنه ما من نبى خرج بعد عذاب قومه إلا إلى مكة ودفن بها وان بها مئين أو ألوفا .

السابعة :

انه لا يدخله أحد إلا متواضعا خاشعا متذللا مكشوف الرأس متجردا عن لباس الدنيا بخلاف غيره من البقاع .

الثامنة :

أنه سبحانه وتعالى أضافه لنفسه فى قوله تعالى [**وطهر بيتي للطائفين**] وناهيك بهذه الاضافة المنوهة بذكره المعظمة لشأنه ، الرافعة لقدره وهى السر فى اقبال قلوب العالمين عليه وعكوفهم لديه .

أطوف به والنفس بعد مشوقة إليه وهل بعد الطواف تدانى
وألثم منه الركن أطلب بردما بقلبى من شوق ومن هيمان
فو الله ما ازداد الا صبابة ولا القلب إلا كثرة الخفقان
فيا جنة المأوى ويا غاية المنى ويا منيتى من دون كل أمانى
أبت غلبات الشوق الا تقربا اليك فما لى بالبعاد يدان
وما كان صدى عنك صد ملالة ولى شاهد من مقلتى ولسانى
دعوت اصطبارى عنك بعدك والبكا فلبى البكا والصبر عنك عصانى
وقد زعموا أن المحب إذا نأى سيبلى هواه بعد طول زمان
ولو كان هذا الزعم حقا لكان ذا دواء الهوى فى الناس كل أوان
بلى انه يبلى التصبر والهوى على حاله لم يبله الملوان
وهذا محب قاده الشوق والهوى بغير زمام قائد وعنان
أتاك على بعد المزار ولو ونت مطيته جاءت به القدمان

التاسعة :

لو نذر اتيان المسجد الحرام لزمه ، لحديث : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد كما هو فى الصحيحين وأصح الطريقين أنه ينعقد نذره بحج أو عمرة ونص عليه الشافعى كما قاله القاضى الحسين لحديث أخت عقبة أنها نذرت أن تمشى إلى بيت الله فأمرها رسول الله ﷺ أن تمشى بحج أو عمرة لأن مطلق كلام الناذرين

محمول على ما ثبت له أصل فى الشرع كمن نذر أن يصلى يلزمه الصلاة المعهودة شرعا والمعهود فى الشرع والعرف قصد المسجد الحرام بالحج والعمرة فيحمل نذره عليه .

ولو نذر صلاة فى الكعبة جازت فى أطراف المسجد الحرام .

فضل مكة المكرمة على غيرها من البلاد . سوى المدينة المنورة

انعقد الاجماع كما قال القاضى عياض وغيره على أن أفضل بقع الأرض على الاطلاق المكان الذى ضم جسده ﷺ ، وعلى أن مكة والمدينة أفضل بقاع الأرض بعده ، ثم اختلفوا فى أيهما أفضل ؟

فذهب عمر وغيره من الصحابة إلى تفضيل المدينة وهو قول مالك وأكثر المدنيين .

وذهب الشافعى وأحمد وأبو حنيفة وأكثر العلماء إلى تفضيل مكة .

وقد احتج من ذهب إلى تفضيل المدينة بأمور : منها أن الله تعالى قد بدأ بها فى قوله : [**وقل رب ادخلنى مدخل صدق . وأخرجنى مخرج صدق**] والمخرج الصدق : مكة والمدخل الصدق : المدينة .

وكان القياس أن يبدأ بمكة ، لأنه خرج منها قبل أن يدخل المدينة ويأبى الله أن ينقل نبيه إلا إلى ما هو خير منه .

ومنها : ما هو الصحيح من قوله ﷺ : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام . وتأولوا على أن الصلاة فى مسجد المدينة أفضل من الصلاة بمسجد مكة بدون الألف .

ومنها : ما رواه الطبرانى فى معجمه الكبير ، والبخارى فى تاريخه باسنادهما عن رافع بن خديج قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : المدينة خير من مكة .

ومنها : ما رواه الحاكم فى المستدرك من قوله ﷺ : اللهم انك أخرجتنى من أحب البقاع إلىّ ، فأسكنى فى أحب البقاع اليك ، وهذا الحديث فيه كلام كثير عند العلماء فقد قال الذهبي : إنه موضوع كذا في المستدرك وتلخيصه ج ٣ ص ٣ لكن قال السمهودي : ضعفه ابن عبدالبر ، قيل : ولو سلمت صحته فالمراد أحب البقاع إليك بعد مكة لحديث أن مكة خير بلاد الله كذا في وفاء الوفاء ج ١ ص٣٤.

ومنها : ان عمر قال لعبد الله بن عياش بن أبى ربيعة : أنت القائل : مكة خير من المدينة ؟ فقال له عبد الله : هى حرم الله وأمنه وفيها بيته ، فقال له عمر : لا أقول فى حرم الله ولا فى بيته شيئاً .

ومنها : صح قوله ﷺ : ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة . وصح أنه عليه الصلاة والسلام قال: لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا ومافيها.

وبمجموع الحديثين ثبت أن المدينة من خيرِ الأرض .

وقد احتج من يرى تفضيل مكة بأحاديث :

منها : ما رواه النسائى والترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله بن عدى ابن الحمراء الزهرى انه سمع رسول الله ﷺ وهو واقف على راحلته بمكة يقول لمكة : والله انك لخير أرض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

ومنها : مارواه النسائى أيضا من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ فى سوق الحزورة : يا مكة والله انك لخير أرض الله ، وأحب البلاد إلى الله ، ولولا انى أخرجت منك ما خرجت .

قال ابن الأثير : الحزورة موضع بمكة .

ومنها : ما رواه الترمذى وصححه عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ قال لمكة : ما أطيبك وأحبك لى ! ! ولولا قومك أخرجونى منك ما سكنت غيرك . وكل هذا عندنا يدل على فضل مكة وشرفها ولا يدل على الأفضلية .

فان وجوده ﷺ بالمدينة لا تبقى معه أفضلية لبلد كائنا ما كان .

ففيها قضى آخر حياته ، وفيها انتقل إلى الرفيق الأعلى وبها قبو ، ومنها يبعث ، فهل بعد هذا يبقى كلام لمتكلم أو معارض .

فضائــل مكة المكرمــة

وهذا البحث نذكر فيه : فضائل مكة المكرمة عامة ومزاياها ومناقبها وما يترتب على ذلك من أحكام فقهية ومسائل علمية :

اعظم فضيلة وأشرف مزية للبلد الامين هو ثبوت تحريمه واتفاق الامة على ذلك باعتقادهم وتسليمهم واقرارهم لما يترتب من أحكام ثبتت بالدليل اليقينى المقطوع به تحريم الكعبة وتسميتها بالبيت الحرام قال الله تعالى : **جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس »** .

وهذا التحريم يشمل مكة كلها الى الحدود التى ينتهى عندها الحرم . وهى التى تسمى [**بانصاب الحرم**] او الاعلام التى تحيط بمكة . وما بين هذه الاعلام هو حرم مكة الذى جعل الله حكمه حكم الكعبة فى الحرمة تشريفا لها .

قال الزهرى : اول من نصب هذه العلامات على جوانب حدود الحرم هو ابراهيم عليه السلام بدلالة جبريل ثم جددها قصىّ ثم بعث ﷺ عام الفتح تميم بن أسيد الخزاعى فجددها ، ثم أمر بتجديدها عمر بن الخطاب ثم معاوية ثم عبد الملك اهـ[١] .

وفى رواية الزبير بن بكار ان قريشا نزعوها فى زمن النبى ﷺ قبل هجرته ثم أعادها كما كانت[٢] .

---

(١) القرى ٦٠٣

(٢) شفاء الغرام ظ١/٥٥

سبب تحريم مكة

اختلف فى سبب تحريم مكة ولم أر فى ذلك نصا صحيحا . ومع ذلك فقد وردت أقوال مختلفة فى هذا الموضوع قال الفاسى[1] اختلف فى سبب تحريمه :

فقيل : ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض خاف على نفسه من الشيطان فاستعاذ بالله منه فأرسل الله له ملائكة حفوا بمكة من كل جانب ووقفوا فى موضع أنصاب الحرم يحرسون آدم ، فصار ما بينه وبين موقف الملائكة حرما .

وقيل : لان الخليل عليه السلام لما وضع الحجر الاسود فى الكعبة حين بناها اضاء الحجر **يمينا وشمالا وشرقا** وغربا فحرم الله الحرام من حيث انتهى نور الحجر الاسود وقيل : لأن الله سبحانه وتعالى حين قال للسموات والارض « **ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين** » لم يجبه بهذه المقالة من الأرض إلا ارض الحرم ولذلك حرمها ذكر هذا القول السهيلى وذكر الازرقى ما يشهد للقولين الاولين وقيل : غير ذلك .

قلت : والظاهر أن كل ذلك بعيد ما دام انه لا دليل عليه ويظهر لى أن أقرب من ذلك كله ان نقول : ان البيت الحرام لاشك فى تحريمه كما ثبت فى القرآن الكريم . والسبب هو كونه بيت الله وهذه الاضافة تقتضى أنه يتميز عن غيره بمنقبة خاصة .

ولما كان للجوار حق مقرر فى كل شىء اقتضى أن يكون لما حول البيت مثل ذلك الحكم فحرم من أجله .

---

(١) شفاء الغرام ١ /٥٤

جواز الصلاة فى الأوقات المنهى عنها
بمــــكة المكرمــــة

جاء فى الصحيح النهى الصريح منه ﷺ عن الصّلاة عند طلوع الشمس حتى ترتفع قدر رمح وعند الاستواء حتى تزول وعند الاصفرار حتى تغرب وبعد صلاة الصبح إلى الطلوع وبعد صلاة العصر الى الغروب . ويستثنى حرم مكة ففى السنن من حديث جبير بن مطعم ان رسول الله ﷺ قال : يا بنى عبد مناف لا تمنعوا احدا طاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل او نهار[1] .

وقد روى هذا الحديث الحاكم فى المستدرك وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين .

وفى رواية : لا صلاة بعد الصبح إلا بمكة . قال الزركشى : والمراد جميع الحرم . وذلك لزيادة الفضل فى تلك الاماكن ، فلا يحرم المقيم هناك من استكثارها .

وروى ابو الحسن على بن الجعد عن سفيان بن سعيد عن أبى جريج عن ابن أبى مليكة انه ﷺ طاف بعد العصر فصلى ركعتين .

وذكر ابن ابى شيبة فى مصنفه فيما أفرده فى الرد على ابى حنيفة فى الجواز آثارا فى ذلك . فعن عطاء قال : رأيت ابن عمر طاف بالبيت بعد الفجر وصلى ركعتين قبل طلوع الشمس . وعن عطاء قال : رأيت ابن عمر وابن عباس طافا بعد العصر وصليا .

وعن ليث عن ابى سعيد انه رأى الحسن والحسين قدما مكة فطافا بالبيت بعد العصر وصليا .

وعن الوليد بن جميع عن أبى الطفيل انه كان يطوف بعد العصر ويصلى حتى تصفار الشمس .

---

(١) انظر سنن ابى داود

وعن عطاء قال : رأيت ابن عمر وابن الزبير طافا بالبيت قبل صلاة الفجر ثم صليا ركعتين قبل طلوع الشمس .

قلت : وقد اختلف العلماء فى هذه المسألة اختلافا كبيرا لاختلاف أنظارهم فى الاحاديث الواردة فى هذا الباب . فيرى بعضهم : ان هذه الرخصة انما هى خاصة لركعتى الطواف فقط فهى التى يباح فعلها فى الأوقات المنهى عنها اما باقى الصلوات فالحكم فيها واحد لا يختلف . ودليلهم عموم احاديث النهى عن الصلاة مع ورود مسألة الطواف بخصوصها فى الحديث من قوله « **لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت أو صلى** » واما قوله : « **لا صلاة بعد الصبح إلا بمكة** » فأجابوا عنه بأن الاستثناء فى الحديث انما هو لركعتى الطواف وقالوا : ان الحديثين اذا كان كل منهما اعم من الآخر من وجه لا يقدم خصوص أحدهما على عموم الاخر إلا بمرجح .

قال الزركشى : ومال اليه البيهقى وحمل الحديث على ركعتى الطواف قال : وهو الاشبه بالآثار .

ويرى بعضهم ان هذه الرخصة خاصة بالمسجد الحرام فقط دون غيره من اجزاء البلد .

ويرى بعضهم ان هذه الرخصة خاصة بالقادم دون المقيم بمكة .

قلت : وهؤلاء كلهم رحمهم الله اجتهدوا فى استنباط العلة فاختلفوا فيها ، فلذلك اختلفوا فى تعيين الحكم فمنهم من رأى ان العلة انما هى لشرف البقعة فعلى هذا لا فرق بين المكى والافاقى .

ثم رأى بعضهم تفاوت أجزاء البقعة فى الشرف فعلى هذا خص الحكم بالمسجد نفسه دون مكة كلها أو البلد دون بقية الحرم .

ومنهم من رأى ان العلة هى لان الناس يقصدون مكة لاقامة الطاعة فيها فلو منعوا عنها فات مقصودهم فعلى هذا يختص بالافاق — أى فلا يكره بخلاف المقيم بمكة .

ومنهم من لم ير الأخذ بهذه الرخصة أصلا ويرى ان مكة كغيرها فى هذه المسألة .



تضعيف السيئات بمكة

ذهب جماعة من العلماء إلى ان السيئات تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات ، وممن قال مجاهد وابن عباس واحمد ابن حنبل وابن مسعود وغيرهم لتعظيم البلد .

قال الزركشي : وسئل ابن عباس عن مقامه بغير مكة فقال : مالى ولبلد تضاعف فيه السيئات كما تضاعف الحسنات[1] .

قال مجاهد : تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات[2] وسئل أحمد بن حنبل تكتب السيئة أكثر من واحدة فقال : لا إلا مكة لتعظيم البلد . وذهب جماعة من العلماء إلى عدم التضعيف اخذا بعموم قوله تعالى : « **ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها** »[3] .

وعموم قوله ﷺ : « **من هَمَّ بسيئة وعملها كتبت له سيئة واحدة** »[4] .

قلت : والاولى فى هذا المقام تحرير الكلام على طريقة تناسب المذهبين.وتؤيد حرمة البلد وتعظيمه .

وذلك بأن نقول : ليس المراد بتضعيف السيئة تكرار أفرادها مراعاة لقوله تعالى : « **ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها** » وانما المراد أنها اكبر جرما وأشد قبحا من السيئة الواقعة فى غير مكة مراعاة لقوله تعالى « **ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** » .

قال بعض السلف لابنه : يا بنى اياك والمعصية فان عصيت ولابد فلتكن فى مواضع الفجور لا فى مواضع الأجور لئلا يضاعف عليك الوزر او تعجل لك العقوبة اهـ . والمقصود ان

---

(١) اعلام الساجد ١٢٨

(٢) القرى ٦٠٩

(٣) سورة الانعام ١٦٠

(٤)اخرجه مسلم

المراد بالمضاعفة غلظها لا كميتها فى العدد اى ان السيئة جزاؤها سيئة لكن السيئات تتفاوت فالسيئة فى حرم الله وبلاده على بساطه أكبر وأعظم منها فى أطراف البلاد ولهذا ليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه فى موضع بعيد عنه .

وروى عبد الرزاق عن معمر قال : أخبرنى عبد الكريم الجزرى انه سمع مجاهدا يقول رأيت عبد الله بن عمرو بن العاص بعرفة ومنزله فى الحل ، ومصلاه فى الحرم فقيل له : لم تفعل هذا ؟ فقال : لان العمل فيه افضل والخطيئة أعظم فيه(١) .

وروى عبد الرزاق عن ابن جريج قال : أخبرنى ـــ اسماعيل بن امية ان عمر ابن الخطاب قال : لأن أخطىء سبعين خطيئة بركبه أحب الى من ان اخطىء خطيئة واحدة بمكة(٢) .

قلت : ويشهد عندى لثبوت مضاعفة السيئات بمكة الحديث المروى عن ام هانىء بنت ابى طالب قالت : قال رسول الله ﷺ : ان امتى لم يخزوا ما اقاموا شهر رمضان قيل : يا رسول الله ؟ وما خزيهم فى اضاعة شهر رمضان ؟ قال : انتهاك المحارم فيه من زنى فيه أو شرب خمرا لعنه الله ومن فى السموات الى مثله من الحول فان مات قبل ان يدركه رمضان فليست له عند الله حسنة يتقى بها النار فاتقوا شهر رمضان فان الحسنة تضاعف فيه ما لا تضاعف فيما سواه وكذلك السيئة(٣) .

ووجه الاستدلال هو ان هذا الحديث افاد مضاعفة السيئة بالنسبة الى الزمان الفاضل ، واذا ثبتت المضاعفة بالسيئة الى الزمان الفاضل فالمكان كذلك .

---

(١) رواه عبد الرزاق فى مصنفه ٥ /٢٨

(٢) رواه عبد الرزاق فى مصنفه ٥ /٢٨ وقوله بركبه : مكان بالطائف وفى شفاء الغرام بركيه بالياء مكان محاذ لذات عرق

(٣) رواه الطبرانى فى الصغير والاوسط وفيه عيسى بن سليمان ابو طيبة ضعفه ابن معين وفيه كلام انظر ذلك فى مجمع الزوائد ٣ /١٤٤

مضاعفة الصلاة بمكة

ان صلاة فى المسجد الحرام افضل من مائة ألف فيما سواه من المساجد لما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة ان رسول الله ﷺ قال : صلاة فى مسجدى خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ، والمعنى : أن الصلاة فيه تفضل على الصلاة فى مسجد الرسول ويدل لذلك أحاديث ، احدها ماروواه أحمد ، والبزار فى مسنديهما ، وابن حبان فى صحيحه من حديث حماد بن زيد وغيره ، عن عبد الله بن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من الف صلاة فى غيره من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام افضل من الصلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة ، واسناده على شرط الصحيح .

الثانى : حديث جابر ، رواه ابن ماجه فى سننه ، عن جابر : ان رسول الله عليه وسلم قال : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف فيما سواه ، وعبد الكريم فيه لين .

الثالث : حديث ابن عمر ، رواه ابن عبد البر : عن ابن عمر به ، ثم قال : ورجال اسناده علماء أجلاء ، وموسى الجهنى كوفى أثنى عليه يحيى القطان واحمد ويحيى وغيرهم وروى له مسلم ، قال ابو بكر فحسبت ذلك على هذه الرواية التى هى : وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة الف صلاة ، فبلغت صلاة واحدة فى المسجد الحرام عمر خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة ، وصلاة يوم وليلة فى المسجد الحرام وهى خمس صلوات عمر مائتى سنة وسبع وسبعين سنة وتسعة أشهر وعشر ليال .

طريق آخر : رواه ابو أحمد حميد بن زنجويه ، عن ابن عمر انه سمع النبى ﷺ يقول : ان صلاة فى مسجدكم هذا — يعنى مسجد الرسول ﷺ — تعدل الف صلاة فيما سواه من المساجد إلا الصلاة فى المسجد الحرام فهى افضل قال وقال سلمة بن كهيل إلا الصلاة فى المسجد الحرام فانها تعدل مائة صلاة فى مسجد المدينة .

الرابع : حديث أبى الدرداء ـــ اخرجه البزار عن ام الدرداء عن النبى ﷺ : فضل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة الف صلاة ، وفى مسجدى ألف صلاة ، وفى مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة ، وقال لا يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الاسناد واسناده حسن ، انتهى .

ونقله ابن عبد البر عنه محتجابه .

الخامس : حديث أنس رواه ابن ماجه فى سننه ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : صلاة الرجل فى بيته بصلاة ، وصلاته فى مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة ، وصلاته فى المسجد الذى يجمع فيه بخمسمائة صلاة ، وصلاة فى المسجد الاقصى ومسجد المدينة بخمسين ألف صلاة ، وصلاة فى المسجد الحرام بمائة الف صلاة .

السادس : حديث ابن عباس ، رواه الطبرانى فى معجمه الكبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : صلاة فى مسجدى هذا بعشرة الاف صلاة ، وصلاة فى المسجد الحرام بعشرة أمثالها مائة الف صلاة ، وصلاة الرجل فى بيت المقدس بألف صلاة ، وصلاة الرجل فى بيته حيث لايراه أحد افضل من ذلك كله [غريب] .

السابع : روى ابن وضاح بسنده عن عمر بن الخطاب يقول : صلاة فى المسجد الحرام افضل من مائة الف صلاة فى مسجد النبى ﷺ قال ابن حزم : هذا سند كالشمس فى الصحة .

الثامن : روى ابن ابى خيثمة عن عبد الله بن الزبير قال : الصلاة فى المسجد الحرام تفضل على مسجد النبى ﷺ بمائة الف صلاة .

قال ابن عبد البر وابن حزم : فهذان الصحابيان الجليلان يقولان : بفضل المسجد الحرام على مسجد النبى ﷺ ولا مخالف لهما من الصحابة ، فصار كالاجماع منهم على ذلك .

وفى رسالة الحسن البصرى الى الرجل الزاهد الذى اراد الخروج من مكة ،

قال ﷺ : من صلى فى المسجد الحرام ركعتين فكأنما صلّى فى مسجد ألف ألف صلاة ، والصلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه من البلدان .

تنبيـــه :

وهذه المضاعفة فى المسجدين لا يختص بالفريضة بل تعم النفل والفرضَ كما قال فى شرح مسلم : إنه المذهب .

التضعيف ليس خاصا بالصــلاة

واعلم ان التضعيف لا يختص بالصلاة بل وسائر أنواع الطاعات كذلك قياسا على ما ثبت فى الصلاة والنظر الى الكعبة فألحق به ما فى معناه من أعمال البر .

قال الحسن البصرى : صوم يوم بمكة بمائة ألف ، وصدقة درهم بمائة الف ، وكل حسنة بمائة ألف .

وفى سنن ابن ماجه ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : من أدرك شهر رمضان بمكة . فصامه ، وقام منه ما تيسر ، كتب له مائة الف شهر رمضان فيما سواه ، وكتب بكل يوم وليلة عتق رقبة ، وفى كل يوم حمل فرسين فى سبيل الله ، وفى كل ليلة حسنة .

وروى البزار فى مسنده من جهة عاصم بن عمر عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ رمضان بمكة أفضل من الف رمضان بغير مكة .

وفى المستدرك للحاكم من حديث ابن عباس ان النبى ﷺ قال : من حج من مكة ماشيا حتى يرجع اليها كتب له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم والحسنة بمائة ألف حسنة .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد

وروى البيهقى فى سننه ، وضعفه ، وفى المعجم الاوسط للطبرانى من حديث الاعمش عن ابى صالح عن أم هانئ ، قالت : قال رسول الله ﷺ : ان أمتى لم يخزوا ما أقاموا شهر رمضان ، قيل ، يا رسول الله وماخزيهم فى اضاعته ؟ قال انتهاك المحارم فيه ، من عمل فيه زنا ، أو شرب خمرا ، لعنه الله ومن فى السموات إلى مثله من الحول ، فان مات قبل ان يدرك شهر رمضان فليست له عند الله حسنة يتقى بها النار ، فاتقوا شهر رمضان ، فان الحسنات تضاعف فيه ما لا تضاعف فى سواه ، وكذلك السيئات . انتهى .

واذا ثبتت المضاعفة بالسيئة بالنسبة إلى الزمان الفاضل فالمكان كذلك .

مـــاء زمـــزم

(أما اسماؤها) فزمزم وشباعة ومروية ونافعة وعافية وميمونة وبركة وبرة ومضنونة وكافية ومعذبة وشفاء سقم وطعام طعم وهزمة جبريل وسقيا إسماعيل .

فأمّا زمزم ففيه لغات ، المشهورة زمزم بفتح الزاى وسكون الميم ، الثانية زمزم بفتحها أيضا وتشديد الميم ، والثالثة زمزم بكسر الزايين وتشديد الميم ، سميت بذلك لوجوه فقيل لكثرة مائها فتكون مشتقة من قولهم ماء زمزوم وزمزام اى كثير ، وقيل لزمزمة الماء فيها أى حركته ، وقيل لزمزمة جبريل عليه الصلاة والسلام أى كلامه قال فى القاموس الزمزمة أى بفتح الزاى الاولى والثانية وسكون الميم الاولى وفتح الثانية الصوت البعيد له دوى وتتابع صوت الرعد وهو أحسنه صوتا وألينه مطرا وفى النهاية الزمزمة الصوت الخفى وقيل لزمّ هاجر لمائها حين انفجرت أى ضمها اياها وحصرها لها بالتراب وقيل لأنها زمت بالميزان لئلا تأخذ يمينا وشمالا وقيل لان عبد المطلب رأى فى منامه أن قائلا يقول له احفر زمزم كما يأتى (وأما شباعة) فبفتح الشين المعجمة وتشديد الباء الموحدة وفتح العين المهملة من الشبع ضد الجوع سميت بذلك لحصول الشبع عند شربها بقصد ذلك كما يأتى . (وأما مروية) فبضم الميم وسكون الراء المهملة وكسر الواو وتخفيف المثناة التحتية من الرى ضد العطش يقال روى من الماء واللبن كرضى ريا بكسر الراء وريا بفتحها ، سميت بذلك لشدة قمعها للظمأ . (وأما نافعة) فبنون بعدها ألف ثم فاء فعين مهملة من النفع ضد الضر . سميت

بذلك لكثرة منافعها التى لا تحصر من جملتها : أن شربها يقوى القلب ويسكن الروع كما يأتى (وأما عافية) فبالعين المهملة والفاء بعدها مثناة تحتية من عافاه الله من كذا معافاة وعافية وهب له العافية من العلل والبلايا سميت بذلك لدفع كثير من العلل بشرب مائها . فكم ابرأ الله من الامراض ما عجزت عنه حذاق الاطباء (وأما ميمونة) فبفتح الميم الاولى وسكون المثناة التحتية وضم الميم الثانية من اليمن وهو البركة سميت بذلك لان بركتها مأثورة فقد شربها جماعة من السلف والخلف لكثير من المقاصد والمآرب فنالوها كما يأتى .

(وأما برة) فهو بدون ال وبفتح الباء الموحدة وتشديد الراء المهملة من البر بكسر الموحدة ضد العقوق اى ذات بر وإحسان لشاربها لما يناله ويحصل له من بركتها . (وأما مضنونة) فهو بفتح الميم وسكون الضاد المعجمة وضم النون بعدها واو ثم نون مفتوحة بعدها هاء من ضن به يضن ضنا اذا منعه عن غيره أى لنفاسته إذ الضنين النفيس سميت بذلك لان الناس يضن بعضهم على بعض بها لكونها نفيسة وقد منع الله تعالى منها قوما من العرب سكنوا حولها فعصوا وتهاونوا بحرمة الكعبة فطردهم الله عنها ومنعهم إياها . (وأما كافية) فمن الكفاية أى التى تكفى من شربها عن الميل والطلب لغيرها لما يحصل له من الرى بها .

(وأما معذبة) فهو بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر الذال المعجمة وفتح الموحدة من أعذب الماء اى صار عذبا اى مانعا للعطش لحلاوته يعنى ذات عذوبة وحلاوة فهو بمعنى مروية .

(وأما شفاء سقم) فهو علم اضافى والاضافة فيه على معنى اللام . سميت بذلك لان شرب مائها سبب فى شفاء كثير من الاسقام ودفع الآلام .

(وأما طعام طعم) فهو علم اضافى أيضا بضم الطاء الثانية وسكون العين المهملة التى بعده وهو الذى يشبع من اكله ، سميت بذلك لحصول الشبع عند تناولها فهو بمعنى شباعة .

(وأما هزمة جبريل) فبفتح الهاء وسكون الزاى وفتح الميم من هزمه يهزمه إذا غمزه بيده فصارت فيه حفرة ، فالهزمة موضع الهزم أى الغمز والضرب ويروى همزة

جبريل بفتح الهاء وسكون الميم مقدمة على الزاى من همز يهمز بكسر الميم فى المضارع ويهمز بضمها أيضا همزا إذا أغمزه أيضا أو ضغطه أو دفعه أو ضربه فهو بمعنى ما قبله . سميت بذلك لضرب جبريل عليه السلام بعقبه لها ولأن عبد المطلب رأى فى الرؤيا قائلا يقول له زمزم وماء زمزم هزمة جبريل برجله وسقيا اسماعيل وأهله زمزم البركات تروى الرفات الواردات شفاء سقم وخير طعام وقد جاء أيضا فى مبتدء حديث الوضوء مثل هذا وهو أن جبريل همز للنبى ﷺ بعقبه فى الوادى فنبع الماء .

فضل ماء زمزم

قد ورد فى فضل زمزم أحاديث كثيرة لكن البخارى لم يذكرها لكونها لم تكن على شرطه صريحا ووقع فى صحيح مسلم من حديث أبى ذرّ ماء زمزم طعام طعم وزاد الطيالسى وشفاء سقم .

وفى المستدرك من حديث ابن عباس مرفوعا ماء زمزم لما شرب له وصحّحه البيهقى فى الشعب وابن عيينة وابن حبان ووثق رجاله الحافظ الدمياطى وكذلك الحافظ العسقلانى حيث قال فى الفتح بعد نقله هذا الحديث : رجاله ثقات إلا انه اختلف فى ارساله ووصله وارساله أصح انتهى .

وحذا حذوهما القسطلانى حيث قال بعد إيراده حديث المستدرك المذكور : وبالجملة فقد ثبتت صحة هذا الحديث أعنى حديث ماء زمزم لما شرب له ومعناه انك إن شربته لتستشفى به شفاك الله وان شربته لشبعك اشبعك الله وإن شربته لقطع ظمأ قطعه الله .

وهكذا وقد ورد عن أبى حنيفة رحمه الله تعالى أنه شربه للعلم والفقاهة فكان أفقه زمانه .

قال البكرى رحمه الله تعالى : وأنا قد جربت ذلك فوجدته صحيحا

على أنى لم أشربه إلا على يقين من هذا وتصديق بالحديث . انتهى .

وفى البخارى عن الشعبى أن ابن عباس رضى الله عنهما حدثه قال : سقيت رسول الله ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم قال الحافظ ابن حجر فى الفتح فيه أى الحديث المذكور الرخصة فى الشرب قائما . انتهى . أى فيكون النهى عن الشرب قائما الوارد فى الصحيح نهى أدب وارفاق ليكون تناول الماء على سكون وطمأنينة فيكون أبعد من الفساد كما قاله محي السنة .

قال على القارى اقول ويمكن أن يكون القيام مختصا بماء زمزم ونكتة التخصيص الاشارة الى استحباب التضلع من مائه ثم قال ورأيت بعضهم صرح بأنه يسن الشرب من ماء زمزم قائما اتباعا له ﷺ . انتهى . وبالجملة فيستحب الشرب من مائها والتضلع منه لما روى الدارقطنى والبيهقى مرفوعا : آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من زمزم وقد جاء فى حديث على رضى الله عنه خير بئر فى الارض زمزم ولهذا كان الصلحاء يشربونه ويحملونه معهم فى اسفارهم اتباعا له ﷺ فانه أول من حمل ماء زمزم عند رجوعه من حج البيت تبركا به واستشفاء .

والدعاء عند شربه مستجاب وأولى ما يشرب لتحقق التوحيد والموت عليه والعزة بطاعة الله .

قال ابنُ المنير وكأنه عنوان على حسن العهد وكمال الشوق فان العرب اعتادت الحنين الى مناهل الاحبة وموارد أهل المودة وزمزم هو منهل أهل البيت فالمتعطش اليها قد أقام شعار المحبة وأحسن العهد للأحبة والشرب منها ولذا جعل التضلع منها علامة فارقة بين الايمان والنفاق ولله در القائل :

وما شربى للماء إلا تذكرا لماءٍ به أهل الحبيب نزول

وروى الفاكهى وغيره عن ابن عباس صلوا فى مصلى الأخيار واشربوا

من شراب الابرار قيل وما مصلى الاخيار قال : تحت الميزاب قيل فما شراب الابرار قال ماء زمزم .

وبالجملة فمعرفة اسمائها وفضلها والتضلع من مائها من جملة البر بها والوفاء بحقها وحق أهلها كما أشار لذلك الفقيه الزاهد يوسف بن محمد المعروف بابن الشيخ رحمه الله تعالى حيث قال :

لعمرك ان تركى لزمزم	لأسميه من باب العقوق
وكيف وماؤها بردت منه	رفاقى إذا حر من الحريق
وارجو من سقانيه هنا ان	سيسقينى كذاك من الرحيق
ازمزم ها أنا اسميك أيضا	لما قدمت عندى من حقوق
وما المحمود إلا الله ربى	ورب الكل والبيت العتيق

(فائدة)

حكى فى المجموع من كتب الشافعية الاجماع على صحة الطهارة بماء زمزم وانه لا ينبغى ازالة النجاسة به سيما فى الاستنجاء لما قيل إنه يورث البواسير وذكر نحوه ابن الملقن فى شرح البخارى وهل إزالة النجاسة به حرام أو مكروه أو خلاف الاولى أوجه حكاها الدميرى والطيب الناشرى من غير ترجيح تبعا للاذرعى والمعتمد الكراهة .

وقال العلامة المناوى فى شرح الجامع الصغير عند قوله ﷺ ماء زمزم لما شرب له لانه سقيا الله وغياثه لولد خليله فبقى غياثا لمن بعده فمن شربه باخلاص وجد ذلك الغوث قال الحكيم الترمذى : هذا جار للعباد على مقاصدهم وصدقهم فى تلك المقاصد والنيات لان الموحد إذا رابه أمرٌ فشأنه الفزع الى ربه فاذا فزع اليه واستغاث به وجد غياثا وإنما يناله العبد على قدر نيته فان النية تبلغ بالعبد عناصر الاشياء ، والنيات على قدر طهارة القلوب

وسعيها إلى ربها وعلى قدر العقل والمعرفة بقدر القلب على الطيران إلى الله تعالى فالشارب لزمزم على ذلك .

وقد شربه جمع من العلماء لمطالب فنالوها ، فقد صح عن إمامنا الشافعى رضى الله عنه أنه شربه للعلم فكان فيه الغاية ، وشربه للرمى فكان يصيب من كل عشرة تسعة ، وشربه أبو عبد الله الحاكم لحسن التصنيف وغيره فكان أحسن أهل عصره تصنيفا .

وقال الحكيم فى نوادر الاصول عن والده أنه اشتد عليه بالليل الاراقة وهو يطوف يخشى أنه ان خرج من المسجد أن يتلوث بأذى الناس وكان فى الموسم فتوجه الى زمزم وشرب منها ورجع فلم يحس بالبول حتى أصبح ا هـ .

وهذا من الغرائب فان زمزم تدر الاراقة . ونحوه ما جرى لبعض الاصحاب أنه أصابه اسهال فشربه فذهب عنه مع أنه يطلق البطن غالبا . قال الشبلى والاولى ينبغى شربه لشفاء القلب من الاخلاق الذميمة وتحليته بالاخلاق العلية ، فاذا قصد شربه استقبل القبلة ثم ذكر الله تعالى وسماه ثم يقول : اللهم بلغنى عن نبيك ﷺ أنه قال : ماء زمزم لما شرب له ، اللهم وانى اشربه لكذا ويسمى حاجته ويشرب كثيرا حتى يتضلع لقوله عليه الصلاة والسلام (**آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من زمزم**) رواه الدارقطنى . والتضلع الإكثار .



فضـل الدعـاء عند المسـتجار

المستجار هو بين الركن اليمانى إلى الباب المسدود فى دبر الكعبة فبين الركن اليمانى والباب المسدود فى ظهر الكعبة أربعة أذرع ويسمى هذا الموضع المستجار من الذنوب ويقال له ملتزم عجائز قريش ، وقال معاوية بن أبى سفيان من قام عند ظهر البيت فدعا استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، ومثل هذا القول من معاوية لا يكون إلاّ عن تلقّ من لسان النبوة . قال الامام الشعبى ان عبد الله بن الزبير وأخاه مصعبا وعبد الملك بن مروان وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم دعوا فى هذا الموضع فلم يذهب الشعبى من الدنيا حتى رأى كلا منهم قد أعطى ما سأل وبشر عبد الله بن عمر بالجنة وكان دعا بها . وكان يقف للدعاء فى هذا المكان جماعة من كبار المسلمين منهم عمر بن عبد العزيز والقاسم بن محمد حفيد ابى بكر الصديق رضى الله عنهم .

حجـــر إســـماعيل

أما حجر إسماعيل عليه السلام فهو الحائط الواقع شمال الكعبة المعظمة .

وهو على شكل نصف دائرة وقد جعله إبراهيم الخليل ﷺ عريشا إلى جانب الكعبة المعظمة .

ويسمى حجر اسماعيل ايضا الحطيم

روى الأزرقى قال : الحطيم ما بين الركن الأسود والمقام وزمزم والحجر سمى حطيما لأن الناس يزدحمون على الدعاء فيه ويحطم بعضهم بعضا والدعاء فيه مستجاب .

وقد ذكر كثير من العلماء أن نبىّ الله إسماعيل دفن فى الحجر الذى هو الحطيم بعد أن عاش مائة سنة وثلاثين ثم مات ودفن هو وأمه فيه وممن ذكر هذا ابن اسحاق وابن هشام وابن جرير الطبرى وابن كثير وغيرهم من كبار المؤرخين .

روى عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت أحب أن أدخل البيت فأصلى فيه فأخذ رسول الله ﷺ بيدى فأدخلنى الحجر وقال : صلى فيه ان اردت دخول البيت فانما هو قطعة من البيت .

وعن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأبى هريرة رضى الله عنه ان على باب الحجر ملكا يقول لمن دخله وصلى فيه ركعتين مغفورا لك ما مضى فاستأنف العمل وعلى بابه الآخر ملك منذ خلق الله الدنيا إلى يوم يرفع البيت يقول لمن صلى وخرج مرحوما إن كنت من أمة محمد تقيا . وفى رسالة الحسن أن إسماعيل عليه السلام شكا إلى ربه حر مكة فأوحى إليه أنى افتح لك بابا من الجنة فى الحجر يخرج عليك الروح منه إلى يوم القيامة والروح بفتح الراء نسيم الريح .

وفيها عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه أقبل ذات يوم فقال لأصحابه ألا تسألونى من أين جئت فسألوه فقال كنت قائما على باب الجنة وكان قائما تحت الميزاب يدعو الله عنده .

مقـــام ابراهـــــيم

لَقد ذكر الله تعالى هذا المقام فى كتابه العزيز فقال تعالى : [**وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**] قال بعضهم عند هذه الآية : يحتمل أن تكون من تبعيضية أو زائدة فى الاثبات على مذهب الاخفش أو بمعنى فى وكل بعيد . والأقرب أنها بمعنى عند . اه والمقام هو بفتح الميم من قام يقوم : موضع القيام ، وأما المقام بالضم فهو من أقام يقيم .

فمقام إبراهيم هو الحجر الذى قام عليه السلام عند بناء الكعبة وكان يرتفع به كلما ارتفع البناء وإلى هذا أشار صاحب نظم عمود النسب :

وكلما طال البناء ارتفعا ... به المقام فى الهوا ورفعا
به القواعد وفيه قدم ... تشبهها للهاشمى قدم
وحين بالحج الخليل أذنا ... وفى كلا أذنيه أصبعا ثنى
أيضا كأطول الجبال ارتفعا ... به وكل من يحج اسمعا

ويؤيد صحة هذا القول ما حدث جابر عن حجة النبى ﷺ قال : [**لما طاف النبى عليه الصلاة والسلام قال له عمر : هذا مقام أبينا ؟ قال : نعم . قال : أفلا نتخذه مصلى ؟ فأنزل الله عز وجل : [واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى**] وفى رواية : [**أن رسول الله ﷺ مر بالمقام ومعه عمر ، فقال يا رسول الله أليس هذا مقام أبينا ابراهيم ؟ قال : بلى قال : أفلا نتخذه مصلى ؟ قال : لم أومر بذلك ، فلم تغب الشمس حتى نزلت الآية**] وفى البخارى عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب : [**وافقت ربى فى ثلاث ، أو وافقنى ربى فى ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت مقام ابراهيم مصلى ، فنزلت : واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** . . الخ] الحديث وعن جابر أنه قال : [**استلم رسول الله ﷺ الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا ثم نفذ إلى مقام إبراهيم فقرأ** : [**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**] فجعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين قال ابن كثير فى تفسيره : وهذا قطعة من الحديث الطويل الذى رواه مسلم فى صحيحه من حديث حاتم بن اسماعيل .

فالخلاصة : أن مقام إبراهيم عليه السلام هو الحجر الذى كان يقوم عليه لبناء البيت الحرام لما ارتفع جداره وكان إسماعيل يناوله الحجارة فيضعها بيده وكلما كمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه حتى انتهى إلى وجه البيت .

فالسنة أن تكون الصلاة خلف المقام بأن يكون المقام بين المصلى والكعبة ولا تشترط مقابلة عينه ومحاذاته ، لأن حجم المقام الذى هو الحجر صغير نحو ذراع لا يكفى أن يكون مصلى لشخص واحد ، فمن صلى وراء المقام فقد أتى بالسنة وإن لم يقف خلف الحجر بالتمام لأن ما قارب الشىء يعطى حكمه فلو اشترطنا على المصلى مقابلة عين الحجر للزم أن يصلى الناس خلفه فردا فردا لصغره ، وفى ذلك من الحرج والمشقة ما لا يخفى .

ولقد نزل المقام والركن مع أبينا آدم عليه السلام من الجنة وهما ياقوتتان من يواقيتها فقد روى الترمذى وأحمد والحاكم وابن حبان أن رسول الله ﷺ قال : [**ان الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله تعالى نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب**] .

ولقد كان من معجزات إبراهيم عليه السلام أن صار الحجر تحت قدميه رطبا فغاصت فيه قدماه ، وقد بقى أثر قدميه ظاهرا فيه من ذلك العصر إلى يومنا هذا وان تغير عن هيئته الأصلية بمسح الناس بأيديهم قبل وضع الحجر فى المقصورة النحاسية ، والعرب تعرف ذلك فى جاهليتها ، قال أبو طالب فى قصيدته اللامية المشهورة :

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه وراق لبر فى حراء ونازل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة وبالله ان الله ليس بغافل
وبالحجر المسود إذ يمسحونه إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
وموطىء ابراهيم فى الصخر رطبة على قدميه حافيا غير نائل

فيكون هذا الحجر المقام والحجر الأسود أقدم أثر محترم لدى المسلمين بالاتفاق إذ بيننا وبين إبراهيم عليه السلام نحو أربعة الآف سنة .

ومما هو جدير بالذكر والالتفات : أن العرب فى جاهليتها مع عبادتهم الأحجار ، وبالخصوص حجارة مكة والحرم لم يسمع عنهم أن أحدا عبد الحجر الأسود أو حجر المقام مع عظيم احترامهم لهما ومحافظتهم عليهما .

ولقد تأملنا فى سر ذلك وسببه وظهر لنا أن ذلك من عصمة الله تعالى فانهما لو عبدا من دون الله فى الجاهلية ثم جاء الاسلام بتعظيمهما باستلام الركن الأسود والصلاة خلف المقام لقال المنافقون وأعداء الدين ان الاسلام أقر احترام بعض الاصنام وأنه لم يخلص من شائبة الشرك ، وتمسك بعبادتهما من كان يعبد أحدهما من قبل فلهذا حفظ الله تعالى هذين الحجرين الكريمين من أيام ابراهيم عليه السلام إلى يوم القيامة من عبادة أهل الجاهلية لهما كما حفظ بيته الحرام من عبادتهم أيضا ولا يخفى أن هذه نقطة دقيقة لا يتنبه لها كل أحد .



خصائص الحجر الاسود وفضائله

هذا الحجر له خصائص ومزايا عظيمة صحيحة ثابتة من طرق صحيحة عن سيدنا محمد نبىّ هذه الامة الصادق المصدوق ﷺ ، فمنها :

١ ــ أنه يشرع تقبيله واستلامه ، وقد ثبت هذا بأحاديث كثيرة لها طرق صحيحة معلومة عند المسلمين بالاجمال والتفصيل . وهى موجودة فى صحيح البخارى ومسلم : أصح كتابين عند المسلمين بعد القرآن .

٢ ــ ومنها أنه فى أشرف مكان فى بيت الله المعظم « الركن الشرق » وهو المكان الذى يقع على نفس القواعد الاولى الاصلية التى رفعها إبراهيم عليه السلام ، كما قال تعالى : « **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل** » .

٣ ــ ومنها أنه فى المكان الذى يشرع ابتداء الطواف بالبيت منه ، فالانسان إذا أراد الطواف بالبيت فانه يبتدىء من الركن الذى فيه هذا الحجر .

٤ ــ ومنها أن من استلمه كان كمن فاوض يد الرحمن ، وكمن بايع الله ورسوله ، كما ثبت فى الحديث الذى رواه ابن ماجه وسعيد بن منصور فى كتابيهما السنن ، والازرقى فى اخبار مكة .

٥ ــ ومنها أنه كان له نور عظيم مضىء ، ولكن الله تعالى قد طمس هذا النور ، كما ثبت فى الحديث الذى رواه أحمد والترمذى وابن حبان فى صحيحه .

٦ ــ ومنها أنه يشهد يوم القيامة لمن استلمه بحق ، كما ثبت فى الحديث الذى رواه الترمذى فى سننه ، والطبرانى فى الاوسط .

٧ ــ ومنها أنه شافع ومشفع يوم القيامة ، كما جاء فى الحديث الذى رواه الطبرانى ، ولكن سند الحديث فيه كلام .

٨ ــ ومنها أنه فى الارض بمنزلة يمين الله ، كما ثبت فى الحديث « **الحجر يمين الله فى أرضه** » وهو حديث له طرق وشواهد يقوى بعضها بعضا يصير بها الحديث حسنا ، وقد تستنبط حكمة استلامه من هذا الحديث .

وهى أن كل مسلم أمين على الاسلام والايمان ، وهذه الامانة عاهده الله عليها وبايعه على تحملها وأدائها ، ولما كانت النفوس تحتاج إلى ما يثبت لها المعانى

بالمحسوسات أقام الله تعالى هذا الحجر فى بيته ، وجعل له هذه الخصوصية ليكون بمثابة المحسوس الذى يتيقن المسلم باستلامه أنه قد أدى البيعة وعاهد الله سبحانه وتعالى على تحمل وأداء الامانة والقيام بها خير قيام . وهذه انما هى حكمة مستنبطة فقط ، والحكمة الاصلية هى امتحان العقول ومعرفة استجابة النفوس وطاعتها وعبوديتها فيما قد تجهل حكمتهُ أو تخفى عليها علته ، وحينئذ لا يكون لإقدامها عليه معنى سوى تمام عبوديتها لخالقها الحق سبحانه وتعالى .

فضل الصلاة فى البيت واستحباب ذلك

أما الصلاة فى البيت ، ففضلها ثابت من جهة كونها سنة ومستند سنيتها هو كون النبى ﷺ فعلها ، ومجرد هذا الفعل يدل على أنها سنة والانسان إذا فعلها مستشعرا هذا المعنى مع كونه فى ذلك متبعا للنبى ﷺ ومقتديا به نال الخير الكثير والفضل الجزيل .

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ دخل الكعبة هو وأسامة وبلال وعثمان بن طلحة الحجبى فأغلقها عليه ثم مكث فيها فقال ابن عمر : فسألت بلالا حين خرج ما صنع رسول الله ﷺ ؟ قال : جعل عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ثم صلى . (أخرجاه (القرى) ٤٥٤) وعنه أيضا فى رواية أنهم دخلوا مع رسول الله ﷺ ثم اغلقوا عليهم الباب فمكث نهارا طويلا . متفق عليه (القرى ٤٥٤) .

وفى هذا الحديث دلالة على التوسعة فى المكث فى البيت لكن للتعبد فيه لا للحديث وغيره .

وقد ثبت عن كثير من الصحابة رضى الله عنهم محافظتهم على هذه السنة رغبة فى فضلها مثل أبى الشعثاء قال : خرجت حاجا فجئت حتى دخلت البيت وفيه : فجاء ابن عمر فصلى إلى جنبى وفيه : ثم حججت من العام المقبل فجئت حتى قمت فى مقامه فجاء ابن الزبير حتى قام إلى جنبى فلم يزل يزاحمنى حتى أخرجنى منه ثم صلى أربعا . أخرجه أحمد (القرى ٤٥٥) .

ومثل معاوية بن أبى سفيان فقد حج ودخل البيت فيما رواه شيبة بن جبير بن شيبة . وأخرجه الأزرق . وروى الفاكهى عن عطاء قال : لأن أصلى ركعتين فى البيت أحب إلىّ من أن اصلى أربعا فى المسجد الحرام . وروى الفاكهى أيضا عن الحسن قال : الصلاة فى الكعبة تعدل مائة ألف صلاة (تاريخ كعبة) ٣٢٣ .

وفى حديث ابن عمر الأول دليل على أنه صلى الله عليه وسلم قد صلى فى الكعبة لكن يعارضه ما فى صحيح البخارى وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول لله صلى الله عليه وسلم دخل البيت فكبر فى نواحيه ولم يصل فيه . ورواه مسلم بلفظ (ودعا ولم يصل) قال الحافظ العراق وإنما تلقى ابن عباس ذلك عن أسامة بن زيد . ففى صحيح مسلم عنه أخبرنى أسامة بن زيد أن النبى ﷺ لما دخل البيت دعا فى نواحيه كلها ولم يصل فيه قال ابن بطال : الاثار بأنه صلى أكثر ولو تساوت فى الكثرة لكان الأخذ بالمثبت اولى من النافى فقد روى أنه صلى فى البيت غير بلال جماعة منهم : أسامة وعمر وجابر ، وشيبة بن عثمان ، وعثمان بن طلحة من طرق حسان ذكرها الطحاوى كلها فى شرح معانى الآثار .

وقال النووى فى شرح مسلم : أجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال لأنه مثبت فمعه زيادة علم فوجب ترجيحه . اهـ .

قال العراق : فان قلت : كيف الجمع بين اثبات بلال ونفى أسامة مع دخولهما مع النبى ﷺ فى مرة واحدة ، قلت : أجيب عنه بأوجه :

(أحدها) : قال النووى فى شرح مسلم : وأما نفى أسامة فسببه أنهم لما دخلوا الكعبة أغلقوا الباب واشتغلوا بالدعاء فرأى أسامة النبى ﷺ يدعو ثم اشتغل أسامة بالدعاء فى ناحية من نواحى البيت والنبى ﷺ فى ناحية أخرى وبلال قريب منه ثم صلى النبى ﷺ فرآه بلال لقربه ولم يره أسامة لبعده واشتغاله وكانت صلاته خفيفة فلم يره أسامة لاغلاق الباب مع بعده واشتغاله بالدعاء ، وجاز له نفيها عملا بظنه ، وأما بلال فتحققها فأخبر بها .

(الثانى) : انه يحتمل أن يكون أسامة غاب عنه بعد دخوله لحاجة ، فلم يشهد صلاته . قال العراق : قال والدى رحمه الله فى شرح الترمذى ويدل ما رواه

أبو بكر ابن المنذر من حديث أسامة (أن النبى ﷺ رأى صورا فى الكعبة ، فكنت اتيه بماء من الدلو يضرب بها الصور) قال : فقد أخبر أسامة أنه كان يخرج لنقل الماء وكان ذلك كله يوم الفتح .

(الثالث) : قال ابن حبان فى صحيحه : الأشبه عندى أن يحمل الخبران على دخولين متقاربين : أحدهما : يوم الفتح وصلى فيه . والآخر : فى حجة الوداع ولم يصل فيه من غير أن يكون بينهما تضاد ، وكذا قال المهلب شارح البخارى : يحتمل أن يكون دخل مرتين صلى فى إحداهما ولم يصل فى الأخرى قال المحب الطبرى : ويتأيد ذلك بما أخرجه الشيخان عن إسماعيل ابن أبى خالد قال : قلت لعبد الله بن أبى أوفى : أدخل رسول الله ﷺ البيت فى عمرته ؟ قال : لا ، قال : فتعين الدخول فى الحج والفتح ، قال والدى رحمه الله فى شرح الترمذى : ما جمع به ابن حبان مخالف لما فى الصحيح من كون اختلاف بلال وأسامة انما هو فى دخول واحد وهو يوم الفتح ، نعم – الاختلاف الذى عن أسامة فى صلاته يجوز أن يجمع بينهما بأنه فى دخولين ، إما فى سفرة أو سفرتين ، قلت : وقد تقدم أن النبى ﷺ لم يدخل الكعبة الا مرة واحدة .

(الرابع) : ان المراد باثبات بلال الصلاة اللغوية وهى الدعاء لا الصلاة الشرعية ، حكاه والدى رحمه الله فى شرح الترمذى عن بعض من منع الصلاة فى الكعبة قال : وهو جواب فاسد يرده قول ابن عمر فى الصحيح : ونسيت أن أسأله كم صلى ، وقوله فى بعض طرقه فى صحيح البخارى : أنه صلى ركعتين . ويتعلق بهذا المبحث فائدتان :

الأولى : فى مكان صلاته صلى الله عليه وسلم بالبيت ، اعلم أن البيت فى زمن النبى ﷺ كان على ستة أعمدة .

فجاء فى رواية عند البخارى : أنه جعل عمودا عن يساره وعمودين عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه .

وجاء فى أخرى : أنه جعل عمودا عن يساره وعمودا عن يمينه .

وفى رواية مسلم عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه وفى الحديث المتفق عليه : أنه جعل الباب خلف ظهره واستقبل بوجهه الذى يستقبل حين يلج البيت وبين الجدار ثلاثة أذرع فكأنه استقبل جهة الركن اليمانى ، قلت : فيمكن أن يقال : ان مكان صلاته بالتقريب هو أن يقف المصلى وظهره لباب الكعبة ، ووجهه مستقبل جهة جدار الركن اليمانى وبينه وبين هذا الجدار الأمامى ثلاثة أذرع ، وبينه وبين جدار الكعبة الذى على يساره ذراع واحد .

الثانية : فى عدد صلاته ﷺ بالبيت . وقد روى البخارى فى أوائل كتاب الصلاة : عن ابن عمر أنه سأل بلالا عن ذلك ، فقال له بلال : نعم صلى ركعتين . ورواه أيضا النسائى ، وفى سنن أبى داود باسناد فيه ضعف عن عبد الرحمن ابن صفوان قال : قلت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : كيف صنع رسول الله ﷺ حين دخل الكعبة ؟ قال : صلى ركعتين . ورواه ابن أبى شيبة من هذا الوجه (طرح التثريب ١٣٩/٥) وفى القرى رواية صفوان هذا بدون ذكر عمر أخرجها أحمد . (٤٥٧) .



فضل استلام الركن اليمانى

الركن اليمانى هو ركن الكعبة المشرفة . وفضائل هذا المكان عظيمة ومزاياه جليلة .

وأعظم فضيلة له هى أن المصطفى صلى الله عليه وسلم استلمه بيده الشريفة ، وكان يفعل ذلك كثيرا فصارت سنة نبوية ثابتة مشروعة .

أخرج أبو داود عن ابن عمر قال : كان رسول الله ﷺ لا يدع أن يستلم الركن اليمانى والحجر فى كل طوافه . وكان عبد الله بن عمر يفعله . وقال أبو داود وأخرجه النسائى وفى اسناده عبد العزيز بن أبى رواد وفيه مقال (كذا فى السنن ٣٧٥/٣ طبعة أنصار السنة) .

وروى عبد الرزاق فى المصنف عن معمر عن الزهرى عن ابن عمر أنه ﷺ لم يستلم من البيت الا الركنين اليمانيين (٤٧٣/٣ سلفية) .

وروى عبد الرزاق فى المصنف عن عمر عن الزهرى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يستلم الركن اليمانى والركن الأسود . الحديث (٤٣/٥) .

وروى عبد الرزاق أيضا عن سعيد بن السائب بن يسار أنه سمع غطيفا الثقفى يحدث أنه طاف مع ابن عمر بالبيت قال : فرأيته لا يدع الركنين اليمانيين أن يستلمهما فى كل طواف . (٤٦/٥) .

قلت : فهذه الأحاديث تدل على ثبوت استلامه ﷺ للركن اليمانى وعمل الصحابة من بعده على ذلك وهو سنة صحيحة متفق عليها .

وإنما الخلاف فى تقبيله وهو خلاف المشهور لكن صرح ابن حجر فى الفتح باستحباب ذلك عند البعض فقال : واستحب بعضهم تقبيل الركن اليمانى أيضا (٤٧٥/٣) .

وذكر ذلك أيضا ابن ظهيرة عن الكرمانى ونسبه الى الامام أحمد فقال : ونقل الكرمانى من أصحابنا رواية عن أحمد أنه يقبله (الجامع اللطيف ٤٣) أقول :

والتقبيل وان لم يكن مشهورا لكن جاء ما يؤيده فى السنة عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا استلم الركن اليمانى قبله (رواه البخارى فى تاريخه) ونقله ابن القيم فى تهذيب السنن وقال : وفى النفس منه شيء كما نقل ابن القيم أيضا رواية أخرى لحديث ابن عباس هذا بلفظ : كان النبى ﷺ يقبل الركن اليمانى ويضع خده عليه . وقال : رواه الحاكم فى صحيحه إلا أنه أول الركن اليمانى هنا وقال : المراد به الأسود فانه يسمى يمانيا مع الركن الآخر يقال لهما اليمانيين بدليل حديث عمر فى تقبيله الحجر الأسود خاصة .

وقوله : لولا أنى رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك فلو قبل لقبله عمر (كذا فى تهذيب السنن ٣٧٦/٢) قلت : حديث ابن عباس فى تقبيل الركن اليمانى رواه الموصلى أيضا (كذا فى جمع الفوائد ٤٧٨/١ وكذا رواه الدار قطنى) بلفظ : كان النبى ﷺ يقبل الركن اليمانى ويضع خده عليه .

قال الفاسى فى شفاء الغرام : تقبيل النبى ﷺ الركن اليمانى ووضع خده عليه لا يثبت .

قلت : لابد من تقييد كلامه بأن نقول لا يثبت أى من طريق صحيح . إذ ثبت من الدارقطنى وغيره كما تقدم مع ما فيها مما يمكن أن ينجبر مثله .

ومن فضائل الركن اليمانى أنه على القواعد الأولى للبيت التى رفعها إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى : « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل » وقد ثبت عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال عن الركنين الآخرين اللذين لا يستلمان : انى لأظن ان رسول الله ﷺ لم يترك استلامهما إلا لأنهما ليسا على قواعد البيت . أخرجه أبو داود والنسائى (جمع الفوائد ٤٧٧/١) وهو عند الشيخين من قول عمر (كذا فى تخريج السنن ٣٧٤/٢) . قلت : ولذلك يرى الجمهور أن السنة استلام أو تقبيل الركنين اليمانيين فقط .

أما الأول : فله فضيلتان كون الحجر الأسود فيه وكونه على قواعد ابراهيم .

وأما الثانى : فله فضيلة واحدة ، كونه على قواعد إبراهيم وليس للآخرين شيء منهما .

وقد جاء عن بعض الصحابة رضى الله عنهم والتابعين استلام جميع الأركان وأن بعضهم يقول : ليس شيء من البيت مهجورا ، وهذا القول مروى عن معاوية وهو فى الصحيح عند البخارى (٤٧٣/٣) ولكن الوقوف مع السنة الواردة أولى وأقرب للتقوى خصوصا فى أمثال هذه الأمور التعبدية وقد أجاب الامام الشافعى عن هذا القول بقوله : بأنا لم ندع استلامها هجرا للبيت وكيف يهجره وهو يطوف به ولكنا نتبع السنة فعلا أو تركا ، ولو كان ترك استلامهما هجرا لكان ترك استلام ما بين الأركان هجرا ولا قائل به (الفتح ٤٧٤/٣) .

ومن فضائل الركن اليمانى ما رواه ابن عمر عن النبى ﷺ انه قال : مسح الحجر والركن اليمانى يحط الخطايا حطا .

قال ابن القيم فى تهذيب السنن رواه ابن حبان فى صحيحه (٣٧٤/٢) قلت (وكذا أحمد ٢٣/١٢) .

وقال عبيد بن عمير لابن عمر : انك تزاحم على الركنين زحاما ما رأيت أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ يزاحمه ، فقال : ان أفعل فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ان مسحهما كفارة للخطايا) . قال فى جمع الفوائد رواه الترمذى (٤٧٨/١) . قلت : وقد رواه الترمذى فى أواخر كتاب الحج وقال : هذا حديث حسن . اهـ .

ورواه أحمد فى المسند بلفظ ان استلامهما يحط الخطايا (٢٤/١٢) .

وقال المنذرى رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد وكذا ابن خزيمة فى صحيحه بلفظ مسحهما يحط الخطايا اهـ (الترغيب ٣١٤/٢) .

وروى الازرقى فى أخبار مكة عن جده قال : حدثنى سعيد بن سالم القداح عن عثمان بن ساج قال اخبرنى عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن النبى ﷺ لم يكن يمرّ بالركن اليمانى إلا وعنده ملك يقول يا محمد : استلم (٣٣٨/١) .

وروى الأزرقى بسنده إلى مجاهد قال : من وضع يده على الركن اليمانى ثم دعا استجيب له قال : قلت له : قم بنا يا أبا الحجاج فلنفعل ذلك ففعلنا ذلك .

وبهذا السند قال مجاهد : وبلغنى أن بين الركن اليمانى والركن الأسود سبعين ألف ملك لا يفارقونه هم هنالك منذ خلق الله سبحانه البيت .

قلت : وهذا أثر موقوف على مجاهد وسنده تقدم أنه ضعيف – ولكنه يشهده له الأثر السابق الموقوف على ابن عباس رضى الله عنه .

ومن فضائل الركن اليمانى ما جاء عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : وكل به سبعون ملكا يعنى الركن اليمانى فمن قال : (اللهم إنى اسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة ، اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . قالوا : آمين) (رواه ابن ماجه فى السنن ٩٨٥/٢) .

قلت : وفى سنده حميد بن أبى سويد المكى وهو مجهول (كذا فى التقريب ٢٠٢/١) .

وقال ابن حجر فى التهذيب فى ترجمة حميد هذا – ذكره ابن عدى وقال حدث عنه ابن عياش بأحاديث عن عطاء غير محفوظات منها حديث فضل الدعاء عند الركن (٤٣/٣) .

وذكر السندى فى حاشيته على سنن ابن ماجه أنه فى الزوائد وقال : وهذا يدل على أن الحديث من الزوائد إلا أنه ما تكلم على اسناده وذكر الدميرى ما يدل على أنه حديث غير محفوظ . انتهى كلام السندى .

قلت : لكن قال المنذرى حسّنه بعض مشايخنا (كذا فى الترغيب ٣١٥/٣) .

وقال الصحابى الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب : على الركن اليمانى موكلان يؤمنان على دعاء من يمرّ بهما وان على الاسود ما لا يحصى (رواه الأزرقى ٣٤١)

قلت : وسنده جيد ـــ

وقال مجاهد : ملك موكل بالركن اليمانى منذ خلق الله السموات والأرض

يقول : آمين – فيقولوا : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار – (رواه الأزرقى ٣٤١)

قلت وفى سنده عبد الله بن مسلم بن هرمز المكى – وهو ضعيف (كذا فى التقريب ١/٤٥٠) وبقية رجال ثقات . وقال ابن عباس : بين الركنين حوض عليه سبعون الف ملك يؤمّنون لمن دعا فان نسى قالوا : اللهم اغفر له – رواه عبد الرزاق بسنده فى مصنفه ٤٧/٥ .

قلت : وفى سنده ياسين بن معاذ الزيات وهو ضعيف متكلم فيه . فهذا أثر موقوف ضعيف .

وهذه الاحاديث والآثار – ما بين صحيح وضعيف – ليس فيها بحمد الله موضوع ولا مكذوب . وهى تدل على فضل الركن اليمانى وشرفه .

وقد يظهر التعارض بينها إذ فى بعضها أن الله وكل بالركن ملكا . وفى رواية ملكين . وفى رواية سبعين ملكا – وفى رواية سبعين الف ملك .

وقد أشار كثير من أهل العلم إلى طريقة الجمع بينها ومنهم : العلامة الشيخ محمد بن علان الصديقى فى كتابه المخطوط « مثير شوق الانام الى حج بيت الله الحرام » .

وحاصل كلامه أن حديث الملكين عام لكل دعاء وحديث السبعين خاص بمن دعا بقوله : اللهم انى اسألك العفو والعافية إلخ . وحديث الملك خاصّ بمن يقول : ربنا آتنا الخ .

ومن فضائل الركن اليمانى أنه يشهد لمن استلمه يوم القيامة ــ وهذه المزية ليست مشهورة ــ لأن المشهور أن ذلك للحجر الأسود لكنى رأيت ذلك ثابتا فى بعض الروايات وهى : ما رواه ابن عباس : « يبعث الله الحجر الأسود والركن اليمانى يوم القيامة ولهما عينان ولسانان وشفتان يشهدان لمن استلمهما بالوفاء ــ قال المنذرى رواه الطبرى فى الكبير اهـ . (ترغيب ٣١٧/٢) .

وقال الهيثمى : فيه رجلان لا أعرفهما (مجمع الزوائد ٢٤٢/٣) وروى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : يأتى الركن اليمانى يوم القيامة أعظم من أبى قبيس له لسانان وشفتان ، قال المنذرى : رواه أحمد باسناد حسن . والطبرى فى الأوسط . (ترغيب ٣١٧/٢) .

ونقل ابن ظهيرة عن الشعبى أنه قال : رأيت عجبا كنا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن الزبير وأخوه مصعب وعبد الملك بن مروان فقالوا بعد أن فرغوا من حديثهم ليقم رجل فليأخذ بالركن اليمانى وليسأل الله تعالى حاجته فانه يعطى من سعة ، ثم قالوا لعبد الله قم أولا فانك أول مولود فى الهجرة فقام فأخذ بالركن اليمانى ثم قال : اللهم إنك عظيم ترجى لكل عظيم أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك ﷺ ان لا تميتنى من الدنيا حتى تولينى الحجاز ويسلم علىّ بالخلافة وجاء وجلس . ثم قام أخوه مصعب فأخذ الركن اليمانى فقال : اللهم إنك رب كل شىء واليك كل شىء أسألك بقدرتك على كل شىء ان لا تميتنى من الدنيا حتى تولينى العراق وتزوجنى سكينة بنت الحسين وجاء وجلس . ثم قام عبد الملك بن مروان فأخذ بالركن اليمانى وقال : اللهم رب السموات السبع والأرض ذات النبات بعد القفر أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك وأسألك بحرمة وجهك وأسألك بحقك على جميع خلقك وبحق الطائفين حول بيتك أن لا تميتنى حتى تولينى شرق الأرض وغربها ولا ينازعنى أحد الا أتيت برأسه ثم جاء وجلس . ثم قام عبد الله بن عمر حتى أخذ بالركن ثم قال : اللهم يا رحمن يا رحيم أسألك برحمتك التى سبقت غضبك وأسألك بقدرتك على جميع خلقك أن لا تميتنى من الدنيا حتى توجب لى الجنة ، قال الشعبى فرأيت كل واحد وقد أعطى ما سأل وبشر عبد الله بالجنة .

قال ابن ظهيرة : ولقائل أن يقول : ما الدليل على وجه البشرى ؟

والجواب من وجهين :

الأول : أن ابن عمر كان قد كف بصره بعد ذلك وقد وعد النبى ﷺ من ابتلى بذلك الجنة ، — كما فى صحيح البخارى .

والثاني : أن الثلاثة لما أعطوا ما سألوه كان ذلك أدل على اجابة دعاء الجميع اذهو اللائق بكرم الله وسعة عطائه . وكان سيدنا ابن عمر من الورع والزهد والصلاح بالمكانة التى لا تجهل كما فى مناقبه (كذا فى الجامع اللطيف ٤٢) .

دار الإيمان والتوحيد

المدينة المنورة الدار الطيبة والبقعة المحببة المطيبة ، دار السنة والهجرة ومدخل الصدق والإيمان .

سماها الله تعالى طابة [**فى الصحيح**] وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وكان يطلق عليها من قبل يثرب وسميت فى القرآن كذلك حكاية عن قول من قالها من المنافقين والذين فى قلوبهم مرض ، وقد جاء النهى عن تسميتها بذلك لأنه مأخوذ من الثرب وهو الفساد أو من التثريب وهو التوبيخ والملامة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهُ الاسم الخبيث .

روى أحمد فى مسنده من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [**من سمى المدينة بيثرب فليستغفر الله هى طابة**] .

وجاء أن من قال : يثرب فكفارته أن يقول : [**المدينة**] عشر مرات .

والمدينة حرم مقدس مشرف ثبت تحريم صيدها وشجرها على الحلال والمحرم لله كما هو مذهب الجمهور لقوله صلى الله عليه وسلم فى صحيح مسلم : [**إن ابراهيم حرم مكة وإنى حرمت المدينة ، ما بين لابَتَيْها حرام لا يقطع عضاها ولا يصاد صيدها**] .

لكن مكة يضمن صيدها وشجرها ، وفى ضمان صيد المدينة وشجرها خلاف .

والمدينة المنورة بلدة مباركة الطعام والشراب لأن النبى صلى الله عليه وسلم دعا لأهلها بالبركة فى صاعهم ومدهم ومكيالهم .

والمدينة المنورة محفوظة لا يدخلها الدجال ، ففى الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [**ان الدجال لا يطأ مكة ولا المدينة وأنه يجيء حتى ينزل فى ناحية المدينة المنورة فترجف ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق**] وفى رواية [**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة**] وهى فى الصحيحين .

والمدينة المنورة محفوظة لا يدخلها الطاعون ، ففى الصحيحين قال صلى الله عليه وسلم : [**على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**] والأنقاب جمع نقب ، وهو الطريق على رأس الجبل وأنقاب المدينة طرقها وفجاجها .

والسر فى ذلك أن الطاعون وباء عند الأطباء ، وقد صح أنهم لما قدموا المدينة وأصابتهم أمراض عظيمة وحمى شديدة دعا لهم النبى صلى الله عليه وسلم فكشف ذلك عنهم وقال : [**اللهم انقل وباءها إلى خم**] وخم مكان على ثلاثة أميال من الجحفة التى هى جهة رابغ .

قال القرطبى : الطاعون هو الموت العام الفاشى ، ونعنى بذلك أنه لا يكون فى المدينة من الطاعون مثل ما يكون فى غيرها من البلاد كالذى وقع فى طاعون عمواس ، وقد أظهر الله صدق رسوله صلى الله عليه وسلم ، فانه لم يسمع من النقلة ولا من غيرهم من يقول : انه وقع فى المدينة طاعون عام ، وذلك ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم حيث قال : [**اللهم صححها لنا**] .

والمدينة المنورة لا تقبل خبثا ، فهى كالكير فى إزالة الخبث عنها كما فى الصحيحين : أن أعرابيا بايع النبى صلى الله عليه وسلم فأصابه وعك بالمدينة ، فقال : يا محمد ، أقلنى بيعتى أى أعفنى من مبايعتك فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الأعرابى فقال ﷺ [**انما المدينة كالكير تنفى خبثها وينصع طيبها**] أى يخلص وتشتد رائحته قال بعضهم : هذا خاص بزمن حياته ﷺ وصحح النووى انه عام يشمل كل زمان ، فقد جاء فى الحديث الصحيح : [**لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد**] قال الزركشى : هذا والله اعلم زمن الدجال .

والمدينة المنورة لا يدعها أحد رغبة عنها إلا ابدل الله فيها من هو خير منه . ومعنى ذلك أن الذى يخرج عن المدينة راغبا عنها زاهدا فيها ، انما هو جاهل بفضلها ، وفضل القيام بها ، أو كافر بذلك ، وكل واحد من هذين اذا خرج منها فمن بقى من المسلمين خير منه وافضل على كل حال . وقد قضى الله تعالى بأن مكة والمدينة لا تخلوان من أهل العلم والفضل والدين ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وفى المدينة المنورة المسجد الذى أسس على التقوى مسجد قباء الذى جاءت الاشارة اليه فى قوله تعالى « **لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه** » .

وقد سأل أبو سعيد رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال : « **هو مسجدكم هذا** » .

وجاء فى رواية أخرى : أنه المسجد النبوى . والحق أن كلا منهما أسس على التقوى . وقد أخرج الترمذى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **الصلاة فى مسجد قباء كعمرة** » . واخرج ابن ماجه بسند جيد عن سهل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة** » . ورواه أحمد والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يأتى مسجد قباء راكبا وماشيا كل سبت وتارة يوم الاثنين ، وصبيحة اليوم السابع عشر من رمضان فيصلى فيه . وقد حث صلى الله عليه وسلم على الاقامة بها ، ووعد من صبر على لأوائها وشدتها أن يكون له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة .

ودعا على من أحدث بها وأساء وأتى اثما أو أعان على ذلك فقال : [**من أحدث فيها أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا**] أى لا يقبل منه فرضا ولا نفلا .

ودعا على من آذى أهلها وأرادهم بسوء بأن الله يذيبه فى النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح فى الماء ، وقال [**اللهم اكفهم من دهمهم ببأس**] رواه البزار باسناد حسن .

آداب الزيارة

ينبغي لمن وفقه الله تعالى ووصل إلى المدينة أن يتمسك بالآداب الشرعية فى تلك الرحاب الطاهرة والمنازل المباركة فيستشعر شرف المكان بالفضل الثابت بالعيان .

فاذا دخل المسجد النبوى يدخل بسكينة واحترام وهدوء تام ولا يرفع صوته ، لأن رفع الصوت فى المساجد منهى عنه وهو فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم أشد .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : وقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلين يرفعان أصواتهما فى المسجد ، فقال : لو أعلم أنكما من أهل البلد لأوجعتكما ضربا . ان الأصوات لا ترفع فى مسجده صلى الله عليه وسلم فَمَا يفعله بعض جهال العامة من رفع الصوت من أقبح المنكرات ، اهـ.

وليست هناك صيغة مخصوصة للزيارة يسن التزامها ، أو التقيد بها ، بل لو صلى وسلم على النبى صلى الله عليه وسلم بأى صيغة أو أسلوب كفى ويكفيه أن يقتصر على قوله : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر الصديق ، السلام عليك يا أبا حفص عمر — كلما دخل المسجد .

فقد كان ابن عمر اذا دخل المسجد يقول : السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبت ثم ينصرف .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : إذا قال فى سلامه : السلام عليك يا رسول الله يا خيرة الله من خلقه يا أكرم الخلق على ربه يا إمام المتقين ، فهذا كله من صفاته ، بأبى وأمى صلى الله عليه وسلم .

وينبغى أن يحترس مما يفعله بعض الجهال أمام الحجرة من تمسح ونحوه فلا يستلم الحجرة ولا يقبلها ولا يطوف بها وأن لا يتصنع وجدا أو حالا أو شوقا كاذبا ليفعل ذلك ، فان المتشبع بما ليس عنده كلابس ثوبى زور .

وقد حفظ الله تلك الرحاب من كل ما ينافى التوحيد ولا يوجد بين الأمة المسلمة بحمد الله من يعتقد فيه ، أو فى قبو صلى الله عليه وسلم اعتقادا باطلا استجابة لدعائه صلى الله عليه وسلم حين قال : اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد . وتحقيقا لما أخبر به أنه لا يجتمع دينان بجزيرة العرب وان الشيطان قد أيس أن يعبد بالجزيرة الها .

ولا تظنن أن ما يفعله بعض الناس مما ظاهره ينافى التوحيد الا صادرا عن جهل يحتاج إلى تعليم وتنبيه .

قال الشيخ ابن القيم :

ولقــــد نهانــــا أن نصير قبو	عيــدا حذار الشرك بالــــرحمن
ودعا بأن لا يجعل القبر الذى	قد ضمــه وثنــا من الأوثـــان
فأجـاب رب العـالمين دعـاءه	وأحاطـــه بثلاثـــة جدران
حتى اغتدت أرجـاؤه بدعائـه	فى عزة وحمايـــة وصيـــان

وينبغى للمسلم أن يتأدب فى تلك الحضرة ملاحظا أنه صلى الله عليه وسلم يشعر ويعرفه ويرد عليه السلام ويعلم موقفه ، وأن حرمته ميتا كحرمته حيا .

قال الشيخ ابن القيم :

فاذا أتينا المسجد النبوى صلّـــ	ـينـا التحيـــة أولا ثنتـــان
ثم انثنينـا للزيـارة نقصد الـــ	ـقبر الشريف ولو على الأجفان
فنقوم دون الـقبر وقفـة خاضع	متذلـــل فى السر والاعـــلان
فكأنـه فى الـقبر حى ناطـق	فالواقفـــون نواكس الأذقـــان
ملكتهم تلك المهابـة فاعتـــرت	تلك القـــوائم كثرة الرجفـــان
وتفجـرت تلك العيـون بمائهـا	ولطال ما غاضت على الأزمـــان
وأتى المسلـم بالسلام بهيبـــة	ووقـــار ذى علـــم وذى إيمان
لم ترفـــع الأصوات حول ضريحه	كلا ولم يسجـــد على الأذقـــان

إلى آخر القصيدة .

وينبغى لمن وصل إلى المدينة المنورة أن يجتهد فى المحافظة على الصلاة بالمسجد النبوى المشرف ، فقد ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : [**صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام**] .

قال النووى هذا التفضيل يعم الفرض والنفل لله .

وهذا التفضيل يعم المسجد القديم وما أضيف إليه من جديد الآن وقبل الآن . فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : [**لو بنى هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدى**] وهذا الحديث إن صح فهو من أعلام نبوته .

وينبغى أيضا أن لا ينسى روضة الجنة فى الدنيا ، ففى الصحيح مرفوعا [**ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة**] وفى لفظ [**ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة**] .

وأن يجتهد فى الصلاة فيها لكن بشرط أن لا يؤذى أحدا بالمزاحمة والمدافعة ولا يتأخر فى الحضور إلى المسجد ، ثم يتوجه إلى الروضة للصلاة فيها فيؤذى المصلين ويتخطى الرقاب ، ويقطع الصفوف ، ويشوش على الذاكرين ، ويسبب المخاصمة والمجادلة التى قد تخرج إلى المشاتمة والقول القبيح ، فهو بهذا قد ارتكب الحرام للوصول إلى السنة فوقع فى الشر من حيث أراد الخير .

اللهم اجعله حجا مبرورا وذنبا مغفورا وعملا صالحا متقبلا .



دعاء يوم عرفة

للامام السجاد على زين العابدين ابن الامام الحسين السبط رضى الله تعالى عنهما .

بسم الله الرحمن الرحيم

[**اللهم**] هذا يومُ عرفةَ ، يومٌ شرَّفتَه . وكرَّمْتَه وعظَّمتَه ، نشرْتَ فيه رحمتك ، ومَنَنْتَ فيه بِعفوك وأجزَلْتَ فيه عَطيَّتك ، وتفضَّلْتَ به على عبادك ، وأنا عبدُك الذى أنعمتَ عليه قبلَ خلقِك له وبعد خلقِك إياه ، فجعلتَه ممن هديته لِدينك ، وعصَمتَه بحبلك ، وأدخلته فى حزبك ، وأرشدتَه لموالاة أوليائك ، ومُعاداة أعدائك .. ثم أمرتَه فلم يأتَمِر ، وزَجَرته فلم يَنْزجر . لا معاندةً لك ، ولا إستكباراً عليك .

وها أناذا بين يديك صاغراً ذليلاً ، خاضعاً خاشعاً خائفاً معترفاً بعظيم من الذنوب تحمَّلتهُ ، وجليلٍ من الخطايا أجْرمتُه ، مستجيراً بصفحِك لائذاً برحمتك ، موقناً أنه لا يجيرُنى منك مُجير ، ولا يمنعُنى منك مانع ؛ فعُدْ علىَّ بما تَعودُ به على من اعترف بما اقترفَ — من فضلك ، وجُدْ علىَّ بما تجود به على من ألقَى بيده إليك — من عفوك ، وامنن علىَّ بما لا يتعاظمُك أن تَمُنَّ به على من أمَّلك — من غفرانك ، واجْعلْ لى فى هذا اليوم نصيباً من رضوانك ، ولا تردَّنى صِفْراً مما ينقلب به المتعبِّدون لك من عبادك ؛ فإنى وإن لم أقَدِّم ماقدّموه من الصالحات فقد قدَّمتُ توحيدَك ، ونَفْىَ الأضدادِ والأنداد والأشباه عنك ، وأتيتُك من الأبواب التى أمَرْتَ أن تُؤتَى منها ، وتقرَّبتُ إليك بمالا يَقْرُب أحدٌ منك إلا بالتقرُّب به .

ثم أتبعْتُ ذلك بالإنابة إليك ، والتذلُّلِ والاستكانةِ لك ، وحُسْنِ الظن بك ، والثقة بما عندك ، وشَفَعتُه برجائى الذى قلَّ ما يَخِيب عندَهُ راجيك ، وسألتك مسألةَ الحقير الذليل ، البائس الفقير ، الخائِف المستجير ، خِيفةً وتضرعاً ، وتعوُّذاً وتلوُّذاً(1) ، لا مستطيلا بتكبُّر المتكبِّرين .

---

(1) تحصنا

فيامَنْ لا يعاجلُ المسيئين ، ويامن يمنُّ بإقالة العاثرين ويتفضّل بإنظار الخاطئين ، أنا المسئُ المعترف العاثرُ ، أنا الذى أستحى من عبادك وأبارزُك ، أنا الذى هاب عِبادَك وأمِنَك ، أنا الجانى على نفسه ، أنا المرتهَن ببليّته أسألك بحقِّ من انتخَبْتَ من خلقِك ، واصطفَيْتَ من بَرِيّتِك أن تتغمَّدَنى فى يومى هذا بما تتغمَّدُ به من جاء إليك متنصِّلاً ، وعاد باستغفارك تائباً ، وتَوَلّنى بما تتولى به أهل طاعتك ، والزُّلْفَى لَديك ، والمكانةِ منك .

وخُذْ بقلبى إلى ما استعملتَ به القانتين ، وأسعدْتَ به المتعبِّدين ، وأستنقَذْت به المتهاونين ، وأعذنى مما يُباعدُنى عنك ، ويحول بينى وبين حَظّى منك ، ويَصُدُّنى عمّا أحاول لديك ، وسهل لى مسلكَ الخيرات إليك والسّابقة إليها من حيث أمرت . والمشاحّة فيها على ما أردت ، ولاَ تمْحقْنى فيمن تَمحَق من المستحقين بما أوْعدت ، ولا تُهْلِكنى مع من تُهلِك من المتعرضين لمقتك ، ونجّنى من غمرات الفتنة ، وأجِرْنى من أخذ الإملاء ، وحُلْ بينى وبين عدوّ يُضِلُّنى ، وهوى يوبِقُنى ، ومنقصة تُرهِقُنى ، ولا تُعرِضْ عنى إعراض من لا ترضى عنه بعد غضبك ، ولا تُؤْيِسْنى من الأمل فيك فيَغلب علىَّ القنوط من رحمتك ، وأنزع من قلبى حبَّ دنيا دَنِيّة تَنْهَى عما عندك ، وهبْ لى التَّطهير من دنَس العصيان ، وأذهب عَنى دَرَنَ الخطايا ، وسَرْبلْنى بِسرْبال عافيتك ، ورَدِّنى برداء معَافاتك ، وجلِّلْنِى بسوابغ نعْمائك ، وأيِّدْنى بتوفيقك وتسديدك ، وأعنّى على صالح النية ومَرْضِيِّ القول ومستحسَن العمل ، ولا تَكِلْنى إلى حَوْلى وقوتى دون حَولِك وقوّتك ، ولا تُخزِنى يوم تبعثنى للقائك ، ولا تفْضَحْنى بين يدَى أوليائك ، ولا تُنْسِنى ذكرَك ، ولا تُذْهِب عنى شكرَك ، بل . ألزِمْنِيه فى أحوال السَّهو عند غفلات الجاهلين لآلائك ، وأوزِعنى أن أُثنى بما أوْليتَنيه ، وأعترفَ بما أسديته إلىَّ ، واجْعل رغبتى إليك فوق رغبة الراغبين ، وحمدى إيّاك فوقَ حمدِ الحامدين ، ولا تَخذُلنى عند فاقتى إليك ، ولا تَجْبَهْنِى بما جَبَهت به المعاندين لك ؛ فإنى لك مسلِّم ، أعلمُ أن الحُجة لك وأنكَ أوْلى بالفضل ، وأعْودُ بالإحسان ، وأهلُ التقوى وأهل المغفرة ، وأنك بأن تعفو أولى منك بأن تعاقِب ، وأنك بأن تسترَ أقربُ منك إلى أن تُشَهِّر .

فأحْينى حياةً طَيّبة ينتظم بها ما أريد ، وتبْلغ بى ما أحبّ من حيث لاآتى

ما تكره ، ولا أرتكب ما نهيت عنه وأمِتْنى ميتةَ من يَسْعَى نوره بين يديه وعن يمينه ، وذَلّلنى بين يديك وأعزّنى عند خلقك ، وضَعْنى إذا خَلَوْتُ بك ، وارفعْنى بين عبادك ، وأغْنِنى عمن سواك ، وزدْنى إليك فاقةً وفقراً ، وأعِذْنى من شماتة الأعداء ، ومن حلول البلاء ، ومن الذل والعَناء .

وتَغَمّدْنى فيما آطّلعتَ عليه منّى بما يتغمّد به القادرُ على البطش لولا حِلمه ، والآخذُ على الجريرة لولا أناتُه .

وإذا أردت بقوم فتنةً أو سوءًا فنجّنى منها لوّاذاً بك ، وإذ لم تقمنى مقام فضيحة فى دنياك فلا تقُمنى مِثْلَه فى آخرتك ، وآشفَعْ لى أوائلَ مِنَنِك بأواخرها ، وقديمَ فوائدك بحوادثها ، ولا تمْدُدْ لى مدّا يقسو معه قلبى ، ولا تَقْرَعْنى قارعةً يذهب لها بهائى ، ولاتَسمْنى نقيصة يَخْمُل من أجلها مكانى ، ولا تَرُعْنى رَوْعة أبْلَس بها[1] ولا خِيفةً أوحَش دونها .

آجعل هيبتى فى وعيدك ، وحذرى من إعذارك وإنذارك ، ورهبتى عند تلاوة آياتك ، وآعْمُر ليلى بإيقاظى فيه لعبادتك ، وتفرُّدى بالتهجُّد لك ، وتجرُّدى بسكونى إليك ، وإنزال حوائجى بك ، ومنازلتى إياك فى فَكاك رقبتى من نارك وإجارتى مما فيه أهلها من عذابك ، ولا تذرنى فى طغيانى عَامِهاً ولا فى غَمرتى ساهياً حتى حين ، ولا تجعلْنى عِظةً لمن آتّعظ ، ولا نَكالاً لمن اعتبر ، الا فتنةً لمن نَظَر ، ولا تمكُرْ بى فيمن تمكر بهم ، ولا تستبدلْ بى غيرى ، ولا تُغَيّر لى اسماًولا تبدل لى جسماً ، ولا تتخذنى هزؤاً لخلقك ، ولا تبعاً إلا لمرْضيِّ ولا ممتهنا إلاّ بالانتقام لك .

وأوجدنى بَرْدَ عفوك ، ورَوْحك وريحانك ، وجنة نعيمك ، وأذِقْنى طعمَ الفراغ لما تحبُّ بسَعةٍ من سَعتك ، والاجتهادِ فيما يُزلف لديك وعندك .

واجعل تجارتى رابحةً ، وكَرّتى غيرَ خاسرة ، وأخِفْنى مقامك ، وشوّقنى إلى لقائك ، وتُبْ علىّ توبة نصوحاً ، وآنزَع الغلّ من صدرى للمؤمنين ، وكن لى كما تكون للصالحين ، وحلّنى حِلية المتقين ، وأجعَلْ لى لسان صدق الغابرين ، وذكراً

---

(١) التحـير

نامياً فى الآخِرين ، وتمّم سُبوغَ نعمتك علىّ ، وظاهِرْ كرامَتها لدَىَّ ، وأمْلأْ من فوائدك يَدَىَّ ، وسُق كرائم مواهبك إلىَّ ، وجاورنى الأطيبين من أوليائك فى الجنان التى زيَّنتها لأصفيائك ، وجَلِّلنى شرائفَ نِحَلِك فى المقامات المُعدَّة لأحبابك .

واجْعلْ لى عندك مَقِيلاً آوِى إليه مطمئناً ، وله مثابة أتبوَّؤُها وأقَرُّعيناً ، ولا تُهلكنى بعظيمات الجرائر ، ولا تَهتكْنى يومَ تُبلى السرائر ، وأزِل عنى كلَّ شك وشبهة ، وأجْزِل لى قِسَم المواهب من نوالك ، ووفِّرْ عَلَىَّ حظوظَ الاحسان من إفضالك ، واجْعلْ قلبى واثقاً بما عندك ، وهَمِّى مستفرِغاً لما هوَ لك ، واستعملنى بما تستعمل به خاصتَك ، وأشرِبْ قلبى عند ذهول العقول طاعَتك .

واجْمع لى الغنى والعفافَ ، والدَّعةَ والمعافاة ، والصحة والسَّعَة ، والطُّمَأنينةَ والعافيةَ ، ولا تُحبط حسناتى بما يشوبها من معصيتك ، ولا خلَواتى بما يَعرض لى من نزغات فتنتك ، وصُنْ وجهى عن الطلب إلى أحدٍ من العالمين ، ودِينى من التماس ما عند الفاسقين ، ولا تجعلنى للظالمين ظهيراً ، ولا لَهم على مَحْو كتابك يداً ولا نصيراً ، وحُطْنى من حيث لا أعلم حِياطة تقينى بها ، وآفتح لى أبوابَ توبتك ورحمتك ، ورأفتك ورزقك الواسع ، إنى إليك من الراغبين ، وأتمم لى إنعامك إنك خير المنعمين ، وآجعل باقى عمرى فى الحج والعمرة ابتغاء وجهك يارب العالمين .

انتهى دعاء الإمام على زين العابدين رضى الله تعالى عنه .



دعاء آخر يوم عرفة

(**اللهم**) صلّ على محمد وعلى آل محمد ، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وعلينا معهم « **مائة مرة** » (**ربّنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار**) . (**اللهم**) لك الحمد كالذى تقول ، وفوقَ ما نقول . (**اللهم**) اجعَلْ فى قلبى نوراً ، وفى سمعى نوراً ، وفى بصرى نوراً ، وفى لسانى نوراً (**اللهم**) لك صلاتى ونسُكى وَمحياى ومماتى ، وإليك مآبى وإليك مثابى ، ولك ربى تُرَاثى . (**اللهم**) إنى أعوذ بك من عذاب القبر ، وَوسْوسَةِ الصدر ، وشَتات الأمر (**اللهم**) إنى أعوذ بك من شرّ ماتجىء به الريحُ . (**اللهم**) **إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً ، وإنه لا يغفِرُ الذنوبَ إلا أنت ، فاغفر لى مغفرةً من عندك وارحمنى ، إنك أنت الغفور الرحيم** (**اللهم**) هَبْ لى مغفرة تُصْلِحُ بها شأنى فى الدارين ، وارحمنى رحمةً أسعدُ بها فى الدارين ، وتب عَلَيَّ توبةً نَصوحاً لا أَنْكُثها أبداً ، وأَلْزِمْنى سبيلَ الاستقامة ولا أزيغُ عنها أبداً (**اللهمّ**) انقُلْنِى مِن ذلّ المعصية إلى عزّ الطاعة ، واغْنِنِى بحلالك عن حرامك . وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمَّن سواك ، ونوِّر قلبى ، وأعِذْنى من الشر كله ، واجْمعَ لى الخيرَ كلَّه يا أرحم الراحمين (**اللّهم**) أشرحْ لِي صدرى . ويَسِّرْ لى أمرى (**اللّهم**) إنى أعوذبك من شرّ مايَلِج بالليل ، ومن شر ما يَلِج فى النهار ، ومن شر ما تَهُبُّ به الرياح ، ومن شر بوائق الدهر . لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له المُلك ، وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو حىّ لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير . (**اللّهم**) اهدِنِى بالهُدىٰ ، واغفر لى فى الآخرة والأُولى (**اللّهم**) **إنى أعوذ بك من تحوُّل عافيتك ، وفَجْأةِ نِقمَتِك ، وجميع سَخطك ، ياخيرَ مقصود إليه ، وأبرَّ منزول عليه ، وأكرَم مسئول مَالَدَيْه ، أعطنى العشيّةَ أفضلَ ماتُؤْتِى أحداً من خلقك وحُجّاج بيتك . يا أرحم الراحمين** . (**اللّهم**) يارفيعَ الدرجات ، ويامُنزِلَ البركات ، ويافاطر الأرضِين والسموات ، ضجَّت إليك الأصواتُ بأصناف اللغات ، تسألك الحاجات ، وحاجتى أن لاتنسانى فى دار البِلَى إذا نَسِيَنِى أهل الدنيا (**اللهم**) إنك تسمع كلامى ، وترى مكانى ، وتعلم سِرِّى وعلانيتى ولا يخفى

عليك شيءٌ من أمرى أنا البائس الفقير ، المستغيثُ المستجير ، والوَجِلُ المشفِقُ المعترفُ بذنبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهِلُ إبتهالَ المذنب الذّليل ، وأدعوك دعاء من خضعَت لك رقبتهُ ، وفاضت لك عَبْرتُه ، وذلّ لك جسده ، ورَغِم لك أنفُه (**اللّهم**) لا تجعلنى بدعائك رَبِّ شقياً ، وكن بى رءوفاً رحيما ، ياخير المسئولين .

(**إلهىٰ مَن مدح إليك نفسه فأنا لائم نفسى** (**إلهى**) أخْرَستِ المعاصى لسانى ، فمالى وسيلةٌ من عمل ، ولا شفيعٌ سوى الأمل (**إلهى**) إن لم أك أهلا أن أبلغ رحمتك ، فإن رحمتك أهلٌ أن تبلُغنى . رحمتُك وسِعتْ كل شيء فارحمنى (**إلهى**) **إن ذنوبى وإن كانت عظاماً فهى صغار فى جَنْب عفوك ، فاغفر لى يا كريم** .

(**إلهى**) أنت أنت ، وأنا أنا ، أنا العوّادُ إلى الذنوب ، وأنت العوادُ إلى المغفرة (**إلهى**) **إن كنت لاترحم إلا أهل طاعتك فإلى من يفزَع المذنبون ؟؟** (**إلهى**) تجنبت من طاعتك عُمداً ، وتوجهت إلى معصيتكَ قَصداً ، فسبحانك ! ما أعظمَ حجتَّك عَلَىَّ ، وأكرمَ عفوَك عنِّى . فبوجوب حجتك عَلَىَّ ، وانقطاع حُجتى ، وفقرى إليك ، وغِناك عنى إلا ما غفرتَ لى يا أرحم الراحمين . ياخيرَ من دعاه داع ، وأفضلَ من رجاه راجٍ ، بحرمة الإسلام ، وبذمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، أتوسل إليك فاغفر لى جميع ذنوبى ، واصْرفنى عن موقفى هذا مقْضِىَّ الحوائج ، وهَبْ لى ما سألت ، وحقِّقْ رجائى فيما تمنيت .

(**إلهى**) دعوتُك بالدعاء الذى علَّمْتينه فلا تَحْرِمْنى الرجاء الذى عرّفْتنيه ، (**إلهى**) ما أنتَ صانعٌ العشيّةَ بعبد مقرّ لك بذنبه ، خاشعٍ لك بذلّه ، مستكينٍ بجُرمه ، متضرِّعٍ إليك من عمله ، تائبٍ إليك من اقترافه ، مستغفر لك من ظُلمه ، مبتهِلٍ إليك فى العفو عنه ، طالبٍ إليك فى نجاح حوائجه ، راجٍ لك فى موقفه هذا مع كثرة ذنوبه . فياملجأ كلِّ حىّ ، ووليِّ كلِّ مؤمن . من أحسَنَ فبرحمتك يفوز ، من أساء فبخطيئته يَهْلِك .

(**اللّهم**) إليك خرجنا ، وبفنائك أَنَخْناَ ، وإيّاك أمَّلناَ ، وما عندك طلبنا .

ولإحسانك تعرَّضنا ، ورحمتَك رَجَوْنا ، ومن عذابك أشفقنا ، ولِبَيتكَ الحرامِ حجَجْنا . يا مَن يملك حوائج السائلين ، ويعلم ضمائر الصامتين يا مَن ليس معه ربٌّ يُدْعَى ، ولا فوقه خالقٌ يُخْشَى . ويامَن ليس له وزير يؤتى ، ولا حاجب يُرْشَى . يامَن لا يزداد على السؤال إلاَّ كرَماً وجوداً . وعلى كثرة الحوائج إلاَّ تفضُّلاً وإحساناً .

(اللّهم) إنك جعلت لكل ضيف قِرًى[1] ونحن أضيافك ؟ فاجعل قِرانا منك الجنة :

(اللهم) إنَّ لكل وفد جائزة ، ولكل زائر كرامةً ، ولكل سائل عَطِية ، ولكل راج ثواباً ، ولكلِ ملتمس لما عندك جزاءً ، ولكل مسترحم لما عندك رَحْمة . ولكل راغب إليك زُلْفَى[2] ، ولكل متوسِّل إليك عفواً . وقد وَفَدْنا إلى بيتك الحرام ، ووقفنا بهذه المشاعر العظام ، وشاهدنا هذه المشاهد الكرام ؛ رجاءً لما عندك ، فلا تخَيِّب رجاءنا .

(إلهنا) تابَعْتَ النعم حتى اطمأنَّت الأنفسُ بتتابع نِعَمِك وأظهرت العِبَر حتى نطقَتِ الصَّوامت بحجتك ، وظاهرت المِنَن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك وأظهرت الآيات حتى أفصحَتِ السمواتُ والأرضُ بأدلتك ، وقهَرتَ بقدرتك حتى خضع كلُّ شيء لعِزّتك ، وعَنَتِ الوجوهُ لعظمتك ، إذا أساءَ عبادك حَلُمْت وأمْهلت ، وإن أحسنوا تفضَّلت وقَبلتَ ، وإذا عَصَيْنا سَتَرت ، وإذا أذنبنا غفرت وعفوت ، وإذا دعَوْنا أجبت ، وإذا نادينا سمعتَ ، وإذا أقبلنا إليك قرُبتَ ، وإذا ولَّينا عنك دعَوْت .

(إلهى) إنك قلت فى كتابك المبين لمحمد خاتم النَّبيين : ﴿ **قل للذين كفروا إن يَنتَهوا يُغفر لهم ماقد سلَف** ﴾ فأرضاك عنهم الإقرارُ بكلمة التوحيد بعد الجحود ، ونحن نشهد لك بالتوحيد مُخْبِتين[3] ، ولمحمد ﷺ بالرسالة مخلصين ؛

(١) ضـيافة .

(٢) قربة ومنزلة .

(٣) خاشعين متواضعين .

فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالِفَ الإجرام ، ولا تجعل حظنّا منها أنقصَ من حظ من دخل فى دين الإسلام .

(إلهنا) إنك أحببتَ التقرب إليك بعتق ما ملكت أيمانا ، ونحن عبيدُك : وأنت أولى بالتفضل فاعْتِقْنا ، وإنك أمرتّنا أن نتصدّق على فقرائنا ونحن فقراؤك . وأنت أحق بالطوْل[1] ، فتصدّق علينا ، ووَصّيّتنا بالعفو عمن ظَلَمنا وقد ظلَمْنا أنفسَنا وأنت أحق بالكرم فاعْفُ عنا ، ربنا اغْفرْ لنا وارْحَمْنا أنت مولانا (**ربنا آتنا فى الدنيا حسنةً وفى الآخرة حسنة . وقنا عذاب النار**) .

* * *



(١) بالفضل والسعة والقدرة .

الدعاء في ليلة عرفة

بســم الله الرحمـن الرحيـم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آلِه وصحبه أجمعين

اللهـم ياشاهِد كلِّ نجوىٰ ، ومَوضِع كل شَكوىٰ ، وعالِم كلِّ خفيّة ، ومنتهىٰ كلِّ حاجةٍ يامُبتدِئاً بالنِّعَم على العباد ، ياكرمَ العفوِ ، ياحَسَن التَّجاوُز يامَن لا يوارِى منه ليلٌ داجٍ ، ولا بَحرٌ عَجَّاجٌ ، ولا سماءٌ ذاتُ أبراجٍ ، ولا ظُلَمٌ ارتِيَاجٍ ، يَامن الظُّلْمةُ عنده ضياءٌ ، أسألُك بنور وجهك الكريمَ الَّذي تجلَّيتَ به لِلْجَبلِ ، فَجعلْتَهُ دكَّاً وخرَّ موسى صَعِقاً ، وباسْمِكَ الَّذي رَفعْتَ به السموات بلَا عمدٍ وسطَحْتَ به الأرضَ على وجه مـاءٍ جمَدٍ ، وبإسمك المَخزونِ المكنُون المكتُوب الطَّاهر ، الذيْ إذا دُعيتَ به أجَبْتَ ، وإذا سُئِلْتَ به أعطَيتَ ، وبإسمِك السبُّوحِ القُدُّوس البُرهان ، الَّذي هو نورٌ على كلِّ نورٍ ونُورٌ من نور يُضيئُ منه كل نُورٍ ، إذا بَلَغَ الأرْضَ انشقَّتْ وإذا بلغَ السَّمواتِ فُتِحَتْ ، وإذا بلغ العرشَ اهتزَّ ، وبإسمكَ الذي ترتَعِدُ منه فرائصُ ملائكتِك وأسألك بحقِّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيلَ وبحقِّ محمدٍ المصطفى صلى الله عليه وآله ، وعلى جميع الأنبياءِ وجميع الملائكةِ ، وبالإسمِ الذي مشىٰ به الخِضرُ على طِلَلِ الماءِ كما مشىٰ به على جَدَدِ الأرضِ ، وبإسمك الذي فلقتَ به البحرَ لموسى ، وأغرقْتَ فرعون وقومَه ، وأنجيتَ به موسى بن عمرَان ومَنْ معه ، وبإسمك الَّذي دعاكَ به موسى بنُ عمران من جانب الطُّورِ الأيْمن فاستَجبْتَ له وألقَيتَ عليه محبَّةً منكَ ، وبإسمك الذي به أحيٰى عيسَى بنُ مريمَ الموتىٰ وتكلَّمَ في المهْدِ صبياً وأبرَءَ الأكْمَهَ والأبْرَصَ بإذْنِكَ وبإسْمِك الَّذي به دعاكَ به حَمَلَةُ عرشِك وجبرائيل وميكائيلُ وإسرافيلُ ، وحبيبُك محمدٌ صلى الله عليه وآله وملائكتُكَ المقرَّبونَ وأنبياؤُكَ المرسلونَ وعبادُكَ الصَّالحونَ من أهل السموات والأرَضِين ، وبإسمك الَّذي دعاكَ به ذو النُّونِ إذ ذَهَب مُغاضِباً فنادىٰ في الظُّلماتِ أن لا إله إلا أنت سُبحـانـك إنِّي كنـت مـن الظَّالمينَ فاستَجبتَ له ونجَّيتَه مـن الغـمِّ ، وكـذلـك تُنجـي المؤمِنِينَ ، وبإسمِك العـظيـم الَّذي دعاكَ بـه داودُ وخرَّ لك سـاجـداً فغَـفرتَ لـه ذَنْبَه وبإسْمِكَ الَّذي دَعَتْكَ به آسيةُ امـرأةُ فـرعـون إذْ قـالـتْ ربِّ ابنِ لي عندك بيتاً

في الجنة ونجِّني من فرعون وعمله ونجِّني من القوم الظالمينَ فاستَجَبْتَ لها دعائَها وباسمك الَّذي دعاكَ به أيُّوبُ إذْ حلَّ به البلاءُ فعافيْتَه وآتيتَهُ أهلَه ومثلهُم معهُم رحمةً من عندِك وذِكْرىٰ للعابدينَ ، وباسمك الَّذي دعاكَ به يعقوبُ فرددْتَ عليه بَصرَهُ وقُرَّةَ عينِه يوسُفَ وجمعْتَ له شمْلَه ، وبإسمِكَ الَّذي دعاكَ به سليمانُ فوهبْتَ له ملكاً لا ينبغي لِأحدٍ من بعدِه إنك أنتَ الوهَّابُ ، وبإسْمك الذي سخَّرتَ به البُراقَ لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ قال تعالى : سبحان الذي أسْرىٰ بعبدِه ليلًا من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصىٰ ، وقولُه : سبحان الَّذي سخَّرَ لنا هذا وما كنَّا له مُقرنِينَ وإنَّا إلى ربِّنا لمنقلبُونَ ، وباسمك الذي تَنزَّلَ به جبرائيل على محمد صلى الله عليه وآله ، وبإسمك الذي دعاك به آدمُ فغفرتَ له ذنبَه وأسكنْتَه جنَّتك ، وأسألُك بحقِّ القرآن العظِيم ، وبحق محمدٍ خاتمِ النبيِّينَ ، وبحقِّ إبراهيم ، وبحقِّ فصْلِك يوم القضاءِ ، وبحقِّ المَوازِيْنَ إذا نُصِبتْ ، والصُّحُفِ إذا نُشرَتْ ، وبحق القَلَمِ وما جرَىٰ واللَّوحِ وما أحصىٰ ، وبحقِّ الاسم الذي كتَبْتَه على سُرادِقِ العرشِ قبلَ خَلْقِكَ الخَلْقَ والدُّنيا والشَّمسَ والقمَرَ بألْفَيْ عامٍ وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبدُه ورسولُه وأسألُك بإسمك المَخزُونَ في خزائِنِكَ الذي استأثَرْتَ به في علْمِ الغَيْبِ عندكَ ، لم يَظْهَرْ عليهِ من خَلْقِكَ ، لا مَلَكٌ مقرَّب ولا نبيٌّ مرسَلٌ ولا عبدٌ مصطَفىٰ ، وأسألُكَ باسمكَ الذي شَقَقْتَ به البِحارَ وقامتْ به الجبالُ ، واختَلَفَ به اللَّيْلُ والنَّهارُ ، وبحقِّ السَّبْعِ المثانيْ والقرآن العظيم ، وبحقِّ الكرامِ الكاتبيْنَ ، وبحقِّ طه ويَس وكهٰيعص وحمعسق ، وبحقِّ توراةِ موسى وإنجيلِ عيسى وزَبُورِ داودَ وفُرقان محمد صلى الله عليه وآلـه ، وعلى جميع الرُّسـل ، اللهـم إنِّـي أسـألك بحـقِّ تلك المُناجاتِ التي كانت بينَك وبين موسى بن عمران فوْقَ جبل طُوْرِ سَيْنآءَ ، وأسألك بإسمك الذي عَلَّمْتَهُ مَلَكَ المَوْتِ لِقَبْضِ الأرْواح ، وأسألُكَ بإسمِكَ الَّذي كُتِبَ على وَرَقِ الزَّيْتُونِ فخضعَتِ النِّيرانُ لتلك الوَرَقَةِ فقُلتَ يانارُ كوني بَرْداً وَسَلاماً ، وأسألك باسمك الَّذي كتبتَهُ على سُرادِقِ المَجْدِ والكرامَةِ ، يامَنْ

لا يُخفيهِ سائِلٌ ولا ينقصُهُ نائِلٌ يامَنْ به يُستَغاثُ وإليه يَلجَأُ ، أسألُكَ بمُعاقِدِ العِزِّ مِن عرشِكَ ، ومُنتهى الرَّحمةِ من كتابك ، وباسمك الأعظم وجَدِّكَ الأعلى وكلماتِكَ التَّامَّاتِ العُلى ، اللهم ربَّ الرِّياحِ وماذَرَتْ ، والسَّماءِ وما أظَلَّتْ ، والأرضِ وما أقلَّتْ ، والشَّياطِينِ وما أضلَّتْ والبِحارِ وما جَرَتْ ، وبحقِّ الملائِكَةِ المقرَّبِين والرَّوحانِيِّينَ والكَرُوبِيِّينَ والمُسبِّحِينَ لَك بالـلَّيلِ والنَّهارِ لا يَفتَرُوْن ، وبحقِّ إبراهيمَ خليلِكَ ، وبحقِّ كلِّ وليٍّ يُنادِيْكَ بين الصَّفا والمروَةَ وتَستَجيْبُ له دُعائَهُ يامُجيْبُ ، أسألُكَ بحَقِّ هذه الأسْمَاءِ وَبِهذِهِ الدَّعواتِ أنْ تغْفِرَلَنَا ماقَدَّمْنا وَمَا أخَّرنَا وَمَا أسرَرْنَا وما أعلَنَّا ومَا أبْدَيْنَا وما أخفَينَا وَما أنتَ أعلَمُ به منَّا إنَّك على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، برحمتِكَ ياأرحمَ الراحمينَ ، ياحافظَ كُلِّ غريبٍ ، يامُونِسَ كلِّ وحيدٍ ، ياقُوَّةَ كل ضعيفٍ ، ياناصِرَ كُلِّ مظْلومٍ ، يارازِقَ كلِّ محرومٍ ، يامُونِسَ كل مُستَوحِشٍ ، ياصاحبَ كلِّ مسافرٍ ، ياعِمادَ كلِّ حاضرٍ ، ياغافِرَ كل ذَنْبٍ وَخطِيئَةٍ ، يَاغِيَاثَ المُسْتَغِيْثِيْنَ ، يَاصَرِيْخَ المُستَصْرِخِينَ ياكاشِفَ كَرْبِ المَكْرُوبِينَ ، يافارِجَ هَمِّ المهْمُومِيْنَ ، يابَديعَ السَّموات والأرضِينَ ، يامُنتهى غَايَةِ الطَّالِبِيْنَ يَامُجِيْبَ دعْوةِ المُضْطَرِّيْنَ ياأرحمَ الراحِمِينَ ، ياربَّ العالمين ، يادَيَّان يوم الدين ، ياأجْودَ الأجوَدِيْنَ ، ياأكرَمَ الأكرَمِين ، ياأسمَعَ السَّامعينَ ، ياأبصَرَ النَّاظِرِيْنَ ياأقْدَرَ القادِرِيْن ، اغفِرْلِيْ الذُّنوبَ الَّتِيْ تُورثُ النَّدَمَ ، واغفِرْلِيَ الذُّنوبَ التي تُورثُ السَّقَمَ ، واغفرلي الذُّنوبَ التي تَهْتِكُ العِصَمَ ، واغفرلي الذُّنوبَ التي تَرُدُّ االدُّعاءَ ، واغْفِرْلِيْ الذُّنوبَ التي تَحْبِسُ قَطَرَ السَّماءَ ، واغفرلي الذُّنوبَ التي تُعَجِّلُ الفناءَ ، واغفِرْلِيَ الذُّنوبَ الَّتي تَجْلِبُ الشَّقَآءَ ، واغفرلي الذُّنوبَ التي تُظْلِمُ الهَوَاءَ واغفرلي الذُّنوب التي تَكْشِفُ الغطَاءَ ، واغفرلي الذُّنوبَ التي لا يغفِرُها غيرُكَ ياالله ، واحْمِلْ عنِّي كلَّ تَبِعَةٍ لِأحَدٍ مِن خلقِكَ ، واجْعَلْ لي من أمري فَرَجاً وَمَخْرجاً ويُسراً ، وأنزِلِ يَقينَكَ في صدْري ، ورَجاءَكَ في قَلبي حتَّى لا أرجُوَ غيرَكَ اللهم احفِظْنِيْ وعافِنِي في مقامِيْ ، وأصْحَبْنِيْ في لَيْلي ونهارِيْ ومِنْ بينِ يدَيَّ ومِنْ

خلْفِي وعنْ يمِيني وعن شمالي ومن فوقِي ومن تحتي ، ويسِّرلِيَ السَّبِيْلَ ، وأحْسِنْ لِيَ التَّيْسِيْرَ ، ولا تَخْذُلْنِيْ في العَسِيْرِ ، واهدِني ياخيرَ دَلِيْلٍ ، ولا تكِلْنِي إلى نفسي في الأمورِ ، ولقِّني كُلَّ سُرُورٍ ، واقْلِبْنِي إلى أهلِيْ بِالفَلاحِ والنَّجاحِ مَحْبُوراً في العَاجِلِ والآجِلِ ، إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قديرٌ ، وارْزُقْنِي مِن فضْلِكَ ، وأوْسِعْ عليَّ من طَيِّباتِ رِزقِكَ ، واستَعْمِلني في طاعتِكَ ، وَأجِرْني من عذَابِكَ ونارِكَ ، واقْلِبْنِي إذا تَوفَّيْتني إلى جنَّتِكَ برحمتِكَ اللهم إنِّي أعُوذُبِكَ مِنْ زوالِ نِعمتِكَ ، ومن تَحْوِيلِ عافيتِكَ ومن حُلُولِ نِقمَتِكَ ، ومن نُزولِ عذابك وأعوذُبك من جَهْدِ البلاءِ ودَرَكِ الشَّقاءِ ومِنْ سُوءِ القَضَاءِ وَشَماتَةِ الأعداءِ ، ومن شرِّ ماينزِلُ مِنَ السَّماءِ اللهم لا تجْلَلْنِي من الأشرَارِ ولا من أصحابِ النَّارِ ، ولا تَحْرِمْنِي صُحبَةَ الأخيارِ ، وَأحْيِني حياةً طَيِّبَةً ، وَتَوَفَّنِي وفاةً طَيِّبَةً تُلْحِقُنِي بالأبْرَارِ ، وارْزُقني مُرافَقَةَ الأنبياءِ في مَقْعَدِ صِدْقٍ عندَ مليكٍ مقتَدِرٍ اللهم لك الحمدُ على حُسنِ بَلائِكَ وصُنْعِكَ ، ولَكَ الحَمْدُ عَلَى الإسلَامِ واتِّباعِ السُّنَةِ يَاربِّ كما هدَيتَهُم لدِينِكَ وعلَّمتَهم كِتابَكَ فاهْدِنا وعلِّمْنا ولك الحمدُ على حسْنِ آلائِكَ وَصُنْعِكَ عندي خاصةً كما خَلَقتَنِي فأحسَنْتَ خَلْقِي ، وعَلَّمْتَنِي فأحْسَنْتَ تَعْلِيْمِي ، وَهَدَيْتَنِي فَأحْسَنْتَ هِدَايَتِيْ ، فَلَكَ الحمد على إنعامِكَ عليَّ قديماً وحديثاً ، فكَمْ من كَرْبٍ ياسيِّدي قد فرَّجْتَهُ ، وَكَم من غمٍّ ياسيِّدي قد نَفَّسْتَهُ ، وكَم من همٍّ ياسيدي قد كَشَفْتَهُ وكَم من بلاءٍ ياسيدي قد صرَفْتَهُ ، وكَم من عيبٍ ياسيدي قد سَتَرْتَهُ ، فَلَكَ الحمدُ على كلِّ حالٍ في كلِّ مثْوًى وزمانٍ ، ومُنْقَلبٍ ومقامٍ ، وعلى هذه الحالِ وكلِّ حالٍ ، اللهم اجعَلْني من أفضلِ عبادِكَ نصيباً في هذه اليومِ ، مِن خيرٍ تَقْسِمه أو ضُرٍّ تَكْشِفُهُ ، أو سُوءٍ تَصرِفُهُ أو بلاءٍ تَدْفَعُهُ أو خيرٍ تَسُوقُه ، أو رحمةٍ تنشرُها ، أو عافيَةٍ تُلْبِسُها ، فإنَّك على كل شيء قديرٌ ، وبِيَدِكَ خزائِنُ السَّموات والأرضِ ، وأنتَ الوَاحدُ الكريْمُ المُعْطِي الَّذي لا يَرُدُّ سَائِلَهُ ولا يُخيِّبُ آمِلَه ولا يَنْقُصُ نائِلُهُ ولا يَنْفَدُ ماعِنْدَهُ بَلْ يَزْدادُ كَثْرَةً وطِيْباً وعَطَاءً وجُوداً ، وارْزُقْنِي من خزائِنِكَ الَّتِي لا تَفنَىٰ ومِن رحمتِكَ الواسِعَةِ ، إنَّ عطَائَكَ لم يَكُن مَحظُوراً ، وأنت على كل شيء قديرٌ ، برحمتِكَ ياأرحمَ الراحمِينَ .

أدعيـة الوُقـوف بـعـرفــات

وهي كثيرة ، منها قول : (الله أكبر) مائة مرة و (لا إله إلا الله)، مائة مرة (والحمد لله) مائة مرة ، و (سبحان الله) مائة مرة ، و(ماشاء الله ولا قوة إلا بالله) مائة مرة ، و(اللهم صل على محمد وآل محمد) مائة مرة ، ويقول : أشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ، له المُلكُ وله الحمد يُحيي ويميتُ ويُحيى ، وهو حيٌّ لا يموتُ بيَدِه الخيرُ ، وهو على كل شيء قديرٌ .

وقراءة (قل هو الله أحد) مائةمرة ، وقراءة آية الكرسي مائة مرة وقراءة سورة : (إنَّا أنزلنا في ليلَةِ القدرِ) مائة مرة ، ويقول : أسألُ اللهَ بأنَّه هو الله الَّذي لا إله إلا هو الملِك القُدُّوسُ السَّلامُ المؤمِنُ المُهَيْمِنُ العزيزُ الجبَّارُ المُتكبِّر سبحان الله عمَّا يُشركُونَ هو الله الخالِقُ البارئُ المُصَوِّرُ له الأسماءُ الحُسنَى يسبِّح له مافي السموات والأرض وهو العزيزُ الحكيمُ ، فيقول : اللَّهم لكَ الحمدُ على نِعَمائِكَ التي لا تُحصىٰ بعَدَدٍ ولا تُكافأُ بِعَمَلٍ .

ثم يقول : أسئَلُكَ ياالله يارحمنُ بكلِّ اسمٍ هو لَكَ ، وأسئَلُك بقوَّتِكَ وقُدرتِك وعزَّتك وبجميع ماأحاطَ به علمُكَ وبأرْكانِكَ كُلِّها ، وبحَقِّ رَسُولِكَ صلوَاتُك عليه وآله ، وبإسمِكَ الأكبَرِ الأكبَرِ الأكبرِ ، وبإسمك العظيم الذي مَن دعاكَ به كان حقّاً عليك أن تُجيبَهُ ، وبإسمك الأعظم الأعظم الأعظمِ الذي مَن دعاكَ به كان حقًّا عليكَ أن لا تَردَّه وأن تُعْطِيَه ماسئَلَ ، أن تغفِرَلي ذُنُوبي في جميع عِلمِكَ بي .

ثم يقول : اللَّهم فُكَّني من النَّار وأوْسِعْ عَلَيَّ مِنْ رزقِكَ الحلالِ الطَّيِّبِ ، وادْرَأعنِّي شرَّ فَسَقَةِ الجِنِّ والإنسِ ، وَشرَّ فَسَقَةِ العربِ والعَجَمِ .

ويقرأ هذا الدعاء : اللهم إنِّي عبدُك فلا تجعَلْني مِن أخيَبَ وَفْدِكَ ، وَارْحَمْ مَسيرِيْ إليكَ من فَجِّ العميقِ ، اللَّهمَّ ربَّ المشاعِرِ كلِّها فُكَّ رَقَبَتي من النَّارِ وَأوْسِعْ عليَّ من رِزْقِكَ الحلاَلِ ، وادْرَأْ عَنِّي شرَّ فَسَقَةِ الجنِّ والإنسِ ، اللَّهمَّ

لا تمكُرْبي ولا تستدرجني ، اللهمَّ إنّي أسألك بحولك وجُودك وكَرَمِكَ وفضْلِكَ ومَنّك ياأسْمَعَ السَّامعينَ ويابْصَر النَّاظِرِينَ وياأسْرَعَ الحاسِبِينَ ويأرْحم الراحيمنَ أن تُصلِّيَ على محمدٍ وآل محمدٍ وأن تَرزُقَني خير الدُّنيا والآخِرةِ . ثم تطلب حاجتك .

ويقرأ هـذا الدعـاء رافعاً يديه إلى السمـاء

اللهمَّ حاجتي إليك إن أعطَيْتِيها لَمْ يَضُرَّنِي مامَنَعْتني ، وإنْ مَنَعْتنِيهَا لَمْ يَنفَعْني ماأعطَيْتني ، أسألُكَ خلَاصَ رَقَبَتِي مِنَ النَّار ، اللهمَّ إنّي عبدُكَ ومُلْكُ ناصيَتي بيَدِكَ وأجَلِي بعِلْمِكَ أسْألُكَ أن تُوَفِّقَني لِما يُرْضِيكَ عنّي وَأنْ تُسَلِّمَ مِنّي مناسِكِي الَّتي أرَيْتَهَا خليلَكَ إبراهيمَ عليه السلام ، ودَلَلْتَ عليها نبيَّكَ محمداً صلى الله عليه وآله .

ويقرأ : اللهمَّ اجْعَلْني مِمَّنْ رَضيتَ عَمَلَهُ وَأطَلْتَ عُمْرَهُ وأحْيَيْتَهُ بعد الموتِ حَيَاةً طَيِّبَةً .

ويستحسن أيضا في يوم عرفة قراءة هذا الدعاء عند ماتغرب الشمس

اللهم إنّي أعوذُبِكَ مِن الفقرِ ومن تَشَتُّتِ الأمرِ ومِن شرِّ مايَحْدُثُ لي باللَّيلِ النَّهارِ أمسىٰ ظُلْمِي مُستَجيراً بِعَفْوِكَ ، وأمسىٰ خوفِي مستَجيراً بِأمانِكَ ، وأمْسَى ذُلِّي مُستجيرً بعزِّكَ ، وأمسى وجهِي الفاني مُستجيراً بوجهِكَ الباقي يَاخيْرَ مَن سُئِلَ وأجْوَدَ مَن أعطَى ، يَاأرْحَمَ مَن استُرْحَمَ ، جَلِّلْني بِرَحْمَتِكَ ، وألْبِسْني عافِيَتِكَ ، وَاصْرِفْ عنّي شرَّ جميع خَلْقِكَ «وارزُقْني خيرَ الدُّنيا والآخِرَةِ»

ويستحسن أيضا قراءة هذا الدعـاء بعد مغيـب الشمـس

اللهمَّ لا تجعَلْهُ آخر العَهْدِ مِن هذا الموقِفِ وارزُقْني العَوْدَ ابَداً ماأبْقَيْتني واقْلِبْني اليَومَ مُفلِحاً مُنجِحاً مُستَجَاباً لي ، مَرْحُوماً مغفوراً لي بأفْضَلِ مايَنقَلِبِ به اليومَ أحدٌ من وَفْدِكَ ، وحُجَّاجِ بيتِك الحرامِ ، واجعلْني اليوم من أكْرَمِ وفْدِكَ عليكَ ، واعطِني أفضلَ ماأعطيتَ أحداً منهم من الخيرِ والبَرَكَةَ والرَّحمةِ والرِّضوان والمغفِرَة ، وبارِكْ لي فيما أرْجِعُ إليه من أهل أو مالٍ أو قليلٍ أو كثيرٍ وبارِك لي فيَّ يَارَبَّ العالِمين

دعـاء الحسين رضي الله عنه في يوم عرفة

الحمدُ لله الَّذي ليسَ لقضائِهِ دافِعٌ ، ولا لِعطائِهِ مانعٌ ، ولا كَصُنْعِهِ صُنْعُ صانِعٍ ، وهُو الجَوَادُ الواسِعُ فَطَرَ أجنَاسَ البَدَائِعَ ، وأتْقَنَ بحِكْمَتِهِ الصَّنائِعَ ، لَا تَخْفىٰ عليه الطَّلائِعُ ، ولا تَضيعُ عندَه الوَدائِعُ جازِي كلِّ صانعٍ ، وَرَائِشُ كلِّ قانِعٍ ، ورَاحِمُ كلِّ ضارعٍ ، وَمُنْزِلُ المنافِعِ والكِتَابِ الجامِعِ بالنُّورِ السَّاطِعِ ، وهو للدَّعْواتِ سامِعٌ وللْكُرُبَاتِ دافِعٌ وللدَّرجاتِ رافِعٌ ، وللجبابِرَةِ قامِعٌ ، فلا إله غيرُهُ وَلَا شَيءَ يَعْدِلُهُ ، وليسَ كمثْلِه شيءٌ ، وهو السميعُ البصيرُ اللَّطِيفُ الخبيرُ ، وهو على كل شيءٍ قديرٌ ، اللهمَّ إنِّي أرغَبُ إليكَ ، وأشهَدُ بالرَّبوبيَّةِ لكَ مُقِرًّا بأنَّك ربِّي ، وأنَّ إليكَ مَرَدِّي ، اِبْتَدَعْتَنِيْ بِنِعْمَتِكَ قبْلَ أن أكونَ شيئاً مذكوراً ، وخَلقتني من التُّرابِ ثم أسكَنْتني الأصلابَ ، آمناً لِرَيْبِ المَنُونِ واخْتلافِ الدُّهورِ والسِّنِين ، فَلَمْ أزَلْ ظَاعناً مِن صُلبٍ إلى رَحِمٍ فِي تَقادُمٍ إلى الأيامِ الماضيةِ والقُرُونِ الخالِيَةِ ، لَمْ تُخرِجْنِيْ لِرَأفَتِكَ بيْ ولُطفِكَ بِيْ وإحسانِكَ إليَّ لِلَّـذين نقضُوْا عهْدَكَ وكذَّبُوا رُسُلَكَ ، لٰكِنَّكَ أخرَجْتَني لِلَّذي سَبَقَ لي من الهدي الَّذي له يسَّرتَني ، وفيه أنشأتني ، ومِن قبلِ ذلك رَؤُفْتَ بِي ، بِجَمِيلِ صُنْعِكَ وَسَوابِغِ نِعَمِكَ ، فابْتَدَعْتَ خَلْقِيْ مِن مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ، وأسْكَنْتني في ظُلُمَاتٍ ثلاثٍ ، وبيْنَ لحْمٍ ودَمٍ وجِلْدٍ ، لَمْ تُشهِّدْني خَلقي ، ولم تجعل إليَّ شيئاً من أمري ، ثم أخرجْتني للَّذي سبقَ لي من الهدى إلى الدنيا تامًّا سوياً ، وحفِظْتَني في المَهْد طِـفلا وصبيـاً ، وعطفتَ عليَّ قُلوبَ الحـواضِ ، وكفَّلتَني الأمهاتِ الرَّواحِمَ وكَلأتني من طَوارِقِ الجانِّ ، وسَلَّمتني من الزِّيادَة والنَّقصان ، فتعالَيتَ يارحيمُ يارحمن ، حتى إذا استهلَلْتُ ناطِقاً بالكلام ، أتممتَ عليَّ سوابغَ الإنعامِ ، وربَّيْتَني زائِداً في كل عامٍ ، حتى إذا اكتَملتْ فِطْرَتِي ، واعتدلتْ مِرَّتِي ، أوجبْتَ عليَّ حجتَكَ بأن ألْهمتَني معرفَتَك ، وروَّعتَني بعجائِبِ حكمتِك وأيقَظْتَني لما ذرأتَ في سمائِك وأرضكَ من بدائِع خلقِكَ ، ونبَّهتني لشكرِكَ وذِكرِكَ ، وأوجبتَ عليَّ

طاعتَك وعبادَتك ، وفهَّمتَني ماجاء به رُسُلُكَ ويَسَّرتَ لي تَقَبُّلَ مَرضَاتِكَ ، ومننْتَ عليَّ في جميعِ ذَلِكَ بعَونِكَ ولُطفِكَ ، ثم إذْ خلقتَني من خيرِ الثَّرىٰ لم تَرْضَ لي ياإلٰهي نعمةً دونَ أخرىٰ ، ورزقتَني من أنواعِ المعاشِ وصُنوفِ الرِّياشِ ، بمَنِّك العظيمِ الأعظمِ عليَّ ، وإحسانِك القديمِ إليَّ ، حتى إذا أتممتَ عليَّ جميعَ النِّعمِ وصرَفْتَ عنِّي كلَّ النِقَمِ لم يمنعْكَ جَهلي وجرأتي عليك أن دَلَلْتني إلى مايُقرِّبني إليك ، ووَفَّقْتني لما يُزْلِفُني لديكَ ، فإن دعوتُكَ أجبتَني وإن سألتُك أعطيْتني ، وإن أطعتُكَ شَكرتَني ، وإن شكرتُك زِدْتَني ، كلُّ ذلك إكمالًا لأنعُمِك عليَّ ، وإحسانِك إليَّ ، فسبحانك مِن مُبدِئٍ مُعيدٍ حميدٍ مجيدٍ ، وتقدَّستْ أسماؤُك ، وعَظُمَتْ آلاؤُكَ ، فأيُّ نِعَمِكَ ياإلٰهي أُحصي عدداً وذكراً، أم أيُّ عطايَاكَ أقومُ بها شُكراً ، وهي يارَبِّ أكثَرُ من أن يُحصيَها العادّوْنَ ، أو يَبْلُغَ علماً بها الحافظُونَ ، ثُمَّ ماصَرَفْتَ ودَرَأتَ عنّي اللهمَّ مِنَ الضُّرِّ والضَّراءِ أكثر مما ظهَر لي في العافية والسَّرَّاءِ ، وأنا أشهد ياإلٰهي بحقيقَةِ إيماني ، وعقدِ عزماتِ يقيني وخالِصِ صريحِ توحيدي ، وباطِنِ مكنونِ ضميري ، وعلائِقِ مجاري نورِ بصَري ، وأساريرِ صَفْحةِ جبيني ، وخُرْقِ مسارِب نفسي ، وخذَاريفِ مارِنِ عِرْنيني ومسارِب صماخِ سمعي ، وما ضُمَّتْ وأطْبَقَتْ عليه شفَتايَ ، وحرَكاتِ لَفظِ لساني ، ومغْرَزِ حنكِ فمي وفكِّي ، ومنابِتِ أضراسي ، ومساغِ مطعمِي ومشرَبي ، وحمالَةِ أمِّ رأسي ، وبلوغِ فارغِ حبائِلِ عُنُقي ، وما اشتَملَ عليه تامورُ صدري ، وحمائلِ حبْلِ وتينِي ونِياطِ حجابِ قلبي ، وأفلاذِ حواشي كبِدي ، وما حوَتْه شراسيفُ أضلاعِي ، وحِقاقُ مفاصِلي ، وقبضُ عوامِلي وأطرافُ أنامِلي ولحمي ودمي وشَعري وبَشَري وعصبي وقصَبي وعظامي ومُخّي وعُروقي ، وجميعِ جوارِحي ، وما انتَسَجَ على ذلك أيامَ رضاعِي ، وما أقلَّتِ الأرضُ منِّي ، ونومِي ويقظتي وسُكوني ، وحركاتِ رُكوعِي وسجودي أن لَو حاولتُ واجتهدتُ مدَي الأعصارِ الأحقابِ ، لو عُمِّرتُها أن أؤدِّيَ شُكرَ واحدَةٍ من أنعُمِكَ ، مااسْتَطَعْتُ ذلك إلا بمَنِّكَ ، المُوجَبَ علَيَّ به شُكرُك أبداً جديداً وثناءًا طَارفاً عتيداً ، أجَلْ ،

ولو حرصْتُ أنا والعادُّونَ من أنامِكَ ، أن نُحصِي مدىٰ إنعامِك سالِفِهِ وآنِفِه ماحصرناه عدداً ولا أحصيناه أمَداً ، هَيهاتَ أنّى ذلك وأنت المُخبِرُ في كتابكَ النّاطِقِ ، والنّبأ الصّادق وإن تعُدُّوا نعمةَ الله لا تحصوهَا ، صدَق كتابُك اللهم وإنباؤك ، وبلَّغتَ أنبياؤك ورُسلُك ماأنزلتَ عليهم من وحيِك ، وشرَعْتَ لهم وبِهِم من دينك ، غيرَ أنّي ياإلهي أشهدُ بجُهدي وجِدّي ، ومَبْلَغ طاعتي ووُسعي ، وأقول مؤمناً مُوقناً ، الحمد لله الذي لم يتَّخذ ولداً فيكون مَورُوثاً ، ولم يكن له شريكاً في مُلكه فيُضادُّهُ فيما ابتدعَ ، ولا وَليٌّ من الذُّلِّ فَيُرفِدَهُ فيما صنع ، فسُبحانه سُبحانه لو كان فيهما آلهةٌ إلّا الله لَفسدَتا وتفَطَّرتا ، سبحان الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، الحمد لله حمداً يعادِلُ حمدَ ملائكتِهِ المقرَّبين ، وأنبيائِهِ المرسلين ، وصلى الله علي خِيَرَتِه محمدٍ خاتمِ النبيِّين وآله الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِينَ المُخلِصينَ وسلَّم

دعـاء آخـر لـه

اللهمَّ اجعَلني أخشاكَ كأنّي أراكَ ، وأسْعِدْني بتَقْواكَ ، ولا تُشقِني بمَعْصِيَتِكَ وخِرْلي في قَضائِكَ وبَارِكْ لي في قَدَرِكَ ، حتّى لا أحبَّ تعجيلَ ماأخَّرتَ ولا تأخيرَ ماعجَّلتَ ، اللهم اجعل غنايَ في نفسي ، واليقينَ في قلبِي ، والإخلاصَ في عملي والنور في بصري والبصيرة في ديني ، ومَتِّعني بجَوَارِحِي ، واجْعَلْ سَمعِي وبَصَرِي الوارثَين مِنِّي ، وانْصُرني على مَن ظَلَمَني ، وَأَرِني فيهِ ثارِي ومَـآرِبِي ، وأقِرَّ بِذَلك عَينِـي ، اللهـم اكْشِفْ كُربَتـي وأسْتُـر عَورَتـي واغْفِـر لي خطِيئَتي ، وأخسأ شيطاني ، وفُكَّ رِهانِـي ، واجْعـل لي ياإلهي الدَّرجـةَ العُليـا في الآخرة والأولىٰ ، اللهم لك الحمد كما خلقتَني فجَعَلتَني سمعياً بصيراً ، ولَكَ الحمـدُ كما خلقْتَنـي فجعلْتَني خلقاً سَوِياً رحمةً بي ، وقد كنتَ عن خَلقي غَنَياً ، رَبِّ بما برأتَني فعدَّلْتَ فِطْرَتـي ، ربِّ بما أنشأتَنـي فأحسنتَ صورتي ، ربِّ بما أحسنتَ إلـيَّ في نفسي وعافَيتَنـي رَبِّ بما كَلاَتَنـي وَوَفَّقتَنـي ، ربِّ بما أنعـمتَ علـيَّ فهَدَيتَنـي ، ربِّ بما أوْلَيتَنـي ومِـن كلِّ خيـــرٍ أعطَيتَني رَبِّ بما أطعَمْتَني وسَقيتَني ، ربِّ بما أغنَيتَني وأقنَيتَـي ، ربِّ بما أعَنْتَنـي أعززتَنـي

رَبِّ بما أَلْبَسْتَني مِن سِتْرِكَ الصَّافِي ، ويَسَّرتَ لِي مِن صُنْعِكَ الكافِي ، صلِّ على محمدٍ وآل محمدٍ ، وأعِنّي على بَوْآئِقِ الدُّهورِ وصُروفِ اللَّيالِي والأيَّامِ ونجِّني من أهوالِ الدُّنيا وكُرُباتِ الآخِرَةِ ، واكْفِنِي شرَّ مايَعْمَلُ الظَّالِمُونَ في الأرضِ ، اللهمَّ ماأخافُ فاكْفِني ، وما أحذَرُ فَقِني ، وفي نفسي وديني فاحْرُسْني ، وفي سفَري فاحْفِظْني وفي أهلي ومالي فاخْلُفْني ، وفيما رَزَقْتَني فبارِكْ لي ، وفي نفسي فَذَلِّلني ، وفي أعيُنِ النَّاس فعَظِّمْني ، ومِن شرِّ الجِنِّ وَالإنسِ فَسَلِّمني ، وَبِذُنُوبِي فلا تَفْضَحْني ، وبِسَرِيْرَتي فلا تُخْزِني ، وبِعملِي فلا تُبْتَلِني ، وبِنِعَمِكَ فلا تَسْلُبْني ، وإلى غيرِكَ فلا تَكِلْني ، إلٰهي إلى من تَكِلُني إلى قريبٍ فيَقْطَعُني ، أم إلى بعيدٍ فَيَتَجَهَّمُني ، أم إلى المُسْتَضْعِفِينَ لي ، وأنت ربِّي ومليكُ أمري ، أشكُوا إليك غُربَتي وَبُعْدَ دارِيْ ، وَهَواني على مَن ملَّكْتَهُ أمْرِي ، إلٰهي فَلا تُحْلِلْ عليَّ غضَبَك فإن لمْ تكُنْ غضِبْتَ عليَّ فلا أبالِي بسِواكَ سبحانكَ غيرَ أن عافيَتَك أوسَعُ لِي فأسألُكَ يارَبِّ بنُورِ وجْهِكَ الَّذي أشرَقَتْ له الأرضُ والسمواتُ ، وَكُشفتْ به الظُّلماتُ ، وصَلُح به أمـرُ الأوَّلين والآخرين ، أن لا تُميْتَني عَلى غضَبِك ، ولا تُنْزِلَ بِي سَخطَكَ ، لك العُتْبىٰ لك العُتبىٰ حتَّى ترضىٰ قبلَ ذَلك ، لا إله إلا أنت ربَّ البَلَدِ الحرامِ والمَشعَرِ الحرام ، والبيتِ العتيقِ ، الذي أحلَلْتَه البَرَكَةَ ، وجَعَلْتَه للنَّاس أمْناً ، يامَنْ عفا عَنْ عظِيمِ الذُّنُوبِ بِحِلْمِهِ ، يَامَن أسْبَغَ النَّعْماءَ بفَضْلِه ، يَامن أعطَى الجزيلَ بكَرَمِه ، يَاعُدَّتي في شِدَّتي ، ياصَاحِبِي في وَحْدَتِي ، ياغِيَاثِي فِي كُرْبَتِي ، يَاوَلِيِّ في نِعْمَتِي ، ياإلٰهِي وإله أبائي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوبَ وربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، وربَّ محمد خاتمِ النَّبيِّين وآله المُنتجَبيْنَ ، وَمُنْزِلَ التَّـوراةِ والإنجيـل والزَّبـورِ والفرقـان وَمُنَزِّلَ كٓهيٓعٓصٓ وطه ويسٓ والقرآن الحكيم ، أنتَ كهْفِي حين تُعيِينى المذاهِبُ في سعتها ، وتَضيقُ بِيَ الأرضُ بِرُحْبِها ، وَلَوْلَا رحمتُك لكنتُ من الهالِكِيْنَ ، وأنتَ مُقيلُ عثْرَتي ، ولولا سَتْرُك إيايَ لكنتُ من المَفْضُوحِينَ ، وأنتَ مُؤَيِّدي بالنَّصر على أعدائي ، ولولا نَصرُك إيايَ لكنتُ من المغلُوبينَ ، يامَن خصَّ نفسَهُ

بالسُّمو الرِّفعَةِ ، فَأولِيَاءُهُ بعِزِّه يعتزُّونَ ، يَامن جَعَلَتْ له المُلوكُ نيرَ المَذلَّةِ على أعناقِهِم فهُم مِن سَطْوَاته خائِفونَ ، يَعلمُ خائِنَةَ الأعيُنِ وما تُخفِي الصُّدُورُ ، وغَيبَ ما تأتي به الأزمِنَةُ والدُّهُورُ ، يامَن لا يعلَمُ كيف هو إلا هو ، يامن لا يعلَمُ ماهو إلا هو يامن لا يعلمهُ إلا هو ، يامن كَبَسَ الأَرضَ على الماءِ ، وسدَّ الهواءَ بالسَّماءِ ، يامَن له أكرَمُ الأسماءِ ، يَاذا المعرُوفِ الَّذي لايَنْقَطِعُ أبَداً ، يامُقَيِّضَ الرَّكْبِ لِيُوسُف في البَلَد القَفْرِ ، ومُخرِجَه من الجُبِّ ، وَجَاعِلَهُ بعد العُبُودِيَّة مَلِكًا ، يَارَادَّهُ على يعقوبَ بعد أنِ ابْيَضَّتْ عيناهُ من الحُزْنِ فَهُو كَظِيمُ ، يَاكاشِفَ الضُّرِّ والبَلْوَىٰ عن أيُّوبَ ويامُمْسِكَ يدَىْ إبراهيم عن ذَبْحِ ابنِه بَعدَ كِبَرِ سِنِّهِ وَفَناءِ عُمرِهِ ، يامن استَجابَ لِزَكريًّا فوَهَبَ له يحيى ، ولمْ يَدَعْه فَرْدَاً وَحِيداً يامَنْ أخرَجَ يُونُسَ من بَطْنِ الحُوتِ، يَامَنْ فَلَقَ البَحْرَ لبني إسرائيلَ فأنجاهُم ، وجعلَ فرعونَ وجُنُودَه من المُغْرَقِينَ ، يامن أرسَلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّراتٍ بينَ يدَىْ رحمتِه ، يامن لم يَعْجَل على من عصاهُ من خلْقِه ، يامن استَنْقَذَ السَّحَرَةَ من بعد طُولِ الجُحُودِ وقَدْ غَدَوا في نعمتِه يأكُلونَ رِزْقَهُ ويعبُدُونَ غيرَهُ ، وقَدْ حَادُّوهُ ونادُّوهُ وَكذَّبُوا رُسُلَهُ ياالله ياالله ، يابَدِيعًا لا نِدَّ لَكَ ، يادَائِماً لا نفادَ لك ، ياحيًّا حينَ لا حيَّ ، يامُحيِيَ الموتَىٰ ، يامَن هو قائمٌ على كلِّ نفسٍ بما كسبَتْ ، يامن قَلَّ له شُكْرِي فَلَمْ يَحرِمْني ، وَعَظُمَتْ خطِيئتي فَلَمْ يَفْضَحْنِي ، ورَآني على المعاصي فلم يَشْهَرْني ، يامن حفِظَني في صِغَرِيْ ، يامن رَزَقَني في كِبَري ، يامن أياديهِ عندي لاتُحصَىٰ ونِعَمُهُ لا تجازَىٰ ، يامن عارَضَني بالخيرِ والإحسانِ وعارَضْتُهُ بِالإسَاءَةِ وَالعِصْيَانِ ، يَامَنْ هَدَاني بالإيمانِ مِنْ قَبْلِ أن أعْرِفَ شُكرَ الإمتِنَانِ ، يَامَنْ دَعَوتُهُ مريضاً فَشَفاني ، وَعُرْيَاناً فَكَسَاني ، وَجَائعاً فأشْبَعَني ، وَعَطْشَاناً فأرْوَاني ، وَذَلِيلًا فأعَزَّني ، وَجاهِلًا فَعَرَّفَني ، وَوَحِيداً فكثَّرَني ، وغائِبَاً فَرَدَّني ، وَمُقِلًّا فَأغْنَاني وَمُنْتَصِراً فَنَصَرَني ، وَغَنيًا فلَمْ يَسْلُبْني ، وَأمْسَكْتُ عَن جَمِيعِ ذَلِكَ فابتَدَاني فلَكَ الحمدُ والشكرُ يامن أقالَ عَثْرَتي وَنفَّسَ كُرْبَتي وأجابَ دعوَتي وَستَرَ عَورَتي وغفَرَ ذُنوبِي وَبَلَّغني طَلَبَتي وَنصَرَني على عدُوِّي ،

وإنْ أعُدُّ نِعمكَ وَمِنَنَكَ وَكَرَائِمَ مِنحِكَ لا أحصيْهَا ، يَامَولَايَ ، اَنْتَ الَّذِي مَنَنْتَ أنْتَ الَّذِيْ أنعمْتَ ، أنْتَ الَّذِيْ أحْسَنْتَ أنْتَ الَّذِيْ أجمَلْتَ ، أنْتَ الَّذِيْ أفْضَلْتَ ، أنْتَ الَّذِيْ أكْمَلْتَ ، أنْتَ الَّذِيْ رَزَقْتَ ، أنْتَ الَّذِيْ وَفَّقْتَ، أنْتَ الَّذِيْ أعطيْتَ ، أنْتَ الَّذِيْ أغْنيتَ ، أنْتَ الَّذِيْ أقنَيْتَ ، أنْتَ الَّذِيْ اٰويتَ ، أنْتَ أنْتَ الَّذِيْ كَفَيتَ ، أنْتَ الَّذِيْ هَدَيْتَ ، أنْتَ الَّذِيْ عَصَمْتَ ، أنْتَ الَّذِيْ سَتَرْتَ ، أنْتَ الَّذِيْ غَفَرْتَ ، أنْتَ الَّذِيْ اَقَلْتَ ، أنْتَ الَّذِيْ مَكَّنْتَ ، أنْتَ الَّذِيْ اَعْزَزْتَ ، أنْتَ الَّذِيْ أعَنْتَ ، أنْتَ الَّذِيْ عَضَدْتَ ، أنْتَ الَّذِيْ اَيَّدْتَ ، أنْتَ الَّذِيْ نصَرْتَ ، أنْتَ الَّذِيْ شفَيْتَ ، أنْتَ الَّذِيْ عَافَيْتَ ، أنْتَ الَّذِيْ اَكْرَمْتَ ، تَبارَكتَ وتعالَيتَ ، فلكَ الحمد دائماً ، ولَكَ الشُكْرُ واصباً أبَداً ، ثمَّ أنا يااِلٰهِي المُعْتَرِفُ بِذُنُوْبِي فاغفِرها لِيْ ، اَنَا الَّذِيْ أسأتُ ، أنا الَّذِيْ أخطأتُ ، أنا الَّذِيْ هَمَمْتُ ، أناَ الَّذِيْ جَهِلتُ ، أنا الذي غفلْتُ ، أنا الذي سَهوتُ ، أنا الذي أعتَمَدْتُ ، أنا الذي تَعَمَّدْتُ ، أنا الذي وَعَدْتُ وأنا الَّذيْ أخْلَفْتُ ، أنا الذي نَكَثْتُ ، أنا الَّذي أقْرَرْتُ ، أنا الَّذي اعترَفْتُ بنِعْمَتِكَ عَلَيّ وعِنْدِي ، وأبُوْءُ بِذُنُوبِي فاغْفِرْهالِي ، يَامن لا تَضُرُّه ذُنوبُ عباده ، وَهُوَ الغنِيُّ عن طاعتِهِم ، وَالمُوَفِّقُ مَن عمِلَ صالحاً منهم بِمَعُونَتِهِ ورحمَتِهِ ، فَلَكَ الحمد إلٰهي وسيِّدي ، إلٰهى أمرتني فَعَصَيْتُكَ ، وَنهَيْتَني فارْتَكَبْتُ نَهْيَكَ فَأصْحَبْتُ لا ذَا بَرآئَةٍ لي فاعْتَذِرُ وَلا ذَا قُوَّةٍ فانتَصِرُ ، فبأيِّ شَيءٍ أستَقْبِلُكَ يَامولَايَ ، أبِسَمْعِي أم بِبَصَرِيْ أمْ بِلِسَانِي أم بِيَدِي أم بِرِجْلِي ، أليس كُلُّها نعمُكَ عندي ، وبِكُلِّها عَصَيْتُكَ يَامولَايَ فَلَكَ الحُجَّةُ والسَّبِيْلُ عَلَيَّ ، يامنْ سَتَرَني مِنَ الاٰباءِ والأمَّهاتِ أن يَزْجُرُوْني ، وَمِنَ العشائِرِ والإخوانِ أن يُعَيِّروني ، وَمِنَ السَّلاطِينَ أن يُعاقِبُوني ، وَلَوا طَّلَعُوْا ياموِلَايَ على مَا اطَّلَعْتَ عليه مِنِّي إذاً ماأنظَرُوني ولَرَفَضُوْني وَقَطَعُوْني ، فهَا أنا ذا يااِلٰهِي بَينَ يَدَيكَ ياسيِّدي ، خاضِعٌ ذَليلٌ حصيرٌ حَقيرٌ لا ذُو بَرآءَةٍ فَأَعْتَذِرُ ، وَلَا ذُو قُوَّةٍ فأنْتَصِرُ ولا حُجَّةٍ فأحْتَجُّ بهَا ، وَلا قَائِلٌ لَمْ أجترِحْ وَلَمْ أعمَلْ سُوْءً وَمَا عَسَى الجُحُودُ وَلَوْ جَهَدْتُ يَامَوْلَايَ يَنْفَعُنِي ، كَيْفَ وَأنّى ذلِكَ ،

وَجَوارِحِي كُلُّها شاهِدَةٌ عَلَيَّ بما قَدْ عَمِلَتْ ، وَعَلِمْتُ يَقِيناً غَيْرَ ذِي شَكٍّ أَنَّك سَآئِلِي مِن عظَائِمِ الأُمُورِ ، وأَنَّك الحَكَمُ العَدلُ الَّذي لاتَجُورُ وَعَدْلُكَ مُهْلِكِي ، وَمِنْ كلِّ عدْلِكَ مَهْرَبِي فإنْ تُعَذِّبْنِي يَاإِلٰهِي فَبِذُنُوبِي بَعْدَ حُجَّتِكَ عَلَيَّ ، وَإِنْ تَعْفُ عنِّي فَبِحِلْمِكَ وَجُودِكَ وَكَرَمِكَ لا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، لا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ المُستَغْفِرِينَ ، لا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ المُوَحِّدِينَ ، لا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الخائِفِيْنَ ، لا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الوَجِلِيْنَ ، لا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الرَّاجِيْنَ ، لا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الرَّاغِبِينَ ، لا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ المُهَلِّلِينَ ، لا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ السَّائِلِينَ ، لا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ، لا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْمُكَبِّرِيْنَ ، لا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحانَكَ رَبِّي وربُّ آبائِي الأَوَّلين ، اللهم هذا ثَنائِي عليكَ مُمَجِّدًا ، وإخْلَاصِيْ لِذِكْرِكَ مُوَحِّداً ، وإقْرَارِي بِالآئِكَ مُعَدِّدَاً وإنْ كنتُ مقرّاً أنّي لم أحصِها لكثْرَتِهَا وسُبُوغِهَا وتَظَاهُرِهَا وَتَقَادُمِهَا إلى حادِثٍ ، مالَم تَزَلْ تَتَعَهَّدُنِي بِهِ مَعَهَا مُنْذُ خَلَقْتَنِي وَبَرَأْتَنِي مِنْ أَوَّلِ العُمرِ مِنَ الإغناءِ مِنَ الفَقْرِ وكَشْفِ الضُّرِّ وَتَسْبِيْبِ اليُسرِ وَدَفْعِ العُسْرِ وتفْرِيْجِ الكَرْبِ والعافيَةِ في البدَنِ والسَّلامَةِ في الدِّين ، ولو رَفَدَنِي على قَدْرِ ذِكرِ نعمَتِكَ جَمِيعُ العالمِينَ مِنَ الأَوَّلينَ والآخِرِين ، مَاقدرْتُ ولا هم على ذَلك ، تقَدَّستَ وتعاليتَ من ربٍّ كريمٍ عظيمٍ رحيمٍ ، لا تُحصَى آلاؤُكَ وَلَا يُبْلَغُ ثناؤكَ ، وَلَا تُكافَى نَعْمَاؤكَ صلِّ على محمدٍ وآلِ محمد ، وأتممْ علينا نعمتَك ، وأسْعِدْنا بطَاعَتِكَ ، سبحانك لا إله إلا أنت اللهمَّ إِنَّك تُجِيْبُ المُضْطَرَّ وَتَكْشِفُ السُّوءَ ، وَتُغيثُ الْمَكْرُوهَ وَتَشْفِي السَّقِيْمَ ، وَتُغْنِي الفَقِير ، وَتَجْبُرُ الكَسِير، وَتَرْحَمُ الصَّغِيرَ ، وَتُعِيْنُ الكبيرَ . ولَيْس دُونَكَ ظَهِيْرٌ ، ولَا فَوقَكَ قَدِيرٌ ، وَأنْتَ العَلِيُّ الكَبِيْرُ ، يَامُطْلِقَ المُكَبَّلِ الأَسْيرِ ، يارَازِقَ الطِّفْلِ الصَّغِير ، ياعِصمَةَ الخائِفِ المستجيرِ يامن لا شريكَ له ولا وزير ، صلِّ على محمد

وآل محمد ، وأعطِني في هذه العشيَّةِ ، أفضَلَ ماأعطيتَ وأنلْتَ أحداً مِنْ عبادِكَ مِن نِعْمَةٍ تُولِيْهَا وَآلآءِ تُجدِّدُهَا وبَلِيَّةٍ تصرفُها وكُرْبَةٍ تكشفُها ودَعوَةٍ تسمَعُهَا ، وحسَنَةٍ تتقبَّلُها ، وسيِّئةٍ تتغمَّدُها ، إنَّكَ لَطيفٌ بما يشاءُ خبيرٌ وعلى كل شيءٍ قديرٌ ، اللهمَّ إنَّك أقْرَبُ مَن دُعِي ، وأسرَعُ من أجابَ ، وأكرَمُ من عفَىٰ ، وأوسَعُ مَن أعطَى ، وأسْمَعُ مَن سُئِلَ ، يَارَحمٰن الدُّنيَا وَالآخِرَةِ وَرَحِيمَهُما ، لَيس كمثْلِكَ مسئُول ولا سِواكَ مأمُولٌ ، دَعَوتُك فأجَبتَني ، وَوَثِقْتُ بك فَنَجَّيتَني ، وَفَزِعْتُ إليكَ فَكَفَيْتَني ، اللهمَّ فصلِّ على محمد عبدِكَ ورسولِكَ ونبيِّكَ ، وعلى آله الطَّيِّبينَ الطَّاهرينَ أجمعين ، وتمِّمْ لنا نعْمَائَكَ ، وَهَنِّئنا عطَائَكَ ، واكْتُبْنا لك شـاكِـرِيـنَ ، ولآلآئِكَ ذَاكِرِيْنَ ، آمين آمين ياربَّ العالمين ، اللهمَّ يامَن ملَكَ فَقَدَرَ وقَدَرَ فَقَهَرَ ، وعُصِيَ فستَرَ ، واستُغْفِرَ فغَفَرَ ، يَاغَايَةَ الطَّالِبِيْنَ الرَّاغبِيْنَ وَمُنْتَهَى عَمَلِ الرَّاجِيْنَ ، يَامَنْ أحاطَ بِكُلِّ شيءٍ علْمَاً ، وَوَسِعَ المُسْتَقِيْلِيْنَ رَأفةً ورحمَةً وحِلْماً ، اللهمَّ إنَّا نتوجَّهُ إليكَ في هذه العشِيَّةِ الَّتي شرَّفتَها وعظَّمْتَها بمحمدٍ نبيِّكَ ورسولِكَ وَخِيرَتِك من خلْقِكَ البَشِيْرِ النَّذيرِ السِّراجِ المُنيرِ الَّذي أنعمْتَ به على المسلِمينَ وجعلْتَه رحمةً للعالمين ، اللهمَّ فصلِّ على محمد وآل محمد ، كما محمَّدٌ أهلٌ لذلك مِنكَ ياعظيمُ فصلِّ عليه وعلى آله المُنتَجَبِينَ الطَّيِّبينَ الطَّاهِرِيْنَ أجمعين ، وتغمَّدْنا بعَفْوِكَ عنَّا ، فإليكَ عجَّتِ الأصواتُ بِصنُوفِ اللُّغاتِ ، فَاجْعَلْ لنا اللَّهمَّ في هذه العَشيَّةِ نصيباً مِن كلِّ خيرٍ تَقْسِمُهُ بينَ عبادِك ، وَنُوْرٍ تَهْدِيْ به وَرَحمَةٍ تَنْشُرُها ، وَبَرَكَةٍ تُنزِلُها وَعافِيَةٍ تُجلِّها ورِزقٍ تَبْسُطُهُ ، ياأرحمَ الرَّاحمين ، اللهمَّ أقْلِبْنَا في هذا الوقتِ مُنجِحيْنَ مُفْلِحِينَ مَبْرُوْرِيْنَ غانِمِيْنَ ، ولا تجعَلْنا من القانِطِيْنَ ولا تُخلِنا من رحمتِكَ ، ولا تَحْرِمنَا مانُؤَمِّلُهُ من فضلِكَ ، ولا تجعلْنَا من رحمتِكَ مَحْرُومينَ ، ولا لفضلِ مانُؤَمِّلُهُ من عطَائِكَ قانِطِيْنَ ، ولا تَرُدَّنا خائِبِيْنَ ، ولا مِن بابِكَ مَطْرُودِيْنَ ، يَاأجْوَدَ الأَجْوَدِيْنَ وَأكْرَمَ الأكرَمِيْنَ ، إليكَ أقبَلْنا مُوقِنِينَ ، ولِبَيْتِك الْحرامِ آمِّيْنَ قاصِدِيْنَ . فَأعِنَّا عَلَى مناسِكِنَا ، وأكْمِلْ لَنا حَجَّنَا

واعفُ عنَّا وعافِنا ، فَقَدْ مَدَدْنا إليكَ أيدِيَنا فهي بذِلَّةِ الإعترافِ مَوسُومَةٌ ، اللَّهمَّ فأعطِنا في هذه العشيَّة ماسَئَلْناك ، واكْفِنا مااستَكْفَيْناكَ فَلَا كافِيَ لَنا سِواك ، ولَا رَبَّ لنا غَيْرُك ، نافِذٌ فينَا حُكْمُكَ ، مُحِيْطٌ بنا عِلْمُكَ ، عَدْلٌ فينَا قضَاؤُكَ ، اقْضِ لَنا الخَيرَ ، واجْعَلْنَا من أهلِ الخيرِ ، اللهمَّ أوجِبْ لَنا بجُودِكَ عظيمَ الأجرِ وكَرِيْمَ الذُّخرِ وَدَوَامَ اليُسْرِ ، وَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا أجمَعِيْنَ ، وَلَا تُهْلِكْنَا معَ الهَالِكِيْنَ وَلَا تَصْرِفْ عَنَّا رَأْفَتَكَ وَرَحْمَتَكَ ياأرحَمَ الرَّاحِمينَ ، اللَّهمَّ اجعَلْنَا في هذا الوقتِ مِمَّنْ سَئَلَكَ فَأعْطَيْتَه ، وشَكَرَكَ فزِدْتَهُ وَتابَ إليكَ فقَبِلْتَه ، وتَنَصَّلَ إليكَ من ذُنُوبِه كلِّها فغَفَرْتَها له ، ياذا الجلالِ والاكرامِ ، اللهمَّ ووفِّقْنا وَسَدِّدْنا وَاعْصِمْنا ، وأقْبَلْ تَضَرُّعَنَا ياخيرَ مَن سُئِلَ ، ويأَرْحَمَ مِن استُرْحِمَ ، يامَن لا يَخفَىٰ عليه إغماضُ الجُفُونِ ، ولَا لحْظُ العُيونِ ، وَلَا مَااستَقَرَّ في المَكْنُوْنِ ، ولا مما انْطَوَتْ عليه مُضمَراتُ القُلوبِ ، ألا كلُّ ذلك قد أحصَاهُ عِلْمُك ، وَوَسِعَه حِلْمُك ، سبحانَك وتعاليتَ عمَّا يقولُ الظَّالمُوْنَ عُلُوًّا كبيراً ، تُسبِّحُ لك السَّمواتُ السبعُ والأَرْضُوْنَ وَمَنْ فيهِنَّ وإنْ مِن شيءٍ إلَّا يُسَبِّحُ بحمدِكَ ، فَلَكَ الحمدُ والمجْدُ وعُلُوُّ الجَدِّ ، ياذا الجلَالِ والاكرامِ والفضْلِ الإنعامِ ، والأَيَادِي الجِسامِ وَانْتَ الجَوَادَ الكريمُ الرَّؤُفُ الرَّحيمُ ، اللهمَّ أوْسِع عليَّ مِن رزْقِكَ الحلالِ ، وَعافِنِي في بدَني ودِيني ، وامِنْ خوفِي وأعْتِقْ رَقَبَتي مِنَ النَّار ، اللَّهُمَّ لا تَمْكُرْ بِي ولَا تستَدْرِجْنِي وَادْرَءْ عَنِّي شَرَّ فَسَقَةِ الجِنِّ والإنسِ يَاأسمعَ السَّامِعِينَ ياأبصرَ النَّاظِرِينَ ، وياأسرَع الحاسِبِيْنَ ، وياأرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وياأرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، صَلِّ على محمدٍ وآلِ محمد السَّادةِ الميامِيْنَ .

أسأَلُكَ فَكَاكَ رَقَبَتِي مِنَ النَّار ، لا إله إلا أنت وحدَكَ لا شريكَ لك ، لك المُلْكُ ولك الحمدُ وأنتَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ يارَبِّ يارَبِّ . وصلى الله على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

○○○

○

جدول تلخيص الأحكام على المذاهب الأربعة[1]

الحكم	الأحناف	المالكية	الشافعية	الحنابلة
الحج	فرض على الفور	فرض على الفور	فرض على التراخي	فرض على الفور
العمرة	سنة	سنة	فرض	قولان ١ واجبة ٢ سنة
نية الإحرام بالحج أو العمرة	شرط	ركن	ركن	ركن
قرن الإحرام بالتلبية	شرط	واجب	سنة	سنة
الغسل للإحرام	سنة	سنة	سنة	سنة
التطيب	سنة	محظور بقاء ريحه بعد الاحرام	سنة في البدن	سنة في البدن
الإحرام من الميقات المكانى	واجب	واجب	واجب	واجب
الميقات الزمانى أشهر الحج	شوال وذو القعدة وعشرة أيام من ذى الحجة	شوال وذو القعدة وذو الحجة	شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة	شوال وذو القعدة وعشر أيام من ذى الحجة
طواف القدوم	سنة	واجب	سنة	سنة
التلبية	سنة	واجب	سنة	سنة
وجوب الحج على المعضوب بشروطه	واجب	لايجب إلا إذا قدر عليه بنفسه	واجب	واجب
طواف الإفاضة	أكثره ركن والباقى واجب	ركن	ركن	ركن
الرمل فى الطواف الذى يعقبه سعى	سنة	سنة	سنة	سنة

(١) أنظر «قطف الثمار» لفضيلة الفقيه العلامة الشيخ عبدالرحمن محمود معتاي المدني .

"تابع" جدول تلخيص الأحكام على المذاهب الأربعة

الحكم	الأحناف	المالكية	الشافعية	الحنابلة
الإضطباع فى الطواف	سنة	لايشرع	سنة	سنة
نية الطواف	سنة	يشترطها بعض أصحاب مالك	سنة	شرط
ركعتا الطواف	واجبتان	واجبتان	سنة	سنة
المشى فى الطواف لغير العاجز	واجب	واجب	سنة	شرط
البدء فى الطواف بالحجر الأسود	واجب لايجبر بدم	واجب	شرط	شرط
الطهارة فى الطواف	واجب	شرط	شرط	قولان ١ شرط ٢ ـ واجب
كون الطائف خارجاً عن البيت بجميع بدنه	واجب	شرط	شرط	شرط
الطواف داخل المسجد	شرط	شرط	شرط	شرط
السجود على الحجر الأسود(١)	بدعة	بدعة	سنة	سنة
الموالاة بين أشواط الطواف	سنة	قولان ١ـ واجب ٢ ـ شرط	سنة	شرط

(١) وحجة الإمام الشافعى وأحمد رحمهما الله ما رواه البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «رأيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يسجد على الحجر الأسود» المجموع جـ ٨ ص ٣٣، والذى يظهر لى عدم ثبوت ذلك عند أبى حنيفة ومالك رحمهما الله والله أعلم.

"تابع" جدول تلخيص الأحكام على المذاهب الأربعة

الحكم	الأحناف	المالكية	الشافعية	الحنابلة
السعى فى الحج	واجب	ركن	ركن	ركن على الراجح من ثلاثة أقوال
نية السعى	واجب	شرط	سنة	شرط
البدء بالصفا والختم بالمروة	واجب	شرط	شرط	شرط
الموالاة من أشواط السعى	سنه	قولان : ١ ـ واجب ٢ ـ شرط	سنه	سنه
عدم الفصل بين السعى والطواف	سنة	قولان ١ ـ سنة ٢ ـ واجب	سنة	سنة
الطهارة فى السعى من الحدثين	سنة	سنة	سنة	سنة
ستر العورة فى السعى	شرط	شرط	سنة	١ ـ سنة ٢ ـ واجب
كون السعى سبعة أشواط	واجب	شرط	شرط	شرط
عدم الصارف فى السعى	شرط	شرط	شرط	شرط
المبيت بمنى ليلة عرفة	سنة	سنة	مندوب	مندوب
حضور الحاج بعرفة فى وقته	ركن	ركن	ركن	ركن
الوقوف عند الصخرات بعرفة	سنة	سنة	سنة	سنة
صعود جبل الرحمة	لايطلب	لايطلب	لايطلب	لايطلب
الجمع بين الظهر والعصر بنمرة	سنة	سنة مع القصر	سنة للمسافر	قولان ١ ـ سنة ٢ ـ واجب

"تابع" جدول تلخيص الأحكام على المذاهب الأربعة

الحكم	الأحناف	المالكية	الشافعية	الحنابلة
الانصراف إلى الموقف بعد صلاة الظهر والعصر مباشرة	مستحب	مستحب	مستحب	مستحب
وقت الوقوف بعرفة(١)	من زوال اليوم التاسع الى فجر يوم النحر	من زوال اليوم التاسع الى طلوع فجر يوم النحر	من زوال اليوم التاسع الى طلوع فجر يوم النحر	من فجر اليوم التاسع إلى طلوع فجر يوم النحر
القدر الكافى فى الوقوف بعرفة	لحظة من ذلك الزمن المتقدم	لحظة من ليلة الأضحى	لحظة من ذلك الزمن المتقدم	لحظة من ذلك الزمن المتقدم
الجمع بين الليل والنهار بعرفة	واجب	واجب	سنة على الأصح	واجب
حج من وقف بوادى عرفة	لايصح	قولان ١ ـ لايصح ٢ ـ يصح	لايصح	لايصح
وقوف المغمى عليه	يصح	يصح	لايصح	لايصح
المبيت بمزدلفة والقدر المطلوب	سنة ساعة قبل الفجر	واجب قدر حط الرحال فى أى ساعة من الليل	واجب ولو لحظة من النصف الثانى من الليل	واجب ولو لحظة من النصف الثانى من الليل
الوقوف بالمشعر الحرام يوم الأضحى	واجب لحظة من طلوع الفجر إلى الشروق	مندوب من الفجر إلى الاسفار	سنة من الفجر الى الأسفار جداً	سنة من الفجر إلى الأسفار جداً
الجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة	لايصح إلا بمزدلفة	قولان: ١ جائز ٢ ـ يسن	جائز	جائز

(١) ـ حجة الحنابلة حديث عروة بن صخر الطائى ، وهو حديث صحيح مطلق . وحجة الجمهور: أن الوقت يدخل من الزوال لفعله ﴿ﷺ﴾ المقيد لذلك مع قوله «لتأخذوا عنى مناسككم».

"تابع" جدول تلخيص الأحكام على المذاهب الأربعة

الحكم	الأحناف	المالكية	الشافعية	الحنابلة
الدفع من مزدلفة قبل طلوع الفجر	لا يجوز ويلزم بذلك الدم	جائز	جائز	جائز
رمى جمرة العقبة	واجب من طلوع الشمس يوم النحر إلى فجر اليوم الثانى(١)	واجب من طلوع الشمس يوم النحر إلى الظهر ويكره بعد ذلك إلى الغروب	واجب بعد نصف ليلة النحر إلى آخر أيام التشريق	واجب من نصف ليلة النحر إلى اخر أيام التشريق
الأفضل فى موقف الرامى لجمرة العقبة	فى بطن الوادى ومنى عن يمينه ومكة عن يساره	مثل ذلك	مثل ذلك	مثل ذلك
الحلق أو التقصير فى الحج أو العمرة	واجب ربع الرأس أو كله	واجب حلق الرأس أو أكثره	ركن أخذ ثلاث شعرات حلقا أو تقصيرا	واجب جميع الرأس
الحلق فى الحرم	واجب	سنة	مندوب	سنة
الترتيب بين الرمى والذبح والحلق	واجب	مندوب لكن تأخير الحلق عن الرمى واجب	سنة	سنة
وقت قطع التلبية	عند شروعه فى رمى جمرة العقبة	قبل الوقوف بعرفة	عند شروعه فى رمى جمرة العقبة	بعد الفراغ من الرمى
لبس المحرم السراويل عند فقد الازار	يجوز وعليه الفدية	يجوز وعليه الفدية	يجوز ولا فدية عليه	يجوز ولا فدية عليه

(١) حجة أبى حنيفة ومالك حديث ابن عباس «أن النبى ﴿ﷺ﴾ أمرهم أن يرموا بعد طلوع الشمس» وهو حديث صحيح. وحجة الشافعى وأحمد حديث أم سلمة وغيره فى مسألة تعجيل دفع الضعفة من مزدلفة إلى منًى «انتهى من المجموع جـ ٨ ص ١٨١».

"تابع" جدول تلخيص الأحكام على المذاهب الأربعة

الحكم	الأحناف	المالكية	الشافعية	الحنابلة
أحرمت المرأة بحجة الاسلام بدون إذن زوجها	جائز	جائز	قولان : أصحهما لايجوز	جائز
الهدى من الحرم وذبحه فيه	جائز	لابد من سوقه من الحل إلى الحرم	جائز	جائز
الوطء قبل التحلل الأول	إن كان قبل الوقوف فسد وإن كان بعده لم يفسد الحج ويلزمه بدنه	يفسد الحج والعمرة بذلك	يفسد الحج والعمرة بذلك	يفسد الحج والعمرة بذلك
حلق المحرم لشعر الحلال	لايجوز	يجوز	يجوز	يجوز
حاضرى المسجد الحرام	هو مادون المواقيت	هو مكة وذى طوى	مادون مسافة القصر إلى الحرم	مادون مسافة القصر الى الحرم
وقت صيام السبعة للعاجز عن الهدى	إذا فرغ من الحج ولو كان فى مكة	إذا خرج من مكة	إذا رجع إلى أهله	اذا رجع إلى أهله
الأيام المعلومات	يوم عرفة ويوم النحر واليوم الأول من أيام التشريق	يوم النحر ويومان بعده	عشر ذى الحجة	عشر ذى الحجة
الايام المعدودات	أيام التشريق	أيام التشريق	أيام التشريق	أيام التشريق
نكاح المحرم	صحيح (١)	باطل	باطل	باطل

(١) حجة الجمهور الحديث الذى فيه النهى عن نكاح المحرم، وحديث ميمونة رضى الله عنها وأن النبى ﴿ﷺ﴾ تزوجها وهو حلال، ودخل بها وهو حلال.

وحجة أبو حنيفة حديث ابن عباس «أن النبى ﴿ﷺ﴾ تزوج بميمونة رضى الله عنها وهو محرم» انتهى ملخصا من المغنى لابن قدامة جـ ٣ ص ٣١٢.

تابع "جدول تلخيص الأحكام على المذاهب الأربعة

الحكم	الأحناف	المالكية	الشافعية	الحنابلة
مراجعة المحرم زوجته وقت ذبح الهدى التمتع أو القران	جائز بعد رمى جمرة العقبة	جائز بعد رمى جمرة العقبة	جائز بعد التحلل من العمرة	لا يجوز يوم النحر مقدار وقت الفراغ من صلاة العيد

الصـــلاة في الحـــج

مـذهـب المالكيـة :

(١) أما في يوم عرفة فإنه يجمع ويقصر الظهر والعصر ، والقصر للسنة لا للسفر «كذا في كفاية الطالب الرباني ج ١ ص ٤٥١» .

(٢) يصلى المغرب والعشاء بمزدلفة جمعاً وقصراً .

(٣) يقصر الصلاة في جميع أيام منى إذا أقام بها ولا يتم (كفاية الطالب الرباني ج ١ ص ٤٥١ وص ٤٥٤) .

كل هذا بالنسبة لغير أهل عرفة في عرفة ولا أهل مزدلفة في مزدلفة ولا أهل منى في منى فلا يقصرون بل يتمون ، لكن في الشرح الكبير قال الدسوقي : أن أهل عرفة يوم عرفة يجمعون فقط ولا يقصرون لأن الجمع سنة (ج ٢ ص ٤٤) .

قلت : وذكر مثل هذا الشيخ حسين المالكي وابنه محمد عابد في المناسك (١٣٨) عن مالك يصلى أهل مكة بعرفة ومنى ماأقاموا ركعتين اهـ .

وأيضاً قال الشيخ : يسن لكل حاج مكي وغيره أن يقصر في منى وذكر الدليل على سنيته للمكي وهو مفيد وجعل أن الأصل فيه السنة واستثنى أهل منى أيضاً اهـ (هداية المناسك ١٥٦) .

قلت : وقولهم بأن القصر هذا للسنة لا للسفر ثم استثناؤهم أهل منى من القصر في منى ومزدلفة في مزدلفة مشكل لأنه إن كانت العلة هي النسك فالكل يشترك فيها وإن كان السفر فالمسافة ليست بمسافة قصر ، ثم رأيت في شرح أبي الحسن كفاية الطالب الرباني ٤٤٩ /١ مايصلح أن يكون جواباً لما استشكلته قال : أما أهل عرفة فيتمون والضابط أن أهل كل مكان يتمون فيه ويقصرون فيما سواه .

وأجاب العلامة الشيخ محمد زكريا السهارنفوري شيخ الحديث في كتابه [حجة الوداع] بجواب جيد فقال : إن القصر عند الإمام مالك للسفر لا للنسك كما يقول كثير من المالكية واستدل بما في الموطأ [الصلاة يوم عرفة إنما هي ظهر ولكنها قصرت لأجل السفر] فكأنه عدَّ الذهاب من مكة إلى منى إلى عرفة

إلى مزدلفة إلى منى إلى مكة سفراً واحداً للزومه بالإحرام ولذلك لايقصر أهل مكة بمكة ولا أهل منى بمنى ولأنهم مقيمون في أوطانهم ولو كان القصر للنسك لقصر حجاجّ مكة ومنى بأوطانهم ، وقد صرح قبل هذا بأن السفر عند مالك لايتحدد بمقدار من الأيام والأميال وهو يحتاج إلى المراجعة . والله أعلم اهـ [حجة الوداع ٨٠]

الحاصل أن الصلاة بعرفة ومزدلفة قصراً وجمعاً وبمنى قصراً .

مذهب الشافعية :

أن الظهر والعصر تصليان جمعاً وقصراً للسفر على الأصح في عرفة [٣٠٨ الايضاح] والمغرب والعشاء جمعاً في مزدلفة (٣٣٨ الايضاح) فإذا كان مسافراً فإنه يقصر للسفر ، فالقصر للسفر لا للنسك .

والحاصل عندهم أن الصلاة في عرفة ومزدلفة لاجمع فيها ولا قصر إلا للمسافر سفراً تقصر فيه الصلاة .

مذهب الحنابلة :

قال في الإقناع وشرحه : يصلي الظهر والعصر جمعاً إن جاز له الجمع كالمسافر سفر قصر ، قال في الأنصاف : وظاهر كلام المصنف يعني الموفق أن أهل مكة ومن حولهم لايجوز لهم القصر ولا الجمع بعرفة ولا بمنى ولا بمزدلفة على الصحيح من المذهب وعليه أكثر الأصحاب وجزم به في المستوعب وغيره وقدمه في الفروع وقال : اختاره الأكثر وقدمه في الفائق وقال لا يجمع ولا يقصر عند جمهور أصحابنا لكن الشيخ ابن جاسر الحنبلي في كتابه مفيد الأنام رجح القول بالجمع والقصر فقال : «تنبيه» الناس في زمننا هذا ثلاثة أقسام : قسم لايجمع ولا يقصر في عرفة ومزدلفة ومنى ، وقسم يجمع ولا يقصر فيهن وقسم يجمع ويقصر بعرفة ومزدلفة ويقصر ولايجمع بمنى وهذا القسم الثالث هو الذي معه الدليل من سنة النبي صلى الله عليه وسلم والخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر والله أعلم اهـ (مفيد الأنام ص ١٩) .

مذهب الأحناف :

أن الجمع يوم عرفة للنسك والقصر للسفر ولذلك فلا يقصر أهل مكة الصلاة بمنى وعرفات لانتفاء مسافة القصر (حجة الوداع ٨٠ للشيخ محمد زكريا)

وكذا في إرشاد الساري (١٣١) واشترط أن يكون الجمع في عرفة مع الإمام والجمع كذلك بمزدلفة للنسك ولا يشترط مع الإمام الأعظم (١٤٤) .

فالحاصل عنده أن الصلاة في عرفة ومزدلفة جمعاً فقط بلا قصر وفي منى بلا قصر ولا جمع (١٠٦ غنية الطالبين للقاوقـجي) .

حكم أداء صلاة المغرب والعشاء في أرض عرفات ليلة الإفاضة

السنة للدافع من عرفات أن يؤخر المغرب والعشاء إلى وقت العشاء ويكون هذا التأخير بنية الجمع ثم يجمع بينهما في المزدلفة في وقت العشاء وهذا مجمع عليه ولكن مذهب أبي حنيفة وطائفة أنه يجمع بسبب النسك ويجوز لأهل مكة والمزدلفة ومنى وغيرهم والصحيح عند أصحابنا أنه جمع بسبب السفر فلا يجوز إلا لمسافر سفراً يبلغ به مسافة القصر وهو مرحلتان قاصدتان ، وللشافعي قول ضعيف أنه يجوز الجمع في كل سفر وإن كان قصيراً ، وقال بعض أصحابنا هذا الجمع بسبب النسك كما قال أبوحنيفة والله أعلم ، قال أصحابنا : ولو جمع بينهما في وقت المغرب في أرض عرفات أو في الطريق أو في موضع آخر أو صلى كل واحدة في وقتها جاز جميع ذلك لكنه خلاف الأفضل هذا مذهبنا وبه قال جماعات من الصحابة والتابعين وقاله الأوزاعي وأبويوسف واشهب وفقهاء أصحاب الحديث وقال أبوحنيفة وغيره من الكوفيين يشترط أن يصليهما بالمزدلفة ولا يجوز قبلها وقال مالك لايجوز إن يصليهما قبل المزدلفة إلا من به أو بدابته عذر فله أن يصليهما قبل المزدلفة بشرط كونه بعد مغيب الشفق . (شرح النووي صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٧) .

الجماع في الإحرام

يفسد الحج بالجماع إذا وقع قبل التحللين الأصغر والأكبر ، وإذا وقع بعد الوقوف وقبل الرمي والطواف ومضى يوم النحر يفسد الإحرام وعليه هدي وقضاء وإتمام .

مذهب المالكية :

التحلل الأصغر : وهو رمي جمرة العقبة .

التحلل الأكبر : الطواف والسعي .

فإن وقع الوط ء بينهما أو بعد فعل بعض أفرادهما فإنه لاينفسد الحج لكن تارة يجب عليه هدي وعمرة وتارة يجب عليه هدي فقط ، فأما وجوب الهدي والعمرة ففي وقوع ذلك قبل الطواف والسعي أو بينهما (كما ظهر لي) وذلك في :

(١) إذا وطىء رمي جمرة العقبة وقبل طواف الإفاضة .

(٢) إذا وطىء قبل الرمي وقبل الطواف لكن بعد مضي يوم النحر .

(٣) إذا وطىء بعد الرمي والطواف وقبل ركعتيه .

(٤) إذا وطىء بعد الرمي والطواف وبعد ركعتيه لكن قبل السعي .

فهذه الصور الأربع يجب عليه الهدي والعمرة والسبب في وجوب العمرة أنه لا يأتي بطواف وسعي لاخلل فيهما ولم نحكم في الصورة الثانية بفساد الحج لأنه لما خرج يوم النحر صارت جمرة العقبة قضاء وصار الطواف كالقضاء لخروجه عن وقته المندوب المقدر له شرعاً .

وأما وجوب الهدي فقط ففي وقوع ذلك بعد تمام الطواف والسعي (كما ظهر لي).

(١) إذا وطىء بعد الطواف وركعتيه والسعي لكن قبل رمي جمرة العقبة .

(٢) إذا وطىء بعد الطواف وركعتيه والسعي والجمرة لكن قبل الحلق .

ولم يطلب بالعمرة في هاتين الصورتين لسلامة الطواف والسعي من الخلل .

(هداية الناسك ٧٠)

مذهب الحنفية :

شرائط الجماع المفسد للحج .

الأول : أن يكون الجماع في القبل أو الدبر فلو باشر بما دونهما وأنزل لم يفسد .

الثاني : أن يكون قبل الوقوف بعرفة فإن كان بعده لم يفسد .

الثالث : أن يكون في الأدمي .

فإذا جامع بعد الوقوف (وقبل الحلق والطواف) (أو بعد ماطاف منه ثلاثة أشواط لكن قبل الحلق) لم يفسد حجه وعليه بدنة . أما إذا جامع بعد الحلق وقبل الطواف فعليه شاة وذكر بعضهم (بدنة) بناء على إطلاق لزوم البدنة بعد الوقوف من غير تفصيل بين كونه قبل الحلق أو بعده . [جمع المناسك ونفع الناسك ٧٣ للشيخ السندي رحمه الله] .

مذهب الحنابلة :

التحلل الأول : باثنين من ثلاثة : رمي ، حلق ، طواف مع سعي .

التحلل الثاني : بالثالث من الثلاثة .

فمن جامع قبل التحلل الأول ولو بعد الوقوف فقد فسد حجه . وإن جامع بعد التحلل وقبل التحلل الثاني فعليه هدي وعمرة ، وإذا وطىء قبل الرمي ولكن بعد الحلق والطواف والسعي فعليه هدي ، وإذا وطىء قبل الطواف ولكن بعد الحلق والرمي فعليه هدي وعمرة .

حكم من مرَّ بالميقات غير محرم

من مرَّ بالميقات غير محرم وهو يريد حجا أو عمرة عصى ولزمه العود للإحرام فإن لم يعد ولم يحرم فهو عاص ولا دم عليه لأن الدم في مقابلة مانقص من النسك وهذا لم يتلبس بنسك أصلا حتى يطالب بدم فإن عاد سقط عنه الاثم وهذا باتفاق .

وأما إذا أحرم بعد الميقات فعليه دم فإن عاد محرما فقد انتهى الدم ، حتى ولو عاد بعد دخوله مكة يسقط الدم عنه إلا إذا فعل شيئا من النسك كالطواف فإنه لايسقط عنه الدم ولو عاد . وهذا مذهب الشافعية والحنفية (إرشاد الساري ٥٩) . (نووي ١٤٤) . بخلاف المالكية فعندهم انه إذا أحرم بعد الميقات عليه دم سواء رجع أم لم يرجع (هداية الناسك ٣٥) وكذا عند الحنابلة (مفيد الانام ١ /٧٢).

فهرس

الموضـــــــــوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع الصفحة